



# الخلاف والمناظرة

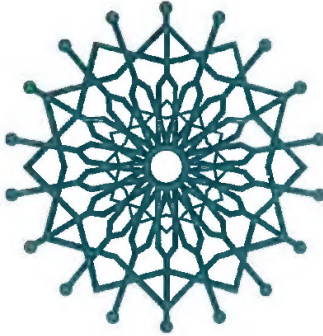
كتاب تعليمي متوافق مع مفردات المقرر في الكليات  
الشرعية ومدعم بالأنشطة والقراءات الإرثائية

إعداد  
شركة إثراء المتون

تمويل الإعداد العلمي



عبدالله الراجحي الخيرية  
Abdullah Alrajhi Foundation



## الخلاف والمناظرة

كتاب تعليمي متوافق مع توصيف  
المقرر في الكليات الشرعية ومدعم  
بالأنشطة والقراءات الإثرائية

ح شركة إثراء المتون المحدودة ، ١٤٤٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

شركة إثراء المتون

الخلاف والمناظرة . / شركة إثراء المتون . - الرياض ، ١٤٤٤ هـ

٢١٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩-٩٤-٨٣٤٨-٦٠٣-٩٧٨

أ. العنوان

١- الاختلاف

١٤٤٤ / ٤٥٣

ديوي ٣، ٢١٩

رقم الإيداع : ١٤٤٤ / ٤٥٣

ردمك : ٩-٩٤-٨٣٤٨-٦٠٣-٩٧٨

مُخْفَرُ الطَّبْعِ مَحْفُوظٌ

لشركة إثراء المتون

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

الآراء والأفكار المطروحة تمثل وجهة نظر أصحابها  
ولا يلزم أنها تمثل رأي الشركة

شركة إثراء المتون

المملكة العربية السعودية - الرياض

جوال : ٩٦٦٥٠٣٨٤٢٧٤٤ + هاتف : ٩٦٦١١٤٤٥٢٠٠٠ +

بريد : info@ithraa.sa تويتر : ithraaSA



# الخلاف والمناظرة

كتاب تعليمي متوافق مع توصيف المقرر

في الكليات الشرعية ومدعم بالأنشطة والقراءات الإثرائية



إعداد

شركة إثراء المتون



## فريق العمل الرئيس

### الإعداد العلمي

أ.د. سعيد بن متعب القحطاني

د. مازن بن عبد الله العقل

د. المثنى بن عبد العزيز الجرباء

### المراجعة العلمية

د. محمد بن غرم العمري

د. عامر بن عيسى اللهو

د. حسن بن حامد العصيمي

### إدارة المشروع

عبد الله بن حسن المنهالي

### المشرف على المشروع

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم الشبل





خرائط ذهنية



عروض تقديمية  
(Power Point)

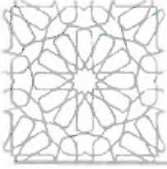


رصد ملحوظات المستخدمين  
عن طريق التواتساب

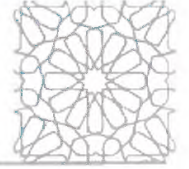


رصد ملحوظات المستخدمين  
عن طريق النموذج





## مقدمة إثراء المتون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العليم القدير، الخالق اللطيف الخبير، الذي يسرُّ المناهجَ والشرائعَ ويبينُ الطرائقَ، وينصب الأعلام الطَّوَالعَ لكشف الحقائق، أحمده ثناءً عليه بأسمائه الحسنَى وصفاته العلا وشكرًا له على نِعَمِهِ البواسق، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ربُّ المغارب والمشارق، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله المؤيَّد بالمعجزات الخوارق، الموضِّح لسبيل الحقِّ في الجلائل والدقائق، صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم صلاةً وتسلِيمًا باقِيَيْنِ ما بقيت الخلاق، أمَّا بعد:

فإنَّ من أعظم النِّعمِ نعمة نشر العلم وخدمته، والسَّعي في تطوير سبل تعليمه وتقريبه؛ وقد يسَّر الله لشركة «إثراء المتون». المساهمة في هذا الشأن من خلال سلسلة مقرراتٍ جامعيَّة تكون مناسبةً للتَّدریس في البيئة الأكاديميَّة، ومتوافقةً مع معايير الاعتماد الأكاديميِّ، ومتماشيةً مع التَّوصيفات المعتمدة في الأقسام العلميَّة.

وتتميَّز هذه السلسلة بأربعة أمور:

**الأول:** المحتوى التَّعليميُّ المطوَّر الذي يهدف إلى الجمع بين يُسر المادَّة العلميَّة وعمقها وأصالتها.

**الثاني:** الوسائل التَّعليميَّة المساندة للأستاذ على الشَّرح والبيان، وللطلَّاب على استيعاب المادَّة العلميَّة وترغيبهم فيها؛ وقد توخَّينا في ذلك الجمع بين الجمال الفنِّي، والدِّقَّة العلميَّة، والالتزام بالمعايير التَّربويَّة.

**الثالث:** الأنشطة المهارية التي تقدح زناد الفكر، وتوسَّع مدارك النَّظر، وتصلِّق الملكات العلميَّة.

**الرَّابع:** البيئة الإلكترونيَّة التي تفتح آفاقًا جديدةً، وتتيح لأهل العلم الوصول إلى مصادر المعرفة بيسرٍ وسهولةٍ، وتعزِّز التَّواصل العلميَّ بين المختصِّين؛ وذلك من خلال منصَّة إثراء (ithraa.io) والتي نرجو أن تكون بيئةً تعليميَّةً إلكترونيَّةً محفَّزةً.



ويُعد مقرر «الخلاف والمناظرة» الإصدار «العاشر» من سلسلة هذه المقررات التعليمية، وقد هدفت شركة «إثراء المتون» من خلاله إلى خدمته وفق منهجيتنا المتبعة في تطوير المقررات التعليمية.

### ■ المنهجية العامة في إعداد المحتوى العلمي:

سعت شركة «إثراء المتون» على اتباع منهجية دقيقة في إصداراتها العلمية، مراعية أعلى المعايير العلمية والتربوية، وقد التزمنا في إعداد هذا المقرر المنهجية التالية:

١- جمع المادة العلمية الموثوقة التي تستوعب جميع المفردات والمعايير الصادرة من هيئة الاعتماد الأكاديمي والكليات الشرعية في المملكة العربية السعودية.

٢- ملائمة أجزاء المقرر ومحتوياته مع الأهداف التفصيلية التي وضعتها الكليات لمقرر «الخلاف والمناظرة»؛ ليكون الكتاب محققاً لهذه الأهداف في مختلف الكليات التي يدرس فيها الخلاف والمناظرة.

٣- مناسبة المقرر للتدريس الجامعي في مختلف الكليات؛ من حيث عدد صفحاته، والساعات المخصصة لتدريسه.

٤- صياغة الكتاب بأسلوب يجمع بين العمق والأصالة والوضوح؛ حتى يستفيد الطالب منه الاستفادة المرجوة.

٥- حسن التصرف في المادة العلمية، والجدّة في الطرح، وتحريّ الدقّة، والاختيار بين النصوص والمعلومات حين اختلافها، مع الاستفادة من الكتب التراثية والمعاصرة في التحضير والإعداد للمقرر سواء في أصل المادة العلمية أو الحواشي أو الإثراءات أو الأنشطة.

٦- الاهتمام بضرب الأمثلة وتنوعها، وسلاسة تقسيمات الموضوعات.

### ■ مميزات الكتاب:

بالإضافة إلى الميزات المنهجية العامة المتبعة في إعداد المحتوى العلمي لهذا الكتاب، فقد شمل جملة من المميزات الخاصة التالية:

١- تنوع فريق العمل؛ من حيث الرتبة العلمية، وجامعة التدريس، واختلاف المهام؛ وقد تضمّن فريق العمل: الإعداد، والمراجعة، والإشراف، والبحث، وإعداد الأنشطة العلمية المهارية والأهداف التربوية، والصياغة؛ فكان بحق عملاً جماعياً، تكاففت فيه الجهود، واجتمعت عليه العقول.

٢- تعداد عناصر كلِّ مَعْلَم، وأبرز أهدافه قبل الشُّروع فيه؛ لتهيئاً القارئ له، ويتصوّر محتوياته إجمالاً، وليَعْلَم الأستاذ والطَّالِب ما ينبغي الحرص عليه من الغايات التي يحقّقها المَعْلَم.

٣- إضافة جملةٍ من القراءات الإثرائيّة الأصيلّة خلال دروس المقرّر مدمجةً في صورة (QR) رغبةً في تقليل حجم الكتاب ومادّته؛ وقد هدفنا من هذه الإثراءات إلى زيادة تعمّق الطَّالِب في المادّة العلميّة، واعتياده على الاطّلاع على نصوص العلماء؛ وقد بلغ عددها أكثر من (٨٠) إثراء.

٤- إعداد أنشطة استهلاكيّة في بداية كلِّ مَعْلَم، يُشوّق الطَّالِب لمحتوى الموضوع، ويُسهّم في بناء تصوّر أوليّ لما هو مُقبّل على قراءته.

٥- بناء أنشطة مهاريّة ختاميّة، تساعد على تنمية مهارات التّفكير العليا، وتُحفّز على التعلّم الذاتيّ عند الطَّالِب، وقد بلغ عدد الأنشطة أكثر من (٥٥) نشاطاً.

٦- تحكيم المقرّر عدّة مرّاتٍ من نخبة من الأساتذة الجامعيّين المختصّين والباحثين، وتطويره في جميع المراحل التي مرّ بها.

#### ■ أبرز الصّعوبات:

كان من المأمول صدور هذا الكتاب قبل مدّة بعيدة، لكن حال دون ذلك عدّة أمورٍ مجتمعيّة، من بينها:

١- طبيعة المقرّر الذي يجمع بين قِسْمَيْن مختلفَيْن، وموضوعَيْن متغيّرين، هما «الخلاف» و«المناظرة»؛ ولكلٍّ من هذين القسمين خصائصه وسماته وأسلوبه ومراجعته وطريقته؛ لذا فيعدُّ هذا المقرّر بمثابة كتابة مقرّرين في الحقيقة.

٢- كثرة المراجع التي اقتضت جرّداً واسعاً للأبحاث والمؤلّفات القديمة والمعاصرة في شتّى دروس وموضوعات المقرّر بقسميه الخلاف والمناظرة.

٣- تعدّد وجوه الخلاف العلميّ في المراجع، والتي اقتضت مزيداً من التّحصيل والتّفتيش للخروج بأفضل صيغة وجودة علميّة في تقرير القضايا الخلافيّة التفصيليّة.

٤- تداخل بعض الفنون في بعض، ولا سيّما في قسم «المناظرة» الذي تتداخل مسأله وموضوعاته مع علم الجدل وعلم أصول الفقه والمنطق، ممّا اقتضى الاستفادة قدر الطّاقة من المصادر على تنوّع فنونها، خاصّةً ممّا له صلةً بموضوعات المقرّر ومفرداته.

٥- الحاجة للاختصار وعدم إثقال الكتاب؛ حتّى يكون مناسباً لعدد السّاعات التّدرسيّة.

وبعد، فهذا الكتاب مقرّر تعليمي للطلبة الجامعيين في الكليات الشرعية، ومن طبيعة المقررات التعليمية التحديث والتطوير؛ لذا تحرص «شركة إثراء المتون» على تحديث مقرراتها باستمرار، ورافدها الأهم في ذلك ملحوظات القراء والمستفيدين من أساتذة وطلاب، فنلتمس من قرائنا الكرام إمدادنا بملحوظاتهم وتصويباتهم عبر وسائل التواصل المثبتة في أول الكتاب.

وفي ختام هذه المقدمة: نحمد الله على إتمام هذا العمل، والشكر بعد شكر الله موصول لكل من ساهم معنا في إخراجه؛ سواء أكان ذلك بمقترح، أو توجيه، أو تصحيح، أو كتابة، أو بحث، أو تحرير، أو تحكيم، أو مراجعة، أو متابعة، أو تنسيق؛ فنشكر للجميع جهودهم، ونقدّر لهم صبرهم.

ونتقدم بالشكر الجزيل لمؤسسة عبد الله الراجحي الخيرية على رعايتهم الإعداد العلمي لهذا الكتاب، ونسأل الله أن ينفع بجهود القائمين عليها وأن يبارك في أعمالهم.

والحمد لله أولاً وآخراً.

وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

## القسم الأول: الخلاف

المُعَلِّمُ الأوَّل: حقيقة الخلاف وأنواعه.

المُعَلِّمُ الثَّانِي: الحكمة من الخلاف وحكمه.

المُعَلِّمُ الثَّالِث: أسباب الخلاف بين العلماء.

المُعَلِّمُ الرَّابِع: مراعاة الخلاف والخروج منه.

المُعَلِّمُ الْخَامِس: مراحل بحث المسألة الخلافية.

المُعَلِّمُ السَّادِس: آداب الخلاف ونماذجها.



# المَعْلَم الأول:

## حقيقة الخلاف وأنواعه

### ■ حقيقة الخلاف:

- تعريف الخلاف لغةً واصطلاحًا.
- المصطلحات ذات العلاقة بالخلاف.

### ■ أنواع الخلاف:

- باعتبار مادته وموضوعه.
- باعتبار حقيقته وعلاقة الأقوال ببعضها.
- باعتبار أثره.
- باعتبار بقاءه.
- باعتبار مرتبته.
- باعتبار درجته.
- باعتبار حكمه.





## أهداف المَعْلَم

بعد الانتهاء من هذا المَعْلَم يُتَوَقَّع من الطَّالِب أن:

١. يشرح معنى الخلاف لغةً واصطلاحًا.
٢. يذكر تعريف الخلاف باعتباره علمًا يُدرَّس.
٣. يميِّز بين مصطلح الخلاف وما يشبهه من مصطلحات.
٤. يربط بين مصطلح الخلاف والمصطلحات القرية منه.
٥. يذكر أنواع الخلاف بالاعتبارات المختلفة.
٦. يفرِّق بين أنواع الخلاف.
٧. يمثل على أنواع الخلاف.
٨. يحدّد مراتب الخلاف.

## نشاط استهلاكي

صِلْ كُلَّ تقسيمٍ في العمود الأول بالأنواع المتفرعة منه في العمود الثاني، ثمَّ قارن إجابتك بإجابة زميلك:

خلاف لفظي

خلاف في الأصول

خلاف تضاد

خلاف قوي

خلاف عارض

خلاف تنوع

خلاف في الفروع

خلاف معنوي

خلاف ضعيف

أنواع الخلاف باعتبار مادته وموضوعه

أنواع الخلاف باعتبار درجته

أنواع الخلاف باعتبار أثره

أنواع الخلاف باعتبار حقيقته

## أولاً: حقيقة الخلاف وعلاقته بالمصطلحات المشابهة

وقوع الخلاف بين الناس أمرٌ قدرِيٌّ، وما دام الناس يفكرون فإنهم يختلفون؛ «إذ كان الاختلاف مَرَكُوزًا في فِطْرِنَا مطبوعًا في خِلْقِنَا، وكان لا يُمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الخِلْقة، ونَقَلْنَا إلى جِبَلَةٍ غير هذه الجِبَلَةِ»<sup>(١)</sup>؛ ولأن الخلاف أمرٌ واقعٌ بين علماء هذه الأمة كان متعينًا فَهْمُ حقيقته، وبيان أنواعه، والتَّمييز بين القدر السَّائغ منه وغير السَّائغ، والوقوف على آدابه، إلى غير ذلك من المسائل المهمة التي يعتني بها هذا المقرر.

ولتحديد المصطلحات وبيان حقائق المفاهيم وربطها بما يشابهها أثرٌ كبيرٌ في تصورنا تصورًا صحيحًا، وتمييزها عن غيرها مما قد يشبه بها من المصطلحات، والتَّعرف على ما يندرج تحتها من أقسامٍ وأحكام؛ لذا فإنَّ تأسيس التَّعامل الصَّحيح مع (الخلاف) ينطلق من تحرير معناه، ومعرفة ما يتقاطع معه من مصطلحات ذات صلة.

### تعريف الخلاف لغةً واصطلاحًا: أ- (الخلاف) لغةً:

الخلاف: المضادة، مصدر خالف، يقال: خالفته مخالفةً وخلافًا، وتخالف القوم واختلفوا: إذا ذهب كلٌّ واحدٍ إلى خلافٍ ما ذهب إليه الآخر، وهو ضدُّ الاتِّفاق<sup>(٢)</sup>.

### ب- (الخلاف) اصطلاحًا:

عرَّف العلماء مصطلح (الخلاف) بتعريفاتٍ متعدِّدةٍ ما بين مُضَيِّقٍ وموسِّعٍ، منها تعريفه بأنه:

- «الذَّهاب إلى أحد النِّقيضين من كلِّ واحدٍ من الخصمين»<sup>(٣)</sup>.
- «منازعةٌ تجري بين المتعارضين؛ لتحقيق حقٍّ أو إبطال باطلٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «الإِنصاف» لابن السَّيد البَطَّيُّوسِي (ص ٢٧).

(٢) ينظر مادة (خلف) في: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ١٢٤١)، «المصباح المنير» للفيومي (ص ١٧٨).

(٣) «الجدل» لابن عقيل (ص ٢٤١).

(٤) «التعريفات» للجرجاني (ص ١٠١).

○ «تقابل بين رأيين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه»<sup>(١)</sup>.

○ «ذهاب أحد الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر»<sup>(٢)</sup>.

وحقيقة الخلاف تتسع لتشمل الخلاف في المسائل التي تتناقض الأقوال الواردة فيها أو تتنوع دون تناقض، والمسائل التي قصّد أصحابها الوصول للحقّ أو مجرد الإلزام والإفحام؛ لذا يُعرّف الخلاف وفق هذا بأنّه: (تعدد الآراء في المسألة العلميّة الواحدة).

#### تعريف الاختلاف وعلاقته بالخلاف:

(الاختلاف) مصدر اختلف، وهو ضدُّ الاتّفاق<sup>(٣)</sup>، وأصل مادّة الخلاف والاختلاف واحدٌ، فالاختلاف على صيغة (افتعال) من (الخلاف)<sup>(٤)</sup>؛ لذا يقول الرّاعب (ؓ) في «المفردات» (ص ٢٩٤): «والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله»<sup>(٥)</sup>، فمعناها في اللّغة ضدُّ الاتّفاق.

وأما في الاصطلاح فالشّائع الذي عليه غالب العلماء أنّهما بمعنى واحد، وإن كان بعض الحنفيّة يرى اختلافاً بينهما في العرف العلميّ المستعمل في التّأليف؛ إذ أطلقوا (الاختلاف) على القول المبنيّ على دليل، و(الخلاف) على القول الذي لم يُبَيّن على دليل أو قول مرجوح<sup>(٦)</sup>.

#### ج- الخلاف باعتباره لقباً على علم (علم الخلافات):

ويعرّف الخلاف باعتباره لقباً على علم بأنه: «علمٌ يُعرّف به كيفيّة إيراد الحجج الشرعيّة في المسائل الفقهيّة، ودفع الشّبه وقوادح الأدلّة الخلافيّة؛ لرعاية الرأي الفقهيّ وإلزام الخصم»<sup>(٧)</sup>.

ولتوضيح المراد من علم الخلاف، نذكر طرفاً من مقدّماته<sup>(٨)</sup>:



(١) «التوقيف» للمناوي (ص ٤١).

(٢) «الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري (ص ١٥٧)، ونحوه تعريف ابن حزم في «الإحكام» (٤٦/١).

(٣) ينظر مادة (خلف) في: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ١٢٤٠)، «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص ٨٠٨).

(٤) ينظر: «التوقيف» للمناوي (ص ٤١).

(٥) وينظر: «بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (٢/ ٥٦٢)، وتعريف الفيومي السابق، حيث جمع بين الخلاف والاختلاف.

(٦) ينظر: «الدر المختار مع حاشية ابن عابدين» (٥/ ٤٠٣)، «الكليّات» للكفوي (ص ٦١)، «كشاف اصطلاحات الفنون» (١١٦/١).

(٧) ينظر: «أبجد العلوم» للّقنّوجي (ص ٣٩٢)، «المدخل» لابن بدران (ص ٤٥٠)، «كشف الظنون» (١/ ٧٢١)، «جامع العلوم في اصطلاحات الفنون» للّقنّوجي (٢/ ٢٦٢).

(٨) ينظر: «أبجد العلوم» للّقنّوجي (ص ٣٩٢).

○ فائدته وثمرته: دفع الشكوك والاعتراضات عن الرأي الفقهي، وإيرادها على القول المخالف.

○ استمداده: يستمد قواعده من علم البحث والمناظرة، ويستفيد مادته من علمي الفقه وأصوله.

○ نسبته إلى غيره: علم الخلاف نوعٌ خاصٌ من علم المناظرة؛ إذ يختص بالجانب الفقهي منه، فهو «الجدل الواقع بين أصحاب المذاهب الفرعية، كأبي حنيفة والشافعي رحمهما، وأمثالهما»<sup>(١)</sup>.

والمراد من (الخلاف) في هذا القسم من الكتاب معناه الاصطلاحي السابق وهو: (تعدد الآراء في المسألة العلمية الواحدة)؛ من حيث التأصيل على وجه العموم لأنواع الآراء الفقهية، وأسباب تعددها، وحكمها بتمييز ما يسوغ منها وما لا يسوغ، وحكم الخروج من الخلاف الناشئ بسبب تعددها أو مراعاة بعضها، والآداب التي ينبغي مراعاتها بين المختلفين من أصحاب الآراء المتعددة، إلى غير ذلك من الأمور التي تمثل مدخلا لفهم طبيعة الخلاف الفقهي والأصولي.



## المصطلحات والألفاظ ذات العلاقة بالخلاف:

### أ- النزاع:

هو الخلاف والخصومة، يقال: نازعته في كذا منازعةً ونزاعاً: خاصمته، وتنازعا فيه وتنازع القوم: اختلفوا؛ لذا يعبر بعض العلماء عن النزاع بالخلاف، ويعبر بعضهم عن الخلاف بالنزاع باعتبار ما يؤول إليه الخلاف من المنازعة، فيقال: اختلف العلماء أو تنازعوا في المسألة الفلانية على قولين -مثلاً-، ومن التعبير عن محل الخلاف بموطن النزاع<sup>(٢)</sup>.

### ب- الخصومة:

هي اسمٌ من التخاصم والاختصام، وخصمته إذا غلبته في الخصام، وهي المنازعة والجدل والغلبة بالحجة<sup>(٣)</sup>، وأصلها: أن يتعلّق كلٌ واحدٍ بخصم الآخر، أي: جانبه<sup>(٤)</sup>؛

(١) «مفتاح السعادة» لطاشكبري زاده (٢/ ٥٥٦).

(٢) ينظر: «المصباح المنير» للفيوم (ص ٦١٦) مادة (نزع)، «التوقيف» للمناوي (ص ١٥٨).

(٣) ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ١٨٠، ١٨٢) مادة (خصم)، «المصباح المنير» (٢/ ٦٠٠) مادة (نزع).

(٤) ينظر مادة (خصم) في: «مجمّل اللغة» لابن فارس (ص ٢٩١)، «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ١٨٧)، «المفردات» للراغب (ص ٢٨٤).

فالمخاصمة بمعنى المنازعة في الجملة، ومن ذلك التعبير في المسائل الخلافية عن المخالف بالخصم، ويقال: اختلف العلماء واختصموا، وهذا قول المخالف والخصم.

### ج- الجدل:

○ **الجدل لغة:** استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وجدلت الجبل أجذله جدلاً: إذا شددت قتله وقتلته قتلاً مُحْكَمًا؛ ومنه إطلاق الجدل على الخصومة لاستحكامها، وكثرة ما يقع من الاسترسال في مراجعة الكلام فيها، ولأن كل واحد من المتجادلين يحرص على أن يقتل الآخر عن رأيه<sup>(١)</sup>.

○ **واصطلاحاً:** للجدل عدة اعتبارات من جهة الاصطلاح:

◀ **اعتبار الهيئة الصادرة، وصفة الطرفين:** فإنَّ الجدل يُراد به: تفاوض بين متنازعين للإلزام؛ سواء كان فيه تحقيق حقٍّ، أو إبطال باطل<sup>(٢)</sup>.

◀ **في اصطلاح المناطقة:** فهو عندهم نوعٌ من الأقيسة والصناعات المذكورة في المنطق، وهي: البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة؛ فالجدل نوعٌ من مواد الأقيسة، والمراد منه: أنه قياسٌ مؤلف من مقدّمات مشهورة أو مسلمة، والفرض منه دفع قول الخصم<sup>(٣)</sup>.

◀ **اعتباره علماً على علم معيّن:** فهو: (علمٌ يتوصّل به إلى تصحيح ما يدّعيه، وإبطال نقيضه)<sup>(٤)</sup>، هذا بمعناه العام، ولكنه اختص بالمباحثة في مادّة معيّنة هي أصول الفقه، فيكون في الاصطلاح الخاص مشتهراً بالجدل الأصولي بالتحديد دون غيره «فالجدل إذن أصول فقه خاصّ»<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر مادة (جدل) في: «الصحاح» للجوهري (٤/١٦٥٣)، «مقاييس اللغة» لابن فارس (١/٤٣٣)، «المفردات» للراغب (ص ١٨٩)، «لسان العرب» لابن منظور (١١/١٠٣).

(٢) ينظر: «المتنخل» للغزالي (ص ٣٠٥)، «الحدود» لابن فورّك (ص ١٥٨)، «العدة» لأبي يعلى (١/١٨٤)، «الكافية» للجويني (ص ٢١)، «الفقيه والمتفقه» للخطيب البندادي (١/٥٥١)، «المنهاج» للباجي (ص ١١)، «التعريفات» للمرجاني (ص ٧٤).

(٣) ينظر: «التعريفات» للمرجاني (ص ٧٤).

(٤) ينظر: «الكاشف» للرازي (ص ٢٩)، «علم الجدّال» للطوفي (ص ٤)، ويعرف بأنه: (علمٌ باحثٌ عن الطرق التي يُقْتَدَرُ بها على إبرام أي وضع أريد، وهدم أي وضع كان). «مفتاح السعادة» (١/٢٨١)، «كشف الظنون» (١/٥٨٠).

(٥) «علم الجدّال» للطوفي (ص ٤)، وينظر: «التقرير والتجيب» لابن أمير الحاج (١/٢٦).

## ○ العلاقة بين الخلاف والجدل:

تختلف العلاقة بين الخلاف والجدل حسب المراد من كل منهما<sup>(١)</sup>:

◀ فإذا أُريدَ بهما المعنى الاصطلاحي دون اللقب العلمي، فالخلاف يعني: تعدّد الآراء مطلقاً، وأمّا الجدل فيعني تعدّد الآراء المقترن بذكر الأدلة بغرض الإلزام؛ فيكون الجدل أخصّ من الخلاف، لأنّه خلافٌ مع زيادة المنازعة بغرض الإلزام؛ فـ«لا يكون الجدل مع الاتفاق»<sup>(٢)</sup>.

◀ وإذا أُريدَ المقارنة بين علمي الخلاف والجدل، فيبينهما تباينٌ؛ إذ إنّ علوم النّظر ثلاثة<sup>(٣)</sup>:

- ١- علم المناظرة، وتسمّى آداب البحث، وهو علمٌ عامٌّ لا يختصّ بفنٍّ، وسيأتي بيانه.
- ٢- علم الخلافات، ويختصّ بالبحث الفقهيّ، وسبق الكلام عنه.
- ٣- علم الجدل، ويختصّ بالبحث الأصوليّ، كما مرّ قريباً.

## د- الافتراق:

○ الافتراق لغةً: ضدُّ الاجتماع، والفرق خلاف الجمع، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]<sup>(٤)</sup>.

○ والفرق بين الاختلاف والافتراق: أنّ الافتراق من أشدّ أنواع الاختلاف؛ فإنّ الاختلاف قد يصل إلى حدّ الافتراق وقد لا يصل؛ لذا فإنّ الافتراق اختلافٌ وزيادة، وعلى ذلك فكلُّ افتراقٍ اختلافٌ، وليس كلُّ اختلافٍ افتراقاً، فإنّ من الخلاف ما لا يوجب ترك الاجتماع؛ إذ لا يجوز الافتراق في المسائل التي يسوغ الاختلاف فيها<sup>(٥)</sup>.



(١) ينظر: مقدمة تحقيق «المنهاج» للبايجي (ص ٦م)، ومقدمة تحقيق «المتنخل» للغزالي (ص ٧٧)، «الجدل عند الأصوليين» (ص ١٥٩).

(٢) «الجدل» لابن عقيل (ص ١).

(٣) ينظر: «الجدل» لابن عقيل (ص ١)، «ترتيب العلوم» للمرعشي (ص ١٤٣).

(٤) «لسان العرب» لابن منظور (٢٩٩/١٠)، «تاج العروس» للزبيدي (٢٩٥/٢٩).

(٥) تفسير «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٥٤ - ٥٣/٢٥).



## هـ- التَّضَادُّ:

- التَّضَادُّ لغةً: الخلاف، فهما بمعنى واحد.
- واصطلاحًا: كون المعنيين بحيث يمتنع لذاتيهما اجتماعهما في محلٍّ واحدٍ من جهةٍ واحدةٍ، والمعنيان يسمَّيان بالمتضادَّين والضَّدين، فالضَّدانَّ هما الأمران الوجوديَّان الممتنع اجتماعهما في محلٍّ واحدٍ، والخلافان أعمُّ<sup>(١)</sup>.
- الفرق بين الاختلاف والتَّضَادُّ: أنَّ الخلاف أعمُّ من التَّضَادُّ اصطلاحًا؛ لأنَّ الخلاف -كما سيأتي- ينقسم إلى خلافٍ تنوُّعٍ وخلافٍ تضادٍّ، قال الرَّاغِبُ رحمهُ في «المفردات» (ص ١٥٦): «الخلاف أعمُّ من الضدِّ؛ لأنَّ كلَّ ضدَّين مختلفان، وليس كلُّ مختلفين ضدَّين»<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: «كشاف اصطلاحات الفنون» (١/٤٦٦)، وينظر: «الكليات» للكفوي (ص ٣١١)، «حاشية العطار على شرح المحلي على جمع الجوامع» (٢/٢٦٧).

(٢) وينظر: «لسان العرب» (٢/١٢٤١) مادة (خلف)، و(٣/٢٦٣) مادة (ضدد)، «التعريفات» للجرجاني (ص ١٧٩)، «الكليات» للكفوي (ص ٣١١، ٤٢٦).

## ثانياً: أنواع الخلاف

الخلاف الفقهي له اعتبارات كثيرة تؤثر في تقسيماته، وتعداد أنواعه، وتميز المقبول المشروع من المردود الممنوع؛ والخلاف تميز أنواعه وتختلف تقسيماته حسب أنواع المختلفين، وأنواع الفنون والعلوم التي ينتسبون إليها؛ من علوم العقائد والتفسير والحديث والفقه والأصول والنحو واللغة، إلى غير ذلك؛ والمقصود في هذا المعلم دراسة أنواع الخلاف الفقهي الواقعة بين الفقهاء حسب الاعتبار الآتية:

### ■ أنواع الخلاف باعتبار مادته وموضوعه:

ينقسم الخلاف الفقهي باعتبار مادته وموضوعه إلى قسمين؛ خلاف في أصول الفقه وأدلتها الإجمالية، وخلاف في الفروع الفقهية المتعلقة بأفعال المكلفين:

### ■ الأول: الخلاف في أصول الفقه ومصادر الاستدلال:

وهذا الخلاف يتعلق بـمآخذ الأحكام، ومصادر الفقه العامة، وقواعده الكلية التي يرجع إليها أصحاب كل مذهب في تأسيس أقوالهم واختياراتهم وترجيحاتهم؛ كخلافهم في:

- الاحتجاج ببعض أنواع الأدلة، مثل: القراءة الشاذة، والخبر المرسل، والاستحسان، والاستصلاح، والاستصحاب، وعمل أهل المدينة، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع.
- العمل ببعض قواعد الاستنباط في دلالات الألفاظ، مثل: حمل المطلق على المقيد، وحيثية مفهوم المخالفة، والخلاف في بعض المخصصات، إلى غير ذلك من مآخذ الأحكام المختلف فيها، والقواعد المتنازع عليها.

### ■ الثاني: الخلاف في الفروع العملية الجزئية:

وهو الخلاف الواقع بين المجتهدين المعبرين في أحكام فروع الفقه العملية بدءاً من الصحابة رضي الله عنهم ثم التابعين وأتباعهم ومن بعدهم؛ كأصحاب المذاهب الفقهية الأربعة الباقية، أو المنقرضة كـمذهب الأوزاعي وأبي ثور والليث والثوري وغيرهم -رحمة الله

على الجميع - ممن تُحكى أقوالهم في كتب الخلاف العالي والخلافيات<sup>(١)</sup>، ومن أبرز أسباب اختلافهم في الفروع - زيادة على الاختلاف الأصولي - اختلافهم في الدليل التفصيلي صحة أو ترجيحاً أو فهماً، وغير ذلك مما سيأتي في أسباب الخلاف.

وهذا النوع من أنواع الاختلاف الفروعِي يقول فيه البغوي<sup>(٢)</sup> في «شرح السنة» (٢٢٩/١) بأنه: «اختلاف رحمة أراد الله أن لا يكون على المؤمنين حرج في الدين؛ لأنَّ هذا الاختلاف كان بين أصحاب رسول الله ﷺ مع كونهم إخواناً مؤتلفين، رحماء بينهم، وتمسك بقول كل فريق منهم طائفة من أهل العلم بعدهم، وكل في طلب الحق وسلوك سبيل الرشد مشتركون، قال عون بن عبد الله: (ما أحبُّ أن أصحاب النبي ﷺ لم يختلفوا؛ فإنهم لو اجتمعوا على شيء فتركه رجل ترك السنة، ولو اختلفوا وأخذ رجل بقول واحد أخذ بالسنة)»<sup>(٣)</sup>.



### أنواع الخلاف باعتبار حقيقته وعلاقة الأقوال ببعضها:

وهو تقسيم بحسب علاقة الأقوال المتعددة ببعضها في المسألة الواحدة؛ فإما أن تكون علاقة تنوع وتآلف، أو تضاد وتنافر<sup>(٤)</sup>:

#### ■ الأول: خلاف التنوع:

وهو: ما تألفت فيه الأقوال، واقتضى كل واحد منها ما لا يقدح في الآخر أو ينقضه وينافيه؛ كالخلاف في صفات وهيئات وكميات لأعمال وردت الأدلة الشرعية بها جميعاً على جهة التخيير والتشويح، بحيث يصح أن يأتي المكلف ببعضها تارة، وبعضها تارة<sup>(٥)</sup>.

○ ومن أسمائه التي استعملها العلماء: اختلاف التغيرات<sup>(٦)</sup>، والتخيير<sup>(٧)</sup>، والاختيار والأولى<sup>(٨)</sup>، والمباح<sup>(٩)</sup>.

(١) ينظر: «إقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (١/١٥١)، «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٩/١٢٢).

(٢) وينظر: «الإبهاج» لابن السبكي (٦/٢٢٢٠).

(٣) ينظر: «منهاج السنة» (٦/١٢١)، «إقتضاء الصراط المستقيم» (١/١٤٩)، «مجموع الفتاوى» (١٣/٣٣٣، ٣٨١)، (١٩/١٣٩).

(٤) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤/٢٤٣).

(٥) ينظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن تقيية (ص ٣٣)، «مجموع الفتاوى» (١٣/٣٣٣، ٣٨١، ٣٩١)، «الموافقات» (٥/٢١٠).

(٦) ينظر: «المقدمات الممهدات» لابن رشد (١/٨٤).

(٧) ينظر: «الصواعق المرسله» لابن القيم (٢/٥١٨).

(٨) ينظر: «اختلاف الحديث» للشافعي (ص ٤٨٧)، «الأم» له (٢/٤٥٠).

- وحكمه: الجواز بحيث «لا يُعَنَّف فيه مَنْ فعله ولا مَنْ تركه»<sup>(١)</sup>.
- ومتعلِّقه: اختيار الأوَّلَى في المسائل التَّعبُدية التي ثبتت مشروعيتها على عِدَّة هيئات وصفات.

○ ومن أمثلته: «اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والشَّهَدَات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنَازة، إلى غير ذلك ممَّا قد شُرِّع جميعه»<sup>(٢)</sup>؛ فهذا الخلاف وإن كانت صورته صورة اختلافٍ في الظَّاهر، إلَّا أنَّه اتَّفَاقٌ في الحقيقة<sup>(٣)</sup>.

## ■ الثَّاني: خلاف التَّضاد:

وهو: ما تعارضت فيه الأقوال، واقتضى كُلُّ ما ينافي الآخر، كمن يوجب شيئًا والآخر يحرمه أو يبيحه؛ وهذا النوع هو الأغلب في الخلافات الفقهيَّة في المسائل الاجتهاديَّة.



○ حكمه: الجواز إن كان في دائرة المسائل الاجتهاديَّة التي يسوغ فيها الخلاف، وخلاف التَّضاد لا يكون واقعًا في نفس الشَّرع، وإنَّما يقع بالنَّسبة للنَّظر؛ لذا كان المصيب واحدًا عند جمهور العلماء، ولا يطلق القول على أحد المختلفين أنَّه أحلَّ ما حرَّم الله وحرَّم ما أحلَّ الله بمعنى الاستحلال والتَّعمُّد<sup>(٤)</sup>.

## ■ أنواع الخلاف باعتبار أثره:

وينقسم هذا الخلاف إلى مثير وغير مثير:

### ■ الأوَّل: الخلاف المثير:

الخلاف المثير: هو الذي تترتَّب عليه آثارٌ وأحكامٌ متباينة، وقد يكون هذا الأثر علميًّا، أو عمليًّا، والخلاف المثير يندرج تحت (الخلاف المعنوي)، وهو: الخلاف المحقَّق الذي تتوارد فيه الأقوال المتعددة على محلٍّ واحد، ولا يكون الخلاف فيه

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (١/٢٦٦).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (١/١٤٩).

(٣) ينظر: «الصواعق المرسلّة» لابن القيم (٢/٥١٩).

(٤) ينظر: «البرهان» للجويني (٢/٨٦٢)، «الرد على الإخنائي» (ص ٢٠٥)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/١٥١)، «رفع

اللام» (ص ٥٣).

مجرد خلافٍ لفظيٍّ في العبارة، بل يكون التَّنافي في المعنى<sup>(١)</sup>؛ وعلى ذلك فكل خلافٍ مثيرٍ هو خلافٌ معنويٌّ، وغالبًا ما يكون الخلاف المعنويُّ مثيرًا، ولا سيَّما في مسائل الفقه<sup>(٢)</sup>؛ وكثير من العلماء يطلق عبارة (الخلاف المعنوي) ويعني به أن له ثمرة، ويطلق عبارة: (الخلاف غير معنوي أو لفظي) ويقصد به أنه لا ثمرة له، ومن الأمثلة الفقهية والأصولية للخلاف المثير:

○ الأصل في الخلافات الفقهية أنها ثمرة؛ لتفاوت الأثر العملي المترتب عليها، مثل: اشتراط البسملة في الوضوء، وتعيين علة الربا في الأصناف الربوية، وتحديد نصاب السرقة، وغيرها من المسائل الفقهية.

○ الخلاف في اقتضاء النهي الفساد<sup>(٣)</sup>، وهو خلافٌ مثيرٌ لما يترتب عليه من الأحكام المتباينة، كخلافهم في الصَّلَاة في الدَّار المغصوبة.

#### ■ الثاني: الخلاف غير المثير:

الخلاف غير المثير: هو الخلاف الذي لا تترتب عليه آثارٌ شرعيةٌ مختلفةٌ أو أحكامٌ متباينةٌ؛ ومن أبرز صورته<sup>(٤)</sup>:

#### الخلاف اللفظي:

وهو الاختلاف في اللفظ والتعبير مع الاتفاق في المعنى لعدم توارد الخلاف على محلٍّ واحد، ويكون سببه الاختلاف في التعبير واللفظ دون اختلافٍ محققٍ في المعنى؛ لذا فهو خلاف عبارة ومبنى، وليس خلاف حقيقة ومعنى، وهو يقابل الخلاف المعنوي المذكور آنفًا<sup>(٥)</sup>، ومثاله الفقهية:

○ اختلاف المالكية فيما بينهم في طهارة جلد الميتة المدبوغ؛ فقال أكثرهم: «مطهرٌ طهارةً مقيدةً، أي: يستعمل في اليابسات والماء وحده»، وقيل: «نجسٌ، ولكن

(١) ينظر: «البرهان» للجويني (١/١٩٠)، «الإبهاج» لابن السبكي (٢/١٠٦)، «الموافقات» (٥/٢١٣)، «رفع النقاب» للشوشاري (١/١٠٧)، «أنواع الخلاف الفقهي» للبوشخي (ص ٩٠).

(٢) وقد يكون الخلاف معنويًا، إلا أنه لا ثمرة حقيقية له، مثل: مسألة تعبد النبي ﷺ قبل البعثة بشرع التي اختلف فيها الأصوليون مع أنها لا ثمرة لها. ينظر: «شرح تنقيح الفصول» للقرافي (ص ٢٩٧).

(٣) وقد أفردها لأهميتها العلائقي في كتابه: «تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد».

(٤) لم نجعل الخلاف غير المثير هو الخلاف اللفظي؛ لأنه يتصور أن يكون في المسألة خلاف معنوي حقيقي لكن لا ثمرة له علمية أو عملية، وسبق الإشارة إلى ذلك في الهوامش السابقة قريبًا.

(٥) ينظر: «الإبهاج» لابن السبكي (٢/١٠٦). «سلم الوصول» للمطيعي (١/٧٦)، «حاشية ابن عابدين» (٦/٣٣٧).



رُخص في استعماله في ذلك؛ ولذلك لا يُصلَّى عليه»، قال خليل بن إسحاق المالكي: «وهو خلافٌ لفظي»<sup>(١)</sup>.

## ■ أنواع الخلاف باعتبار بقاءه ودوامه :

### ■ الأول: الخلاف الدائم الثابت،

وهو الذي تكون أسبابه ذاتيةً أصيلةً، ويصعب رفعه أو إزالته؛ لعدم الجزم بالمصيب أو المخطئ في المسألة في نفس الأمر؛ ومن ذلك: الاختلاف في مسألة لم يرد فيها نصٌّ، فتفاوت الأُفهام في إدراك حكمها، وتختلف طرق الاحتجاج الموصلة إلى الحقِّ فيها، ومن ثمَّ يظلُّ الخلاف ثابتاً، أو الخلاف في دلالة نصٍّ ثابتٍ لوجود عدَّة احتمالاتٍ سائغةٍ فيه، وغيرها من الأسباب الدَّاعية لبقاء الخلاف المعترَّب بين المسلمين.

### ■ الثاني: الخلاف الطارئ العارض،

وهو الذي تكون أسبابه طارئةً ومؤقتةً، ويسهل رفعه وإزالته برفع تلك الأسباب وإزالتها؛ كالخلاف بسبب عدم العلم بالنصِّ، فإذا عُلِم زال الخلاف؛ ومن ذلك: إفتاء أبي هريرة رضي الله عنه بخلاف الحديث الوارد فيمن أصبح جنباً في رمضان أنّه يتمُّ صومه<sup>(٢)</sup>، فلمَّا بلغه الحديث رجع إليه وزال الخلاف، وفي بيان هذه الأسباب العارضة كتب ابن تيمية رحمه الله كتابه المشهور «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».

## ■ أنواع الخلاف باعتبار مرتبته :

الخلاف باعتبار مرتبته ينقسم إلى عاليٍ أو كبيرٍ، ونازليٍّ أو صغيرٍ<sup>(٣)</sup>:

### ■ الأول: الخلاف العالي؛

ويسمَّى الكبير، وهي المسائل التي وقع فيها الخلاف بين العلماء من الأئمة المجتهدين وشتَّى المذاهب كالأربعة وغيرها<sup>(٤)</sup>، ومظنَّة هذا الخلاف: المدوَّنة الفقهيَّة المقارنة وكتب الخلافات؛ مثل كتاب: «الأوسط» لابن المنذر، و«المحلَّى» لابن حزم، و«اختلاف العلماء» لابن جرير الطبري، ومن كتب الفقه العالي التي كتبها أصحاب المذاهب تأييداً لمذهبهم:

(١) «التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب» لخليل (٤٦/١)، «مواهب الجليل» (١٠١/١).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣١)، ومسلم (١١٠٩).

(٣) ينظر: «الفكر السامي» للحجوي (٧٠/٢).

(٤) ينظر: «القوانين الفقهية» لابن جُزَي (ص٧)، «مواهب الجليل» للحطَّاب (٢٤٥/١).

- «المبسوط» للسرخسي، و«بدائع الصنائع» للكاساني عند الحنفية.
  - و«عيون الأدلة» لابن القصار، و«الاستذكار» لابن عبد البر عند المالكية.
  - و«الخلافيات» للبيهقي، و«الحاوي الكبير» للماوردي عند الشافعية.
  - و«رؤوس المسائل» لأبي المواهب العكبري، و«المغني» لابن قدامة عند الحنابلة.
- **الثاني: الخلاف النازل:**

ويسمى الضعيف، وهو تحرير مسائل مذهب ما ببيان الصحيح والضعيف في فروعه، انطلاقاً من أصوله وقواعده، ويُقصد به الخلاف المذهبي بين علماء ومجتهدي المذهب الواحد؛ كالخلاف داخل المذهب الحنفي أو المالكي أو غيرهما، ومظنة هذا الخلاف الكتب التي تُعنى بتحقيق روايات إمام المذهب وأقواله ووجوه أصحابه، ومنه: خلاف المالكية في تفضيل الصوم على الفطر في السفر، أو عكسه، أو يتساويان<sup>(١)</sup>، وخلاف الحنابلة فيما إذا سُمي مهرًا فاسدًا كالخمر ثم طلقها قبل الدخول بها، فهل عليه نصف مهر المثل، أو لا مهر عليه وإنما يمتعها بما يراه من مالٍ؟<sup>(٢)</sup>

### ■ **أنواع الخلاف باعتبار درجته:**

تتعدد أنواع الخلاف بحسب درجته إلى خلاف قوي، وضعيف<sup>(٣)</sup>:

#### ■ **الأول: الخلاف القوي:**

وهو الخلاف السائغ الذي تتنازعه الأدلة الصحيحة، وقوة الخلاف على مراتب، بحسب دقة المسألة، وخفاء أدلتها، ووجود النصوص فيها أو قلتها أو تعارضها.

○ **ومن أمثلته:** الخلاف في زكاة الحلي المعد للاستعمال، وقراءة المأموم الفاتحة.

#### ■ **الثاني: الخلاف الضعيف والشاذ:**

والخلاف الضعيف هو القول الذي ضُفّ دليله، وعورض بأدلة أخرى صحيحة صريحة<sup>(٤)</sup>، والذي يخالف ما عليه جماهير أهل العلم.

(١) ينظر: «التنبية على مبادئ التوجيه» للتونجي، قسم العبادات (٢/ ٧٢٧).

(٢) ينظر: «الشرح الكبير مع الإنصاف» (٢١/ ٢٧٢)، «الفروع وتصحيحه» (٨/ ٣٥٠).

(٣) ينظر: «الفروق» للقرافي (٢/ ١٠٩)، «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٣٧)، «الموافقات» للشاطبي (٤/ ١٧٠-١٧١)، حاشية ابن عابدين (٢/ ١٨٠).

(٤) ينظر: «الموافقات» للشاطبي (٥/ ١١٥).



أما الشاذُّ فهو المخالف للإجماع المستقرُّ، أو لقطعيِّ النصوص، أو القياس الجليِّ، أو القواعد الكلِّيَّة المستمرَّة، لذا فهو خلافٌ ملغى ولا يُعوَّل عليه لظهور بطلانه.

فيلحق كلُّ من الخلاف الضَّعيف والشاذُّ بالخلاف غير الجائز، ويعدُّ الأخذ به أخذًا بزلة العالم، وهو ممنوعٌ شرعًا.

وهذا الاصطلاح متعلِّقٌ بالخلاف العالي، أمَّا الخلاف المذهبيُّ فلقوَّة القول وضعفه وشذوذه في كلِّ مذهبٍ اعتباراتٌ أخرى، تختصُّ بالترجيح المذهبيِّ.

○ ومن أمثلتهما: قول الخوارج بتوريث قاتل مورثه عمدًا، والخلاف في ربا النَّد، ونكاح المتعة<sup>(١)</sup>.

والرأي الضَّعيف والشاذُّ إذا صدر من عالمٍ معتبرٍ فإنَّه لا يُسقط مرتبته، بل يكون زلةٌ تُغفر في بحر حسناته وفضائله، ولا يكون ذلك الخطأ مدعاةً للقدح فيه، أو ذريعةً للأخذ بقوله.

### أنواع الخلاف باعتبار حكمه:

ينقسم إجمالاً إلى: خلافٍ مقبولٍ وهو السَّائغ، ومردودٍ وهو غير السَّائغ، ولكلٍّ منهما تفاصيل تأتي لاحقاً<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: «المغني» لابن قدامة (١٥٠/٩)، «جامع العلوم والحكم» (٢٥٥/٢)، «الموافقات» (١٣٩/٥).

(٢) ينظر تفصيل القول في: المَعْلَم الثاني (الحكمة من الخلاف وحُكْمُهُ) (ص ٢٩) من هذا المقرر.

## الأنشطة

### النشاط الأول:

ذكر ابن أمير الحاج في «التقرير والتحجير» (٢٦/١) تعريفًا لعلم الخلاف. بين التعريف الذي ذكره برجوعك إلى المصدر، ثم قارنه بالتعريف الذي درسته.

### النشاط الثاني:

حدّد العلم الذي ينتمي إليه كل كتاب مما يلي:  
(أصول الفقه - الفقه - الجدل - الخلاف)

الكتاب	العلم الذي ينتمي إليه
«الحاوي الكبير» للماوردي	
«الجدل على طريقة الفقهاء» لابن عقيل	
«شرح تنقيح الفصول» للقرافي	
«المقنع» لابن قدامة	
«الرّد على سير الأوزاعي» للقاضي أبي يوسف	
«المستصفى» للغزالي	

### النشاط الثالث:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

استخرج من الآية السابقة مصطلحًا قريبًا من مصطلح الخلاف، وبين معناه، وعلاقته بمصطلح الخلاف.

### النشاط الرابع:

يُبين أقرب مصطلح يمثل الصور التالية من المصطلحات التي درستها في هذا المعلم:

أقرب مصطلح يمثلها	الصورة
	اختلف زيدٌ وصالحٌ في مسألة، ثمَّ عقدا مجلسًا لينصر كلُّ واحدٍ منها رأيه.
	اختلف سعدٌ وعمرٌ في مسألة؛ فأدّى ذلك للمشاحنة والعداوة بينهما.
	حاول أحمد الجمع بين رأيي صاحبيه المختلفين، فوجد أنَّ كلَّ قولٍ منهما لا يمكن أن يجتمع مع الآخر.

### النشاط الخامس:

صل كل نوع من أنواع الخلاف التالية بمثاله في العمود المقابل:

خلاف بعض الصحابة في صحة الوضوء بماء البحر	خلاف نازل في مسألة فقهية
الخلاف بين الشافعية في اشتراط التتابع في صوم كفارة اليمين	خلاف شاذ في مسألة أصولية
القول بجواز تقليد مجهول العلم والعدالة	الخلاف العارض

### النشاط السادس:

إذا كان الخلاف اللفظي وغير المثمر لا يؤثر في الفقه، ولا العقيدة، ولا أصول الفقه، فقد يقال: فما الفائدة من العلم به ودراسته؟

بالتعاون مع زميلك: اذكر ثلاث فوائد للخلاف اللفظي، ثم قارن إجابتك بما ذكره د. عبد الكريم النملة في كتاب: «الخلاف اللفظي عند الأصوليين».

### النشاط السابع:

بالتعاون مع مجموعتك: اذكر كتابًا من كتب الخلاف النازل (المذهبي) في كل مذهب من المذاهب الأربعة، واستخرج مسألة فيها خلاف مذهبي من كل كتاب منها.

### النشاط الثامن:

استنبط اعتبارًا آخر لتقسيم الخلاف، واذكر الأنواع المندرجة تحته.

# المعلم الثاني:

## الحكمة من الخلاف وحكمه

### ■ الحكمة من الخلاف:

- فوائد وجود الخلاف.
- فوائد دراسة الخلاف.

### ■ حكم الخلاف:

- الخلاف السائغ.
- الخلاف غير السائغ.

### ■ الإنكار في مسائل الخلاف:

- تحرير قاعدة (لا إنكار في مسائل الخلاف).
- حكم الإنكار في مسائل الخلاف.
- شروط الإنكار في مسائل الخلاف.



## أهداف المَعْلَم

بعد الانتهاء من هذا المَعْلَم يُتَوَقَّع من الطَّالِب أن:

١. يبيِّن الحكمة من الخلاف.
٢. يحدّد حكم الخلاف.
٣. يربط بين حكم الخلاف ونوعه.
٤. يستدلّ على حكم الخلاف.
٥. يحرّر لفظ قاعدة (لا إنكار في مسائل الخلاف).
٦. يربط بين أنواع الخلاف وحكم الإنكار.



## نشاط استهلاكي

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة، ثم قوِّم إجابتك بعد قراءة المعلم.

الخلاف المعتبر علامة على مرونة شريعة الإسلام، ويساعد على إيجاد الأحكام والحلول للحوادث والمستجدات.

لم يقع خلاف في عهد النبي ﷺ وهذا من أدلة تحريمه.

لا يسوغ الخلاف في المسائل التي يكون دليلها قطعي الثبوت ظني الدلالة.

من صور الخلاف الممنوع: خلاف العامة في المسائل الاجتهادية.

وجود الخلاف بين العلماء في أمر من الأمور يصيرُه مباحًا.

## أولاً: الحكمة من الخلاف

الخلاف سُنَّةٌ كونيَّةٌ، وحقيقةٌ شرعيَّةٌ؛ فالعقلاء النُّصحاء يتَّخذون منه سبباً للحياة العلميَّة الصَّحيَّة التي تنهض فيها الآراء المختلفة بالقيام بأعباء العلم والفقه، وأمَّا غيرهم من أصحاب الأغراض والأهواء فيتَّخذونه سبباً لتفريق الأمَّة، وشقِّ صفِّها، وتشتيت كلمتها، وإلقاء الوهن والحيرة والرَّيبة في نفوس أبنائها.

### ب: الحكمة من الخلاف وفائدة معرفته:

مسائل الشَّرْع العمليَّة ضربان: ضربٌ لا يسوغ فيه الخلاف، كالمسائل المقطوع بها والمُجمَع عليها والمعلومة من الدِّين بالضرَّورة، وضربٌ يسوغ فيه الخلاف لوجود موجب الصَّحيح في الظَّنَّيات التي تتفاوت فيها المدارك والأفهام؛ ووقوع الخلاف السَّائغ في الظَّنَّيات له حِكَم كثيرةٌ وعوائدٌ جسيمةٌ، وفوائد الخلاف على قسمين:

#### أ- فوائد وجود الخلاف:

- ١- الخلاف يؤدِّي إلى إعمال وظيفة الاجتهاد التي هي من أشرف الوظائف والعبادات؛ ولشرفها رتَّب الشَّرْع عليها الأجر والثَّواب لجميع المجتهدين الذين استفرغوا وسعهم في البحث والنَّظر؛ سواءً من أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ.
- ٢- الخلاف يجعل المفتي والمجتهد يتمهَّل في إصدار رأيه حتَّى يطلَّع على أقوال غيره وأدلَّتْهم؛ لذا اشترط العلماء في المجتهد معرفة الخلاف.
- ٣- في الخلاف السَّائغ المعتبَر استمرارٌ لعطاء حركة الفقه، وعلامةٌ على مرونة الشَّريعة الإسلاميَّة، وإيجادها الأحكام والحلول للحوادث والمستجدَّات؛ لأنَّ كثيراً من المسائل العمليَّة -ولا سيَّما النَّوازل- يظهر فيها الخلاف؛ لعدم ورود نصٍّ خاصٍّ بشأنها، أو اختلاف طرق الاجتهاد الموصلة إلى الحكم فيها، وتفاوت مدارك المجتهدين وأنظارهم في شأنها<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: «أعلام الموقعين» لابن القيم (٢٠٨/٦) وفيه: (والحاجة داعية إلى ذلك [الاجتهاد] لكثرة الوقائع واختلاف الحوادث).

٤- يُبرز الخلاف مراتب المجتهدين وتفاوت درجاتهم في العلم والفهم والاستنباط، وفي الحديث: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>، «فَدَلٌّ عَلَى أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْلَمُهَا، وَإِنَّمَا هِيَ مُشْتَبِهَةٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْلَمْهَا»<sup>(٢)</sup>.

٥- تمييز المتأدبين بأخلاق الخلاف من غيرهم، ومن يحفظ الأخوة ومقتضياتها مع وجود الخلاف، ومن لا يحفظها ويصونها لمجرد الخلاف، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفَقْ فِي مَسْأَلَةٍ»، ذكره الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» (١٧/١٦)، ثم قال: «وهذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه؛ فما زال النظراء يختلفون».

### ب- فوائد دراسة الخلاف:



١- يعكس الخلاف صورة من صور كمال الشريعة وشمولها وسعتها؛ لما في تعدد الأقوال وتنوع الآراء من توسعة على المكلفين الذين تتفاوت أحوالهم وتختلف ظروفهم؛ ذلك أن الخلاف في كثير من الأحيان يكون خلاف عصر وزمان لا خلاف حجة وبرهان.

٢- يتيح التعرف على الاحتمالات التي يصح أن يكون الدليل دالاً عليها بوجه من وجوه الدلالة، قال النووي رحمه الله في «المجموع» (٥/١): «واعلم أن معرفة مذاهب السلف بأدلتها من أهم ما يحتاج إليه؛ لأن اختلافهم في الفروع رحمة، وبذكر مذاهبهم بأدلتها يعرف المتمكن المذهب على وجهها، والراجح من المرجوح، ويتضح له وغيره المشكلات، وتظهر الفوائد النفيسة، ويتدرب الناظر فيها بالسؤال والجواب، ويتفتح ذهنه، ويتميز عند ذوي البصائر والألباب، ويعرف الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، والدلائل الراجحة من المرجوحة، ويقوم بالجمع بين الأحاديث المتعارضات، والمعمول بظاهرها من المؤولات، ولا يشكل عليه إلا أفراد من النادر».

٣- الوقوف على مرتبة المسألة الفقهية: فإن لم يوجد فيها خلاف فهي إجماعية، وإن كان الخلاف نادراً أو يقابله نص صريح قاطع فهو خلاف شاذ، وإن كان سائغاً فلا يصح الإنكار فيه على المخالف.

٤- نمو الملكة الفقهية، وحصول المرونة الذهنية، بسبب كثرة النظر في مسائل الخلاف، ومعالجة بحثها، واستنباط أحكامها<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٥٢، ٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) «المجموع» للنووي (٥/١).

(٣) ينظر: «مفتاح السعادة» لطاشكيري زاده (٢٨٣/١).

## ثانياً: حكم الخلاف

الخلاف من حيث حكمه ينقسم إلى خلافٍ سائغ، وخلافٍ غير سائغ:

### ■ الخلاف السائغ:

ويُطلق عليه المقبول أو المعتبر، وهو: «ما كان يحتمل التأويل، ويُدرك بالقياس، فيذهب أحد المجتهدين إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس، وهو خلافٌ معتبر، لا يُضيق فيه على المختلفين»<sup>(١)</sup>، وهو الواقع:

- من أهل الاجتهاد ممن تأهل للنظر في الشرع، وحقّق شروط الاجتهاد في المسألة.
- وفي محلّ يجوز النظر فيه، وهي المسائل الاجتهادية من الظنّيات<sup>(٢)</sup>.

### ■ أدلة جواز الخلاف السائغ:

يُعدّ هذا الخلاف ضرورةً فرضتها طبيعة النصوص الشرعية -ظنية الدلالة أو الثبوت- وتفاوت مدارك المجتهدين وأفهامهم؛ لذا لا مسوّغ لإنكاره، خاصّة مع تظاهر الأدلة على جوازه، ومنها:

- ١- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وفيه دلالة على أنّ التنازع أو الخلاف في حدّ ذاته من الأمور الطبيعية التي لا يُنهى عنها، وإنّما يوضع لها القواعد الحاكمة والضوابط التي تضبطها، ومن أهمّها ردّ الخلاف إلى نصوص الشرع وقواعده.
- ٢- ثناء الله تعالى على داود وسليمان عليهما السلام، مع بيانه أنّ الذي أصاب الحكم هو سليمان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ فَقَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ وَكَلَّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩].
- ٣- أنّ الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا بين يدي النبي صلى الله عليه وآله في مسائل محتملة، فلم يعنف واحداً منهم، كما في حديث الصلوة في بني قريظة<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: «الرسالة» للشافعي (ص ٥٦٠)، «الموافقات» للشاطبي (١٤٠/٥).

(٢) ينظر: «المستصفى» للغزالي (ص ٣٦١)، «الموافقات» للشاطبي (٢١٠/٥).

(٣) أخرجه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، وينظر: فتح الباري لابن حجر (٤١٠/٧).

٤- أن النبي ﷺ قال: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، وفتح باب الاجتهاد وإثابة المخطئ الذي استفرغ وسعه في طلب الحق وإن لم يصبه دليل على تجويز الاختلاف، ولا سيما مع تفاوت مدارك المجتهدين، واختلاف طرق استدلالهم، «ودرك الصواب في جميع أعيان الأحكام؛ إما متعذراً أو متعسراً» (٢).

٥- أن النبي ﷺ لم يعنف الصحابيَّ اللذين حضرتها الصلاة وليس معهما ماء، فتيمما فصلياً ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما دون الآخر، فقال ﷺ للذي لم يُعِد: «أَصَبْتَ السُّنَّةَ، وَأَجْرَ أَتَكَ صَلَاتُكَ»، وقال للذي توضأ وأعاد: «لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ» (٣)؛ ودلالته على اعتبار الخلاف السائغ كسابقه.

٦- أن الصحابة رضوا بعد عهد الرسول ﷺ تنازعوا في مسائل من العبادات والنكاح والموارث وغير ذلك، وأنفقوا مع ذلك على إقرار كل فريق للآخر على العمل باجتهاده (٤).



وعموماً فالاستدلال على جواز هذا النوع من الخلاف يُلخص في: وقوعه في عهد النبي ﷺ وأصحابه رضوا، وفي النصوص الآمرة بالاجتهاد لمن قدر عليه، وطبيعة النصوص الظنية الدلالة أو الثبوت التي تتفاوت فيها أفهام ومدارك المجتهدين.

### ❖ الخلاف غير السائغ:

ويطلق عليه الخلاف الممنوع، أو المحرّم، أو المردود، أو غير المعتبر، وهو: الرأى الصّادر من غير إذن شرعي؛ وكونه غير مأذون فيه يرجع إلى نوع المسألة أو إلى المخالف:

#### ■ الموطن الأول للخلاف الممنوع: من جهة المسألة محل النظر:



ومن أبرز صور هذا القسم من الخلاف الممنوع:

١- ما يخالف النصوص الشرعية القطعية والمعلوم من الدين بالصّورة ممّا يُعدُّ من «العلم العامّ الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

(٢) «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٣٨)، وينظر: «الفكر السامي» للحجوي (١/ ١٢٣) ..

(٣) أخرجه أبو داود (٣٣٨) وأعله بالإرسال، والحاكم في «المستدرک» (١/ ٢٨٦) وصححه.

(٤) ينظر: «الرسالة» للشافعي (ص ٥٦٠).

ولا التأويل؛ مثل: الصلوات الخمس، وصوم رمضان، والحج، والزكاة، وتحريم الزنا والقتل والسرقه والخمر، وما كان في معنى هذا ممّا كُلف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويُعطوه من أنفسهم وأموالهم»<sup>(١)</sup>.

٢- الخلاف المفضي إلى خرق الإجماع الذي تتابع عليه أهل العلم بغير نزاع بينهم.

٣- الخلاف المفضي إلى التأويل البعيد الذي لا تحتمله اللغة ولا قواعد الشرع ومقاصده إلا بتكلف ظاهر، ولا تؤيده القرائن المرجحة<sup>(٢)</sup>.

٤- الخلاف الذي مأخذه «غاية في الضعف والبعد من الصواب، فلا نظر إليه»<sup>(٣)</sup>.

٥- الخلاف فيما خفي فيه قصد الشارع وانقطع الرجاء في معرفة حقيقة معناه؛ فإنّ قصد الشارع: إمّا أن يكون واضحاً قطعاً في إثبات الحكم أو نفيه، وهو (المحكم)، فهذا لا يسوغ الخلاف فيه، وإمّا أن يكون مُحْتَمَلاً لأحدهما نفيًا وإثباتًا؛ فإذا قوي الاحتمال بحيث ترجّحت إحدى الجهتين، فهو قسم (المجتهدات)، وإن لم يقوَ وتساوى الاحتمال فيه فهو ملحق بقسم (المشبهات) التي لا يجري فيها الخلاف بسبب عدم وضوحها بالنسبة لأنظار المجتهدين<sup>(٤)</sup>.

#### ■ الموطن الثاني للخلاف الممنوع: من جهة المخالف الذي صدر منه القول؛

ومن أبرز صور هذا القسم من الخلاف الممنوع، وضوابط معرفته:

١- خلاف غير المتأهل للاجتهاد والفتوى، فإنّ العامة «يلزمهم اتّباع العلماء فيما ذهبوا إليه، ولا يجوز لهم مخالفتهم»<sup>(٥)</sup>، وكذلك المجتهدون في علوم أخرى غير الفقه؛ فإنّ «المعتبر في كلّ فنّ أهل الاجتهاد في ذلك الفنّ وإن لم يكونوا من أهل الاجتهاد في غيره، فيعتبر... في الفقه: الفقهاء»<sup>(٦)</sup>؛ ذلك أنّ من لم يتأهل ويحصل ما يفتقر إليه الاجتهاد فحقيقة قوله أنّه رأيٌ بمجرد التشهي؛ ويدخل في هذه الصورة: إذا قصر المجتهد المتأهل في نظر المسألة فأفتى ببدائي الرأي دون بذله الوسع فيما يجدر به ذلك.

(١) «الرسالة» للشافعي باختصار (ص ٣٥٧)، وينظر: «الموافقات» للشاطبي (١١٥/٥).

(٢) ينظر: «المجموع» للنووي (٣/١٩٦)، «أسباب اختلاف الفقهاء» للصاعدي (ص ٥٠).

(٣) «قواعد الأحكام» للغز بن عبد السلام (١/٢١٦).

(٤) ينظر: «الموافقات» للشاطبي (٥/١١٤ - وما بعدها).

(٥) «الإشارة» للباجي (ص ٢٧٦)، وينظر: «الأوسط» لابن المنذر (٦/٥٣٥).

(٦) «شرح تنقيح الفصول» للقرافي (ص ٣٤١)، وينظر: «تقريب الوصول» لابن جزى (ص ١٨٤)، «الفائق» للصفى الهندي

(١/٣٢١)، «رفع النقاب» للشوشاوي (٤/٦٦٦).



٢- الخلاف لغرض غير شرعي كأن يكون بداعي الهوى والعصبيّة والبغي؛ فإنه لا عبرة به في الشرع لما يؤول إليه من الفساد في الاستدلال والتقرير والمحااجة، وكذلك كل خلاف يقصد منه المخالف غرضاً مذموماً، كتقرير الباطل، أو الفتنة بين المسلمين، أو مجرد الظهور والاستطالة على العلماء.

وسواءً أكان الخلاف غير سائغ من جهة محلّ الاجتهاد أو من جهة المخالف؛ فإنه خلاف محرّم لا يجوز تقحّمه، و«لا إشكال في أطراحه، ولكن العلماء ربّما ذكروه للتنبية عليه وعلى ما فيه، لا للاعتداد به»<sup>(١)</sup>.



### ■ أدلة تحريم الخلاف غير السائغ

من أدلة تحريمه عموم الآيات والأحاديث التي تخوّف من مفارقة الجماعة، ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقد استدلّ عدد من العلماء بهذه الآية على حجّية الإجماع ووجوب العمل به<sup>(٢)</sup>، ونقل الجويني رحمه الله الاتفاق على تبكيت من يخالف الإجماع، وعلى نسبة المخالف إلى المروق والمحادّة والعقوق، وأن العلماء لا يعدّون ذلك أمراً هيئاً، بل يرون الاجترار على مخالفة العلماء ضللاً لا بيناً<sup>(٣)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، وقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وغيرها من الآيات في هذا المعنى والتي فيها دلالة على ذم الاختلاف بعد ورود البيّنات، وأن «كلّ ما أقام الله به الحجّة في كتابه أو على لسان نبيّه منصوباً بيناً، لم يحلّ الاختلاف فيه لمن علمه»<sup>(٤)</sup>.



(١) «الموافقات» للشاطبي (١٣٩/٥)، وينظر: (١٦٧/٤).

(٢) ينظر: «الإشارة» للباجي (ص ٧٢)، وينظر: «المعتمد» لأبي الحسين البصري (٣٨/٢)، «التبصرة» للشيرازي (ص ٣٤٩)، «الإحكام» للأمدّي (٢٠٠/١)، «الإبهاج» لابن السبكي (٢٠٣٧/٥).

(٣) ينظر: «البرهان» للجويني (١/٤٣٧-٤٣٨)، وينظر: «المستصفى» للغزالي (ص ١٣٨-١٣٩).

(٤) «الرسالة» للشافعي (ص ٥٦٠).

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمَيِّتٌ جَاهِلِيٌّ»<sup>(١)</sup>، وقد دلَّ هذا الحديث على حرمة مفارقة الجماعة؛ وهذه المفارقة كما تكون بالأبدان تكون بالأقوال وتعمد الجهر بالآراء الشاذة والمهجورة، قال الإمام الشافعي رحمه الله في «الرسالة» (٤٧٥/١): «مَنْ قَالَ بِمَا تَقُولُ بِهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ لَزِمَ جَمَاعَتَهُمْ، وَمَنْ خَالَفَ مَا تَقُولُ بِهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ خَالَفَ جَمَاعَتَهُمُ الَّتِي أُمِرَ بِلِزْوِمِهَا».

وهكذا كلُّ ما ورد من النصوص في ذمِّ الاختلاف؛ فالمراد به ما خرج عن حدِّ الشرع، والاختلاف في مثل هذه المعاني التي لا يسوغ فيها الخلاف لا يكاد يُتصوَّر صدوره من العلماء المجتهدين الأعلام المشهود لهم بالعدالة والدين، فإذا وقع من أحدهم نحوه، فيُعتذر له بخفاء الدليل عليه أو أنه لم يبلغه، مع عدم جواز متابعته في مخالفته؛ لذا لم يعتدَّ السلف بالاختلاف في مسألة ربا الفضل والمتعة، وغيرها من المسائل التي خفيت فيها الأدلة على من خالف منهم فيها<sup>(٢)</sup>، ف«ليس لأحدٍ من علماء الأُمَّة أن يُثبِت حديثاً عن النبي ﷺ ثُمَّ يَرُدُّهُ دُونَ ادِّعَاءِ نَسْخٍ عَلَيْهِ بِأَثَرٍ مِثْلِهِ، أَوْ بِإِجْمَاعٍ، أَوْ بِعَمَلٍ يَجِبُ عَلَى أَصْلِهِ الْإِنْقِيَادُ إِلَيْهِ، أَوْ طَعْنٍ فِي سَنَدِهِ؛ وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ أَحَدٌ سَقَطَتْ عَدَالَتُهُ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يُتَّخَذَ إِمَامًا، وَلِزِمَهُ إِثْمُ الْفُسْقِ»<sup>(٣)</sup>.



الإجماع بالخطف

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤) ومسلم (١٨٤٩).

(٢) ينظر: «الموافقات» للشاطبي (١٣٩/٥).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١٤٨/٢)، وينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٤٦/٢٣).



### ثالثاً: الإنكار في مسائل الخلاف

سبق بيان أن الخلاف يتنوع باعتبار حكمه إلى نوعين: سائغ وغير سائغ، وعليه فإن حكم كل واحد منهما يخالف الآخر من حيث الإنكار على المخالف، وهذا ما توضحه قاعدة الإنكار في مسائل الخلاف.

#### ١- تحرير قاعدة (لا إنكار في مسائل الخلاف):

الإنكار هو الاحتساب، ويعني: «الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله»<sup>(١)</sup>، وقد اشتهرت بين العلماء قاعدة (لا إنكار في مسائل الخلاف)، ومن ألفاظها: «لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه»<sup>(٢)</sup>، ومعناها: أنه ليس لأحد أن يعترض على آخر بالتعنيف أو العيب لمخالفته في مسألة فقهية يسوغ الخلاف فيها؛ وهذا الخلاف السائغ هو الذي تُنزل عليه هذه القاعدة، خاصة أن العلماء الذين قرروا فرقوا بينه وبين الخلاف غير السائغ، وأن غير السائغ يُنكر فيه على صاحبه إذا خرق إجماعاً صحيحاً، أو صادم نصاً، أو شدَّ عن اتفاق المسلمين المعروف المستقر، أو خالف قياساً جلياً<sup>(٣)</sup>.

وبسبب الإطلاق الوارد في هذه القاعدة واحتمالها في لفظها عدم الإنكار في أي خلاف مطلقاً، وأن البعض قد يستغلها في تتبع الشذوذات وسد باب الحسبة، فإن جملة من أهل العلم صحَّحو الإطلاق الوارد فيها بتغيير كلمة (الخلاف) إلى كلمة (الاجتهاد)، فقالوا الصواب أنه: (لا إنكار في مسائل الاجتهاد)<sup>(٤)</sup>؛ وهذا الخلاف في لفظ القاعدة خلاف لفظي وليس خلافاً حقيقياً؛ لأن العلماء الذين استعملوا هذه القاعدة بلفظ (الخلاف) أرادوا به الخلاف السائغ، قال النووي رحمه الله في «شرح على مسلم» (٢٣/٢): «العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أمّا المختلف فيه فلا إنكار فيه... وكذلك قالوا: ليس للمفتي ولا للقاضي

(١) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص ٣٤٩)، ولأبي يعلى الفراء (ص ٢٨٤).

(٢) «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ١٥٨)، وينظر: «معلمة زايد» (٢٨/٣٣).

(٣) ينظر: «الإحكام» للآمدي (١٨٦/٤)، «شرح النووي على مسلم» (٢٣/٢)، «المجموع» للنووي (١٩٦/٣)، «المنثور» للزركشي (١٤٠/٢).

(٤) ينظر: «بيان الدليل على بطلان التحليل» لابن تيمية (ص ١٣٣، ١٣٨)، «أعلام الموقعين» لابن القيم (٥/٢٤٢ - ٢٤٣)، «الإقناع» للحجاوي (١/١٦٨)، «غاية المنتهى» للكرمي (١/٢٢١).

أن يعترض على مَنْ خالفه إذا لم يخالف نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا جليًّا<sup>(١)</sup>؛ فهذه القاعدة وإن جرى إطلاقها عند أهل العلم فهي مقيدةٌ عندهم بما يسوغ فيه الخلاف.



ومع ما تقدّم، فلو قلنا في لفظها: (لا إنكار في مسائل الخلاف المعتبر أو السائغ)، لزال الإشكال الوارد عليها<sup>(٢)</sup>.

### حكم الإنكار في مسائل الخلاف:

يختلف حكم الإنكار في مسائل الخلاف حسب نوع الخلاف، وحسب حال المنكر والمنكر عليه.



#### ■ أولاً: حكم الإنكار في مسائل الخلاف حسب نوعه<sup>(٣)</sup>:

##### ١- يصح الإنكار في مسائل الخلاف غير السائغ:

وهذا يتحقق في حالتين:

◀ الحالة الأولى: أن يكون القول المخالف معارضًا لنصٍّ أو إجماعٍ أو قياسٍ جليٍّ<sup>(٤)</sup>.

◀ الحالة الثانية: أن يكون الخلاف ضعيف المآخذ، وكان ذريعةً إلى محذورٍ متفقٍ عليه<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك: الخلاف في ربا الفضل، فالخلاف فيه ضعيفٌ، وهو ذريعةٌ إلى ربا النساء المتفق على تحريمه، وكنكاح المتعة، فإنّه ذريعةٌ إلى الزنا.

##### ٢- لا يصحُّ الإنكار في مسائل الخلاف السائغ أو مسائل الاجتهاد:

وهي المسائل الخلافية التي لها حظٌّ من النظر والاعتبار، ولم يتبين فيها وجه الصواب على القطع، قال الغزالي رحمه الله في «إحياء علوم الدين» (٢/٣٢٥): «كلُّ ما هو في محلِّ الاجتهاد، فلا حَسَبَ»، وذكر أمثلةً لهذا النوع، منها: أنّه ليس للحنفِيّ

(١) وينظر: «الإحكام» للآمدي (٤/١٨٦)، «تحفة المحتاج» للهيتمي (١٠/١١٢).

(٢) ينظر: «معلمة زايد» (٣٣/٣٥).

(٣) ينظر: «معلمة زايد» (٣٣/٣٢).

(٤) ينظر: «الأم» للشافعي (٦/٢٢٠)، «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص ٤٩)، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١١/٣١٢)، «الإحكام» للآمدي (٤/١٨٦)، «شرح النووي على مسلم» (٢/٢٣)، «أعلام الموقعين» لابن القيم (٥/٢٤٣)، «المنتور في القواعد» للزرکشي (٢/١٤٠).

(٥) ينظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص ٣٦٧)، «قواعد الأحكام» للعزيز بن عبد السلام (١/١٢٩)، «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ١٥٨)، وفي كلام الإمام أحمد وأصحابه ما يدل على أنّه إنّ ضعف الخلاف: أنكر، وإلا فلا. ينظر: «الفروع» لابن مفلح (٣/٢٣)، «كشاف القناع» للبهوتي (١/٤٧٩).

أن ينكر على الشافعي أكله الضَّبِّ والضَّبع ومتروك التسمية، ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي تناوله ميراث ذوي الأرحام، وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار، إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد؛ وذلك لتنازع الأدلة والدلالات، وتفاوت المدارك والأفهام؛ فليس فيها الإنكار على المخالف، قال سفيان الثوري رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى غيره، فلا تنهه»<sup>(١)</sup>؛ وهذا موضع اتفاق بين أهل العلم فـ«لم يزل الخلاف بين السلف في الفروع، ولا ينكر أحدٌ على غيره مُجتهداً فيه»<sup>(٢)</sup>؛ ومنه: عدم إنكار النبي ﷺ على المختلفين من صحابته رضي الله عنهم في تحقيق المراد من نهيه ﷺ عن الصلاة إلّا في بني قريظة<sup>(٣)</sup>، ومنه أن الإمام أحمد رحمه الله لم ير الإنكار على من صلى تطوعاً بعد العصر؛ لأنّه من موارد الاجتهاد السائغ<sup>(٤)</sup>.



أمّا مناقشة الأقوال والآراء العلميّة، وبيان كلّ مخالفٍ وجه صوابٍ قوله وخطأ الآخر؛ فهذا نوعٌ من البحث العلميّ وبيان الحجج بُغية الوصول إلى الحقّ في مسألة اجتهادية ظنيّة، ولا يُعدُّ إنكاراً بالمعنى الاصطلاحيّ، بل هو مطلوبٌ محمودٌ إن كان بعلمٍ وعدلٍ وإنصافٍ<sup>(٥)</sup>.

وكذلك يجوز له النصّح؛ فإنّ له أن يحثّه برفقٍ على الخروج من الخلاف أو فعل الأولى؛ «فإنّ العلماء متفقون على الحثّ على الخروج من الخلاف، إذا لم يلزم منه إخلالٌ بسنةٍ أو وقوعٌ في خلافٍ آخر»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٦٨/٦).

(٢) «المنثور في القواعد» للزرکشي (١٤٠/٢).

(٣) سبق تخريجه (ص ٢٩).

(٤) «فتح الباري» لابن رجب (٤٩/٥)، وللاستزادة ينظر: «حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات» (٤١٧/١). ومن الأمثلة

كذلك: قول الجصاص رحمه الله في «أحكام القرآن» (٣١٤/٢): «قد يختلف المجتهدان في نفقات الزوجات وقيم المختلفات وأروش كثير من الجنائيات، فلا يلحق واحدًا منهما لوم ولا تعنيف؛ وهذا حكم مسائل الاجتهاد».

(٥) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٠٧/٢٠)، (٨٠/٣٠).

(٦) «شرح النووي على مسلم» (٢٣/٢).

## ■ ثانيًا، حكم الإنكار في مسائل الخلاف حسب حال المنكر والمنكر عليه<sup>(١)</sup> :



أما المنكر، فلا يخلو إمّا أن يكون مجتهدًا أو مقلّدًا؛ فإن كان مجتهدًا عالمًا بما يُنكره وكونه ممّا لا يسوغ فيه الخلاف، فيصحّ إنكاره بشروطه؛ وإن كان مُقلّدًا فلا يسوغ إنكار المسائل الاجتهادية الدقيقة؛ وإنما ينكر في المتفق على وجوبه وتحريمه مما يعلمه عموم المسلمين.

وأما المنكر عليه - وهو الواقع في الخلاف -، فلا يخلو كذلك إمّا أن يكون مجتهدًا أو مقلّدًا؛ فإن كان مجتهدًا، فلا يُنكر عليه إذا كان الخلاف الواقع فيه ممّا يسوغ فيه الخلاف، ولم يخالف فيه لخطأ أو وهم، ولم يعتقد خلافه؛ فإن كان مُعتقّدًا خلافه، فيُنكر عليه من هذه الجهة لعدم التزامه بما يعتقد، وأمّا المقلّد - وكذلك العامّي -، فلا يُنكر عليه ما يسوغ فيه الخلاف، ولا سيّما إذا كان ملتزمًا بمذهب معيّن، أمّا إذا لم يلتزم مذهبًا معيّنًا؛ فإن كان ممّن يتّبع الرّخص والزّلات أنكر عليه، وإن لم يكن ممّن يتّبعها لم يُنكر عليه.

## ■ شروط الإنكار في مسائل الخلاف :

من شروط الإنكار في مسائل الخلاف :

١ - أن تكون المسألة محلّ الإنكار ليست من مجاري الاجتهاد ولا يسوغ فيها الخلاف: بأن يكون القائل بها يخالف نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا جليًّا ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

٢ - أن يكون الفاعل - لأمر ما من مسائل الخلاف - معتقّدًا حرمة ما يفعله، فإذا كانت المسألة من مسائل الخلاف السّائغ، إلّا أنّ الفاعل لها يرى حرمتها، فإنّه يصحّ حيثلّ الإنكار عليه، وذلك مثل اللّعب بالشطرنج المختلف في حكمه؛ فمن لعب به مُعتقّدًا حلّه، فلا إنكار عليه؛ لأنّه ليس عاصيًا بذلك، بخلاف ما لو كان مُعتقّدًا تحريمه، فيُنكر عليه لانتهاك الحرمة<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٢٠/٢٢٠)، «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١٦٣/١)، «بيان المختصر» للأصفهاني (٣٦٨/٣)، «البحر المحيط» للزركشي (٣٧٣/٨).

(٢) ينظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣٢٥ - ٣٢٦)، «شرح النووي على مسلم» (٢٣/٢ - ٢٤)، «أعلام الموقعين» لابن القيم (٢٤٢/٥ - ٢٤٣)، «المشور في القواعد» للزركشي (١٤٠/٢).

(٣) ينظر: «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (١٢٩/١)، «الفروق» للقرافي (٢٥٧/٤).

٣- العلم: بأن يكون المنكر من أهل العلم، وخاصّةً في المسائل التي تحتاج إلى بصيرة واجتهاد، أمّا ما هو معلوم من الدين بالضرورة فيشترك في إنكاره -حسب القدرة والولاية- آحاد المسلمين<sup>(١)</sup>.

٤- القدرة على الإنكار: وتتفاوت هذه القدرة تبعاً للولاية والأهلية وواقع الحال<sup>(٢)</sup>.

٥- ألا يترتب على الإنكار منكر أكبر أو مفسدة أعظم: فإنه قد يترتب على إنكار بعض الأقوال المنكرة أو المخالفة للسنة في بعض البيئات استجلاب منكر أكبر ومفسدة أعظم<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: «الإرشاد» للجويني (ص ٢٨٧)، «قواطع الأدلة» للسمعاني (١/ ٤٨١)، «التحجير» للمرداوي (١٥٥١/ ٤).

(٢) ينظر: «مختصر الفتاوى المصرية» للبعلي (ص ٥٨٠).

(٣) ينظر: «السييل الجرار» للشوكاني (ص ٩٨٣).

## الأنشطة

### النشاط الأول:

بيِّن نوع كلِّ خلافٍ ممَّا يلي هل هو خلافٌ سائغٌ أو غير سائغٍ:

غير سائغ	سائغ	الخلاف
----------	------	--------

الخلاف في تحريم أكل الميتة.

الخلاف في صوم يوم الشُّكِّ.

خلاف المحدث غير المجتهد في المسائل الفقهيَّة.

الخلاف في صحَّة صلاة المنفرد خلف الصَّفِّ.

### النشاط الثاني:

بالتَّعاون مع مجموعتك: اذكر ثلاثة نصوصٍ شرعيَّةٍ تدلُّ على مشروعِيَّة الخلاف السَّائغ، وثلاثة نصوصٍ تذرِّم الخلاف الممنوع - غير ما ذكر في الكتاب -.

### النشاط الثالث:

بالتَّعاون مع زميلك، وبرجوعك إلى كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي (٢٦٨/١): بيِّن - بأسلوبك - الأقوال في مسألة (إذا اختلف أهل العصر على قولين فهل يجوز لمن بعدهم إحداث قولٍ ثالثٍ؟)، واذكر دليلاً لكلِّ قولٍ، وبيِّن القول الذي اختاره الآمديُّ، وبيِّن علاقة هذه المسألة بأحكام الخلاف.

### النشاط الرابع:

لخصَّ ما ذكره الزُّركشي في «البحر المحيط» عن:

- مَنْ يُعتَبَر قولهم في الإجماع؟

- وهل يُعتدُّ بخلاف الأصوليِّ غير الفقيه في المسألة الفقهيَّة؟

### النشاط الخامس:

بالتعاون مع مجموعتك: بين الآداب التي يجب مراعاتها عند الإنكار على الغير في المسائل العلمية، مبيّنًا الوسائل والأساليب الملائمة.

### النشاط السادس:

بين ما يصح فيه الإنكار وما لا يصح فيه من المسائل التالية:

لا يصح فيه الإنكار

يصح فيه الإنكار

المسألة

عقد النكاح على المرأة المعتدة

صلاة ذوات الأسباب في أوقات النهي

تيمم الصحيح مع وجود الماء

صيام التطرّع قبل قضاء رمضان

### النشاط السابع:

بالاستعانة بأحد كتب شروح الحديث التالية: (شرح النووي على صحيح مسلم - شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد - جامع العلوم والحكم لابن رجب):  
اذكر الحديث الذي بين فيه النبي ﷺ مراتب الإنكار، واستخرج أربع فوائد منه.

### النشاط الثامن:

من شروط الإنكار في مسائل الخلاف: ألا يترتب على الإنكار منكر أكبر، وقد تحدّث ابن تيمية عن ذلك في «مجموع الفتاوى» (١٢٩/٢٨-١٣١)، وربط هذا الشرط بقاعدة عامة.  
بين القاعدة التي حرّرها ابن تيمية، والمثال الذي ذكره من فعل النبي ﷺ.



## المَعْلَمُ الثَّالِثُ:

### أسباب الخلاف بين العلماء

■ المصنّفات الأصيلّة في أسباب الخلاف.

■ أسباب الخلاف السّائغ:

- أسبابٌ كليّةٌ عامّةٌ.
- أسبابٌ طارئةٌ مؤقتةٌ.
- أسبابٌ جزئيّةٌ تفصيليّةٌ.





## أهداف المَعْلَم

بعد الانتهاء من هذا المَعْلَم يُتَوَقَّع من الطَّالِب أن:

١. يستخرج فوائد معرفة أسباب الخلاف الفقهيّ المشروع.
٢. يذكر جملةً من المصنّفات الأصيلة في أسباب الخلاف.
٣. يميّز بين أسباب الخلاف الفقهيّ السَّائغ في الجملة.
٤. يفرّق بين أسباب الخلاف العامّة والتّفصيليّة والطَّارئة.
٥. يمثّل على أسباب الخلاف.

## نشاط استهلاكي

صِلْ كُلَّ خِلَافٍ مِنَ الْعُمُودِ الْأَوَّلِ بِالسَّبَبِ الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ فِي الْعُمُودِ الثَّانِي، ثُمَّ تَأَكَّدْ مِنْ صِحَّةِ إجابَتِكَ بَعْدَ قِراءةِ الْمَعْلَمِ، مَعَ التَّنَبُّهِ عَلَى وَجُودِ إِجابَةٍ زائِدَةٍ فِي الْعُمُودِ الْأَيْسَرِ.

الخلاف في النَّصِّ  
هل هو منسوخٌ أو لا

اختلاف العلماء في نهاية وقت العشاء،  
هل هو ثلث الليل أو نصفه أو طلوع الفجر

الخلاف بسبب نسيان الحديث  
بعد بلوغه وثبوتُه عنده

اختلاف الفقهاء  
في حكم الوضوء من مس المرأة

الخلاف بسبب  
تعارض الأدلة

خلاف العلماء في صلاة المأمومين خلف  
الإمام القاعد هل يصلُّون قِيامًا أو قعودًا

الخلاف بسبب  
عدم الإحاطة بالنَّصِّ

خلاف عمر وعُمَارٍ رضي الله عنهما  
فيمن يجنب في السَّفر فلا يجد الماء

الخلاف في حمل اللَّفْظِ  
على الحقيقة أو على المجاز

الخلاف بسبب  
عدم وجود النَّصِّ في المسألة

الخلاف  
في نقض المرأة شعرها إذا اغتسلت

## أسباب الخلاف بين العلماء

تُعَرَّف أسباب الخلاف بأنّها: (الدَّوَاعِي المؤدِّية لتعدد الآراء والأقوال الفقهيّة)؛ سواءً من جهة رواية الدَّلِيل، أو من جهة درايته وفهمه؛ فإنَّ الأصل في الاختلاف المعتبر بين العلماء الرَّاسخين أنّه لم ينشأ استجابةً لخصوماتٍ وأهواءٍ، وإنَّما لظروفٍ ودواعٍ علميّةٍ اقتضته، وطبيعةٍ ذهنيّةٍ فرضته؛ فَمِنْ هنا كان خلافتهم رحمةً بهذه الأُمَّة، وتوسعةً عليها، فإنَّ «الله تعالى لم ينصب على جميع الأحكام الشرعيّة أدلّةً قاطعةً، بل جعلها ظنيّةً قصداً للتوسيع على المكلّفين، لئلاّ ينحصروا في مذهب واحد»<sup>(١)</sup>؛ ولهذا حثَّ الإمام مالكٌ رحمه الله أبا جعفر المنصور على العدول عن رأيه بحمل النَّاس في شتّى الأمصار على ما دونه مالكٌ في كتبه، وقال: «إنَّ النَّاس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به، ودانوا به من اختلاف النَّاس وإنَّ رذمهم عمّا قد اعتقدوه شديداً؛ فدفع النَّاس وما هم عليه، وما اختار كلُّ أهل بلدٍ منهم لأنفسهم»<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك أنَّ الإمام أحمد رحمه الله لمّا أخبره بعض أهل العلم أنّه صنّف كتاب «الاختلاف» أو «التضاد»، قال له الإمام: «سمّه كتاب (السّعة)»<sup>(٣)</sup>.



### أهم المصنّفات الأصليّة في أسباب الخلاف وما يتعلّق به:

تنوّعت طرق العلماء في تصنيف وتقسيم أسباب الخلاف ودواعيها التي أدّت إليها؛ فمنهم من دَوَّن في ذلك مؤلّفاتٍ مستقلّةٍ، ومنهم من ذكرها ضمناً في بعض كتبه لحاجةٍ أو استطرادٍ أو مناسبةٍ:

#### ١- فمن العلماء الذين دَوَّنوا في ذلك استقلالاً:

○ ابن السَّيِّد البَطْلَيْوْسِي رحمه الله (ت: ٥٢١هـ) في «الإنصاف في التَّنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف»، وهو من أوائل من أفرد التّصنيف في أسباب

(١) «البحر المحيط» للزركشي (١١٩/٨).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤٦٨/٥).

(٣) «طبقات الحنابلة» (٢٩٧/١)، قال طلحة بن مصرف: «لا تقولوا: (الاختلاف)، ولكن قولوا: (السّعة)» حلية الأولياء لأبي نعيم (١٩/٥).

الاختلاف، وحصر الأسباب في ثمانية أكثرها لغوي، وهو لم يقتصر على التمثيل عليها من المسائل الفقهيّة، بل شمل مسائل من العقيدة والتفسير.

تقي الدين ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) في «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وكان غرضه من هذه الرسالة «بيان الأعدار التي تلتبس للمختلّفين مع توفر الأحاديث المتعلقة بالمسألة»<sup>(١)</sup>، وحصر الأسباب الرئيسة في ثلاثة أصناف، ثم فرّع منها عشرة أسباب، والجزء الأكبر من هذه الرسالة موضوعه الرواية والنقل.

شاه وليّ الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ) في «الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف»، وهي رسالة أطول من سابقتها، تطرّق فيها لموضوع الخلاف من عدّة جهات، وتناول الخلاف الفقهي بين الصحابة والتابعين، وعن مدرسة الرأي والحديث، وفوائد أخرى عن الاجتهاد والتقليد والجدل.

٢- ومنهم من ذكر رؤوس أسباب اختلاف الفقهاء العامة؛ وأشار إليها لحاجة أو استطراد أو مناسبة، ومن هؤلاء:

○ ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) في كتابه الأصولي «الإحكام في أصول الأحكام» ذكر فصلاً في بيان أسباب الاختلاف الواقع بين الأئمة في صدر هذه الأئمة.

○ ابن رشيد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ) في أوّل كتابه الفقهي «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، وكان تركيزه على قواعد دلالات الألفاظ والمسائل اللغويّة والنحويّة، وذكر هذه الأسباب بإيجاز خالية من التمثيل غالباً.

○ ابن جزيّ الكلبي (ت: ٧٤١هـ) في آخر كتابه الأصولي «تقريب الوصول إلى علم الأصول»، وتناول فيه أسباب الخلاف في الباب العاشر من الفن الخامس الذي عنوانه: (أسباب الخلاف بين المجتهدين)، وذكر أنّه لم يذكره أهل الأصول في كتبهم وأنّه انفرد به دونهم لعظم فائدته، وأورد فيه ستّة عشر سبباً على وجه الإجمال دون تمثيل وتفصيل غالباً.

شمس الدّين المناوي (ت: ٧٤٧هـ) في كتابه «فرائد الفوائد في اختلاف القولين لمجتهد واحد»، ذكر فيه جملة من أسباب الخلاف في الباب السّابع بعنوان: (سبب الاختلاف الواقع بين العلماء في المسائل الاجتهاديّة)، وأورد أربعة أوجه ثم ذكر أنّ جملة الخلاف يرجع إلى الأدلّة وأنواعها وعدّد بعضها من ذلك.

(١) ينظر: «التخريج» ليعقوب الباحسين (ص ٨٥).

○ تاج الدّين السُّبْكِيُّ رحمته الله (ت: ٧٧١هـ) في كتابه «الأشباه والنظائر» وهو في القواعد الفقهيّة، أورد جملةً من أسباب الاختلاف بعنوان: (الماخذ المختلّف فيها بين الأئمّة التي يبنّي عليها فروع فقيه)، وعدّد سبعة مآخذ مع التّمثيل على أغلبها بأمثلةٍ فقهيةٍ.

ثمّ أفرد المعاصرون أسباب اختلاف الفقهاء بالتّصنيف في كتبٍ ورسائل وبحوثٍ علميّةٍ مستقلّةٍ، ومنهم من تعرّض لها ضمن بعض البحوث الفقهيّة، ومنهم من تناولها عند بحث أسباب الخلاف عند عالمٍ معيّن.

### ■ أبرز أسباب الخلاف الفقهيّ السّائع:

وهي تنقسم إلى أسبابٍ كليّةٍ، وجزئيّةٍ، وعارضيّةٍ:

#### ■ أولاً: الأسباب العامّة الكليّة للاختلاف الفقهيّ المشروع:

وهي الأسباب العامّة التي تندرج تحتها وتفرّع منها الأسباب الجزئيّة التفصيليّة، فجملة أسباب الخلاف ترجع إلى أمرين<sup>(١)</sup>:

١- الأمر الأوّل: الدّليل، سواءً في ثبوته أو دلالته، وما يعترى النّصّ من احتمالٍ وخفاءٍ وتعارضٍ، وصحّة الاحتجاج بأصل ما؛ وذلك لأنّ الاجتهاد المعترّ شرعاً لا يكون مع الاتّفاق على ثبوت الدّليل وقطعيّة دلالاته<sup>(٢)</sup>؛ «فإنّ الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلةً للنّظر، ومجالاً للظّن، وقد ثبت عند النّظار أنّ النّظريّات<sup>(٣)</sup> لا يمكن الاتّفاق عليها عادةً، فالظنّيّات عريضة في إمكان الاختلاف»<sup>(٤)</sup>.



٢- الأمر الثّاني: المستدلّ، أي من جهة فهمه، فالمتلقون للنّصّ والمتعاملون مع الدّليل - وهم المجتهدون - يتفاوت إدراكهم وفهمهم وتحصيلهم؛ لذا فإنّ العلماء يختلفون في تعليل الأحكام، والجمع والتّرجيح بين النّصوص، والتّأويل الجائز، وتحقيق المناط، وما إلى ذلك، ويظهر ذلك التّفاوت في المسائل الدّقيقة أو التي

(١) ينظر: «فرائد الفوائد» للمناوي (ص ١٠٢)، «الموافقات» للشاطبي (٢١٨/٥).

(٢) ينظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (١٠/١)، «أعلام الموقعين» لابن القيم (٣٦/٤).

(٣) النظريات: جمع نظري، والنظري: ما يحتاج إلى تفكير ونظر، ويقابل البديهي.

(٤) «الاعتصام» للشاطبي (٩٣/٣)، وينظر: «فرائد الفوائد» للمناوي (ص ١٠٢)، «تقريب الوصول» لابن جزّي (ص ٢٠٢).

تتنازعها الأدلة أو الدلالات ويكتنفها الاشتباه؛ لذا جاء في الحديث: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَيَبْنِيهِمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>، فدلَّ على أَنَّ القضايا العلمية منها ما يكون واضحاً جلياً، ومنها ما يكون غامضاً خفياً يشبهه على كثير من الناس؛ لذا لم يلزم الشرع المجتهدين إصابة الحكم، وإنما استفراغ الوسع في طلبه، ثم رتب الأجرين للمصيب والأجر للمخطئ<sup>(٢)</sup>.

### ■ ثانيًا: الأسباب العارضة المؤقتة:

وهي الأسباب التي حصلت بأمور طارئة يزول الخلاف بزوالها، ويكون -في غالب الأمر- قول أحد المخالفين خطأ يُعذر عليه، ومعرفة هذه الأسباب العارضة تؤدي إلى إغفار العلماء، وله صورٌ تعود إلى عدم الإحاطة بالتخصص، منها:

١ - عدم بلوغ النَّصِّ أحدَ المجتهدين: وهذا السبب هو «الغالب على أكثر ما يوجد من أقاويل السلف مخالفًا لبعض الأحاديث»<sup>(٣)</sup> التي لا معارض يقتضي دفعها.

ومثاله: أَنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان يفتي بنقض المرأة شعرها إذا اغتسلت، ولم يبلغه حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّها كانت تغتسل ولا تنقضه ولم ينكر النبي ﷺ عليها ذلك<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك: تعدد وقوع الفعل النبوي على عدة وجوه، فتبلغ المجتهد بعض الأوجه دون بعض، فيقع الاختلاف بسبب ذلك، ومنه الخلاف في موطن الإهلال بالحج، فعن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه قال: «قلت لعبد الله بن عباس: يا أبا العباس! عجبت لاختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في إهلال رسول الله ﷺ حين أوجب»، فأجابه ابن عباس رضي الله عنه بأنه ﷺ أهل في عدة مواطن، وكلُّ حدث بما رآه<sup>(٥)</sup>.

(١) سبق تخريجه (ص ٢٨).

(٢) ينظر: «أعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ١٥٨)، «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٩٦-١٩٧)، «التقرير والتحجير» لابن أمير الحاج (٢/ ٣).

(٣) «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٩).

(٤) لفظ الحديث في صحيح مسلم (٣٣١). وينظر: «الإحكام» لابن حزم (٢/ ١٢٤)، «رفع الملام» لابن تيمية (ص ١٧)، «الإنصاف» للدهلوي (ص ٢٦).

(٥) أخرجه أبو داود (١٧٧٠). وصححه الحاكم في «المستدرک» (١/ ٤٥١)، وأعله البيهقي في «السنن والآثار» (٧/ ١٢٠)، وابن حجر في «الدرية» (٢/ ٩)، وينظر: «الإنصاف» لابن السید البطلیوسي (ص ١٧٧، ١٧٨، ١٨٧).

٢- بلوغ النَّصِّ أحد المجتهدين ثم نسيانه: وهذا يرد في الكتاب والسنة.

ومثاله: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفتى من أجنب فلم يجد ماءً بآلاً يصلّي على هذا الحال، فذكره عمار رضي الله عنه بحديث تيمم الجنب عند فقدان الماء، فلم يذكره، وقال له: «توَلَّيك ما توَلَّيت»<sup>(١)</sup>.

### ■ ثالثاً: الأسباب الجزئية التفصيلية للخلاف الفقهي المشروع:

وهي أسبابٌ مشروعةٌ ساهمت في وجود الخلاف وبقائه بين الفقهاء، وغالبها يعود إلى مسائل أصول الفقه، وهي أسبابٌ كثيرةٌ يصعب هنا الإحاطة بها جميعاً<sup>(٢)</sup>، واختلف المصنفون قديماً حديثاً في ترتيب هذه الأسباب، وفي تعدادها، وهو اختلاف في الأسلوب والعرض، من تقديم وتأخير، وإجمال وتفصيل، ونذكر بعضاً من أصولها وشيئاً من أمثلتها، أما التوسّع فيها فمطلّته كتب أصول الفقه، وتخريج الفروع على الأصول، والكتب المعاصرة في أسباب الخلاف، فمن هذه الأسباب التفصيلية:

#### ١- عدم ثبوت النَّصِّ أو العمل به بسبب الإسناد أو الرَّاوي:

ويقع هذا فيما كان ظني الثبوت، ويندرج تحته صورٌ عديدةٌ وأغلبها تتعلق بمسائل حديثية، ومن صورها:

«حديث الرَّاوي الذي أنكر أو نسي روايته: فأبو حنيفة رضي الله عنه يرى أنه لا يُعمل بهذه الرواية»<sup>(٣)</sup>.

ومثاله: حديث: أن النَّبي صلّى الله عليه وآله قضى باليمين مع الشاهد<sup>(٤)</sup>؛ فأحد رواته سهيل بن أبي صالح قيل له: إن ربيعة يروي عنك هذا الحديث، فلم يذكر، وصار سهيل يقول: «حدّثني ربيعة عني»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٦٨) واللفظ له. وقوله: «توَلَّيك ما توَلَّيت»: (أي لا يلزم من كوني لا أتذكره ألا يكون حقاً في نفس الأمر، فليس لي منعك من التحدّث به). «فتح الباري» لابن حجر (٤٥٧/١). وينظر: «إكمال المعلم» (٢٢٣/٢)، «الإحكام» لابن حزم (١٢٥/٢)، «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٢٣)، «شرح الإلمام» لابن دقيق العيد (٤١/٥).

(٢) ينظر: «جامع العلوم والحكم» (٢٠٤/١).

(٣) «أصول السرخسي» (٣/٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦١٠)، والترمذي (١٣٤٣) وصححه، وابن ماجه (٢٣٦٨).

(٥) مستخرج أبي عوانة (٦٠١٧).



◀ الحديث المرسل: وهو الذي لا يُذكر الصحابي في سنده، بل يرفعه غير الصحابي إلى النبي ﷺ على خلاف بين المحدثين والفقهاء في المراد من المرسل، فعمل به بعض الفقهاء دون بعض.

ومثاله: قضاء من أفطر في صيام التطوع، حيث ورد فيه حديث مرسل، أن رسول الله ﷺ أمر عائشة وحفصة رضي الله عنهما أن يقضيا يوماً مكان اليوم الذي أفطرتا فيه. الحديث الضعيف: وله حالات منها:

- أن يعتقد أحد المجتهدين ضعف رجل في إسناد الحديث، ويعتقد الآخر ثقته وقوته، وقد يكون الصواب مع المضعف لاطلاعه على سبب خفي على الموثق، وقد يكون الصواب مع الآخر لعلمه بأن ذلك السبب غير قادح في روايته<sup>(١)</sup>.

- أن يعلم المجتهد ضعف الحديث، لكنه يرى الأخذ به لقرائن أخرى. ومثاله: تضعيف الإمام أحمد لحديث التسمية عند الوضوء مع قوله بوجوبها. وللخلاف بسبب الإسناد صوراً أخرى عديدة، منها: خبر المستور، والاضطراب، والإدراج، وغيرها، وقد يختلف العلماء في حديث فيصححه بعضهم ويضعفه آخرون.

٢- عدم العمل بالنص لأمر خارج الإسناد والزواة بأن يخالف بعض القواعد والشروط المعبرة:

إذا عارض الخير أصلاً يراه المجتهد أقوى من الخبر فيوجب ضعف الحديث عنده، أو أن يشترط لقبول العمل بالحديث شروطاً لا يشترطها غيره، فكما أن للمجتهد أن يأخذ بالضعيف في حالات، فإنه قد لا يعمل بما ظاهره الصحة في حالات أخرى<sup>(٢)</sup>، ومن صورته:

◀ عمل الصحابي بخلاف ما رواه<sup>(٣)</sup>: ولا تكون مخالفته لمعارض أو اجتihad منه، فيكون عمله بخلاف ما رواه من أسباب عدم الاحتجاج بالحديث،

(١) ينظر: «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٢٠)، «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٢/ ٥٥٦).

(٢) ينظر: «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٢٢).

(٣) ينظر: «العدة» لأبي يعلى (٢/ ٥٨٩)، «الواضح» لابن عقيل (٣/ ٤٠٣)، «شرح علل الترمذي» لابن رجب (٢/ ٨٩٠).

قال ابن رجب رحمه الله في «شرح علل الترمذي» (٨٨٨/٢) عن هذا المسلك: «ضعف الإمام أحمد وأكثر الحفاظ أحاديث كثيرة بمثل هذا».

ومثاله: رواية عائشة رضي الله عنها لحديث «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ» <sup>(١)</sup> ضعفها بعض العلماء لأن عائشة رضي الله عنها كانت ترى صحة النكاح بغير ولي، وزوجت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر المنذر بن الزبير، وعبد الرحمن غائب <sup>(٢)</sup>.



◀ مخالفة عمل أهل المدينة <sup>(٣)</sup>: يعدُّ عمل أهل المدينة أصلاً عند بعض المدنيين كالإمام مالك رحمه الله، فإذا تعارض مع الحديث فإنه يقدِّم عمل أهل المدينة؛ لأنه يراه أقوى.

ومثاله: عدم عمل الإمام مالك بظاهر أحاديث خيار المجلس، ولزوم البيع بالإيجاب والقبول، مع روايته الخبر؛ لأنَّ عمل أهل المدينة على خلافه.

◀ القراءة الشاذة: وهي القراءة القرآنية التي لم تُنقل بالتواتر وخالفت رسم المصحف، وللعلماء تفاصيل في الأخذ والاحتجاج بها، فإنَّ من يعمل بها يعاملها معاملة الخبر لا معاملة الآية القرآنية، ومن لا يرى العمل بالقراءة الشاذة يشترط أن تكون القراءة المعمول بها متواترة أو مشهورة، فإنَّ صحَّ الإسناد ولم تكن القراءة متواترة ولا مشهورة فلا يصحُّ العمل بالقراءة عندهم.

ومثاله: قول الله تعالى في كفارة اليمين: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة: ٨٩]، قرأ ابن مسعود: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات»، فمن يرى العمل بالقراءة الشاذة وتحققت شروطها في هذه القراءة أوجب التتابع.

◀ مخالفة الخبر للأصول والقواعد العامة إذا لم يكن الراوي فقيهاً: فهذا ممَّا يُردُّ به العمل بخبر الآحاد عند الحنفية.

ومثاله: ترك العمل بحديث المُصرِّاة، وهي التي يحسُّ البائع اللَّبنَ في ضرعها ليوهم المشتري أنَّها حلوبٌ، ففي الحديث أنَّ للمشتري خيارَ الرَّدِّ بالعيب، وعليه

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٨٣)، والترمذي (١١٠٢) وحسنه، وابن ماجه (١٨٧٩)، وأحمد (٢٦٢٣٥) واللفظ له. وصححه ابن

حيان (٤٠٧٤)، والحاكم في «المستدرک» (١٦٨/٢). وضعفه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٧/٣).

(٢) «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٢٦٦/٤).

(٣) ينظر: «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٣٤).

أن يردَّ للبائع تمرًا عوضًا عن اللبن الذي استعمله، لكنَّ الحنفية لم يصحَّحوا الحديث؛ وعلموا ذلك بأنَّ «تقدير الضَّمان في العدوانات بالمثل أو القيمة حكمٌ ثابتٌ بالكتاب والسُّنة والإجماع»<sup>(١)</sup>.

### ٣- دلالة النَّصِّ من حيث اللغة:

اللُّغة العربيَّة التي جاءت بها نصوص الشَّريعة لغةٌ واسعةٌ يصعب الإحاطة بها، وتحتُمَل أوجهًا عديدة؛ لذا كانت من أسباب اختلاف الفقهاء في صور عدَّة، من أبرزها:

◀ غرابة اللَّفْظ<sup>(٢)</sup>: فمن أسباب اختلاف الفقهاء اختلافهم في تفسير بعض الألفاظ الغريبة الواردة في بعض النُّصوص الشَّرعية.

ومن أمثلتها: المزابنة، والمحاقلة، والمخابرة، والملازمة، والمنازعة، والغرر، والعينة، إلى غير ذلك من الكلمات التي قد يختلف العلماء في تفسيرها وتعيين المراد منها.

◀ المشترك اللَّفْظي<sup>(٣)</sup>: وهو اللَّفْظ الذي له أكثر من معنى، كلُّها موضوعٌ بالوضع اللَّغوي.

ومثاله: اختلافهم في عدَّة المطلقة الحائض لاختلافهم في معنى (القرء) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

◀ المجاز<sup>(٤)</sup>: وهو استعمال اللَّفْظ في معنى غير الموضوع له ابتداءً لمناسبة تعرف بالقرينة، فيؤثِّر في الخلاف الفقهي بأن يأخذ بعض الفقهاء بالمعنى الحقيقي وبعضهم بالمجازي.

ومثاله: الخلاف في نقض الوضوء بلمس المرأة؛ لاختلافهم في حمل قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] على الحقيقة أو المجاز بمعنى الوطء.

وهناك أسبابٌ أخرى للخلاف راجعةٌ لِلُّغة، منها: وجوه القراءات القرآنيَّة، وتصريف الكلمة، ورجوع الضَّمير، وإجمال الكلمة، وغير ذلك.

(١) «أصول السرخسي» (١/ ٣٤١).

(٢) ينظر: «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٢٥).

(٣) ينظر: «الإنصاف» لابن السَّيد البَطَّيُّوسي (ص ٣٧)، «تقريب الوصول» لابن جزى (ص ٢٠٣)، «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٢٨)، «فرائد الفوائد» للمناوي (ص ١٠٠).

(٤) ينظر: «الإنصاف» لابن السَّيد البَطَّيُّوسي (ص ٦٩)، «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٤٤٤).

#### ٤ - الخلاف في دلالات الألفاظ وقواعدها الأصولية:

تُعدُّ مباحث دلالات الألفاظ من أبرز أركان علم أصول الفقه، وأثرها في الخلاف الفقهي بارزٌ، فمن ذلك<sup>(١)</sup>:

﴿ مسائل الأمر والنهي: ويندرج ضمنها عدَّة قواعد مختلفٍ فيها، مثل: الأمر على الفور أو التراخي، ودلالة الأمر بعد الحظر، والنهي يدلُّ على الفساد.

ومثاله: البيع بعد نداء الجمعة الثاني هل هو فاسدٌ أو لا؟

﴿ دلالة المفهوم<sup>(٢)</sup>: وخصوصاً مفهوم المخالفة، وهو: أن يدلَّ تخصيص الحكم في المنطوق على نقيض الحكم في المسكوت، فلم يأخذ به أو ببعض أنواعه عددٌ من العلماء، مثل: مفهوم الصَّفة، والشَّرط، والعدد، والغاية، واللقب.

ومثاله: قوله ﷺ: «مَنْ ابْتِاعَ نَخْلًا بَعْدَ أَنْ يُؤْبَرَّ، فَتَمَرَّتْهَا لِلْبَائِعِ»<sup>(٣)</sup>؛ فمنطوق الحديث: أن ثمر النخل بعد التأبير (التلقيح) للبائع، فهل يؤخذ بمفهومه المخالف، وهو أن النخل إذا لم يؤبر فثمرته للمشتري؟

﴿ مسائل العام والخاص: وفيهما مسائل عدَّة مختلفٍ فيها، منها: أقلُّ الجمع، وعموم المقتضى، والعبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب، ودخول أمة محمد ﷺ في الخطاب الموجَّه له، وإذا تأخر العام فهل يُحمَل على الخاص المتقدم، ومسائل الاستثناء والشَّرط.

ومثاله في الاستثناء: الخلاف في قبول شهادة المحدود في القذف؛ وسبب خلافهم أن الاستثناء في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٥] هل يرجع إلى باقي الجُمْل أو إلى آخر جملة فقط؟

﴿ حروف المعاني: اختلف العلماء في مدلول بعض الأحرف؛ كحروف العطف والجر، ممَّا أدَّى إلى اختلافهم في بعض الفروع.

ومثاله: في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ [المائدة: ٣٣]، فحرف (أو) يحتمل أن يكون

(١) ينظر: «رفع الملام» لابن تيمية (ص ٢٩)، «تاريخ الفقه» لإثراء المتون (ص ١٥٩).

(٢) ينظر: «الإنصاف» لابن السَّيد البَطَّيُّوسِي (ص ٦٩)، «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٧٩)، ومسلم (١٥٤٣).

على أصله في التّخيير بين هذه العقوبات، أو للتّفصيل فتختلف عقوبة المحارب بحسب فعله<sup>(١)</sup>.

وهناك أسبابٌ أخرى متعلّقة بقواعد دلالات الألفاظ، منها مسائل المُجمل، والمؤوّل، والمُطلق والمقيّد، ودلالة أفعال الرّسول ﷺ.

##### ٥- مسائل القياس والعلة: —

يُعدُّ دليل القياس من الأدلّة الجليّة المؤثّرة في اختلاف الفقهاء لِمَا له من تشعّبات وتفاصيل، وقد اتّفق علماء المذاهب الأربعة المشهورة على العمل به إجمالاً، لكن اختلفوا في مسائل منه، وفي بعض تفاصيله وشروطه، ومنها<sup>(٢)</sup>:

◀ ما يجري فيه القياس: اختلف العلماء في صحّة جريان القياس في أبواب، منها: الكفّارات، والأسباب، والأسماء اللّغوية.

ومثال القياس في الكفّارات: حكم المعتكِف إذا جامع، فإنّهم اتّفقوا على أنّه يفسّد اعتكافه، واختلفوا هل عليه الكفّارة كما في الحجّ والصّوم أو لا؟

◀ الخلاف في كون الحكم تعبدياً أو معلّلاً: يطلق (الحكم التعبدّي) على غير معقول المعنى، أي: ما خفيت عنّا علّته ومناسبته، أمّا ما ظهرت علّته ومناسبته فهو المعلّل<sup>(٣)</sup>، وقال ابن السّمعانيّ في «قواطع الأدلّة» (١١٤/٢): (كُلُّ حُكْمٍ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَنْبَطَ مِنْهُ مَعْنَى مُخَيَّلٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ نَصِّ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ فَإِنَّهُ يُعَلَّلُ، وَمَا لَا يَصْحُحُ مِنْهُ مِثْلُ هَذَا فَإِنَّهُ لَا يُعَلَّلُ، سِوَاءَ كَانَ فِي الْحُدُودِ أَوِ الْكُفَّارَاتِ أَوِ الْمَقَادِيرِ أَوِ الرُّخَصِ)؛ وقد يتردّد الحكم بين كونه تعبدياً أو معلّلاً فيكون ذلك سبباً من أسباب الخلاف.

ومثاله: «استعمال التّراب في غسل ولوغ الكلب: هل هو تعبدٌ أم معلّل؟ وخُرج على ذلك: الخلاف في قيام الأُشنان والصّابون والغسلة الثّامنة مقامه؛ إن قلنا: هو تعبدٌ، لم يَقم غيره مقامه، وإن قلنا: معلّل بإعانة الماء على إزالة أثر الولوغ، قام ذلك مقامه لوجود معنى الإزالة، وكذلك إن قلنا: هو تعبدٌ، كفى بالتّراب مسّاه وإن لم يَعم أجزاء محلّ الولوغ، وإن قلنا: هو معلّل، اشترط تعميمه به عملاً

(١) ينظر: «الإنصاف» لابن السّيد البَطْلَوِيّ (ص ٤٨)، «فرائد الفوائد» للمناوي (ص ١٠٠).

(٢) ينظر: «الإنصاف» لابن السّيد البَطْلَوِيّ (ص ١٩١)، «فرائد الفوائد» للمناوي (ص ١٠١)، مقدمة «بداية المجتهد» (١١/١).

(٣) ينظر: «شرح مختصر الروضة» للطوفي (٣/ ٣٨٢).

بمقتضى التعليل، وكذلك غسل اليد عند الوضوء وعند القيام من النوم إن قيل: هو عبادة، وجبت له النية، وإن قيل: نظافة، لم يجب، ونظائر هذا كثير<sup>(١)</sup>.

المناط: وهو علة الحكم، والاجتهاد في المناط على ثلاثة أضرب:

١- (تنقيح المناط) أن يكون مذكورًا في النصّ عدّة أوصاف يُحتمل أن تكون علة للحكم، فيجتهد العالم في تحديد الوصف الذي يناط بالحكم به.

٢- (تخريج المناط) بأن يكون الحكم معللاً لكن الأوصاف لم تذكر في النصّ، فيجتهد العالم في تخريج العلة الأقرب لهذا الحكم بأحد مسالك التعليل.

٣- (تحقيق المناط) بأن يطبّق العالم القاعدة أو العلة على الفرع، وتحقيق المناط ليس خاصاً بالقياس أو العلة، لذا نجد العلماء متفقين على قاعدة أو مسألة لكنهم يختلفون في أفرادها وتطبيقها على آحاد القضايا.

ومثال تحقيق المناط: في التّهي عن بيع الغرر «قال العلماء: مدار البطلان بسبب الغرر... أنّه إذا دعت الحاجة إلى ارتكاب الغرر ولا يمكن الاحتراز عنه إلّا بمشقة أو كان الغرر حقيراً جاز البيع، وإلّا فلا، وقد تختلف العلماء في بعض المسائل: كبيع العين الغائبة، وبيع الحنطة في سنبليها، ويكون اختلافهم مبنياً على هذه القاعدة، فبعضهم يرى الغرر يسيراً لا يؤثّر، وبعضهم يراه مؤثراً»<sup>(٢)</sup>.

#### ٦ الأدلة المختلف فيها وأنواعها وشروطها:

تعدّ الأدلة أسباباً مؤدّية للحكم الشرعيّ، وهذه «الأسباب المقتضية لإثبات الأحكام حصل فيها الاختلاف، فيلزم الاختلاف في المسببات، فلا جرم أنّه صار من العلماء الاختلاف؛ لأنّ الأحكام تثبت عن الأمارات الظنيّة، والأمارات يحصل فيها الاضطراب والاختلاف، فحصل بسبب ذلك -في كثير من المسائل- الخلاف»<sup>(٣)</sup>، ومن هذه الأدلة:

الاستحسان، اختلف في المراد بالاستحسان الذي اعتمده بعض العلماء، والأقرب أنّه: عدولٌ بالمسألة عن نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى، أو أنّه ترك القياس لمعنى ومصلحة جزئية.

(١) «شرح مختصر الروضة» للطوفي (٣/ ٢٧٥).

(٢) «المجموع شرح المذهب» (٩/ ٢٥٨).

(٣) «فرائد الفوائد» للمناوي (ص ١٠٢) بحذف يسير، ينظر: «تقريب الوصول» لابن جزي (ص ٢٠٢).

ومثاله: إذا لزم شخص الزكاة ثم تصدَّق بجميع ماله ولم ينو إخراج الزكاة التي عليه فإنَّ القياس أنَّه لا يُعدُّ مزيكًا، وهو قول بعض العلماء، ولكن هذا يجزئه عن الزكاة استحسانًا، وكذلك لو قال شخص: (مالي في سبيل الله) فإنَّ القياس أن يتصدَّق بجميع أمواله أو ثلثها، وهو قول بعض العلماء، ولكنه يتصدَّق بالأموال الزكويَّة فقط استحسانًا دون ما لا زكاة فيه.

◀ قول الصَّحابيِّ، وصورته: إذا قال الصَّحابيُّ قولًا باجتهاده ولم يتشر عند غيره ولم يُعلِّم له مخالفًا.

ومثاله: الخلاف في كفاية صلاة العيد عن صلاة الجمعة إذا اجتمع في يوم واحد، فمن يرى الأخذ بقول الصَّحابيِّ يرى أجزاء صلاة العيد عن الجمعة؛ لأنَّ هذا هو المأثور عن الصَّحابة ولم يُعرف عنهم خلافٌ في ذلك<sup>(١)</sup>.

◀ المصلحة، لا تُغفل المذاهب الأربعة العمل بالمصالح ودفع المفاسد بوجه ما، لكنَّهم يختلفون في قدر ذلك، حتَّى عُرِف الإمام مالكٌ رحمته الله بتوسُّعه في المصلحة المرسلة التي لم يدلَّ عليها دليلٌ بعينه، ولم ترجع إلى أصلٍ مخصوصٍ.

ومثاله: تضمين الصُّنَّاع (الأجير المشترك)، والأخذ بشهادة الصَّبيان في الجراح، ففي هاتين المسألتين استدلَّ من قال بهما بأدلةٍ منها: المصلحة المجلوبة فيهما.

## ٧- التَّعارض والتَّرجيح:

التَّعارض بين النُّصوص أو الأدلَّة يعني تقابلها على وجه يمنع كلَّ واحدٍ منها ما يدلُّ عليه الآخر<sup>(٢)</sup>، وهذا التَّعارض لا يقع بين نصوص الشَّرع المحكَّمة في حقيقة الأمر<sup>(٣)</sup>؛ ولكنه يقع بالنسبة للنَّاظر، والخلاف بسبب التَّعارض هو الغالب في أسباب الخلاف<sup>(٤)</sup>؛ لأنَّ المسألة الفقهيَّة الواحدة تتنازعها عدَّة أصولٍ وأدلةٍ في الغالب، فيختلف المجتهدون في تقديم وجه الجمع بين النصوص، أو القول بنسخ بعضها، أو التَّرجيح بينها، فمن أمثله ذلك:



(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٤ / ٢١١).

(٢) ينظر: «نهاية السؤل شرح منهاج الوصول» للإسنوي (ص ٢٥٤).

(٣) ينظر: «الرسالة» للشافعي (١ / ٢١٦)، «مقدمة ابن الصلاح» (ص ٢٨٥)، «جامع البيان» للطبري (٧ / ٢٥١).

(٤) ينظر: «تقريب الوصول» لابن جزي (ص ٢٠٢).



◀ الجمع بين النصوص: والخلاف في إعماله من وجهين: الأول: في تقديم وتأخير طرق دفع التعارض، وهي: الجمع بين النصين، أو الحكم بنسخ أحدهما بالآخر، أو الترجيح بينهما. والثاني: في تحقيق الجمع بين النصوص.

ومثاله: نهي النبي ﷺ عن استقبال القبلة واستدبارها في قضاء الحاجة مع فعله إياه، فقال بعضهم بحرمة في الصحراء مع جوازه في البنيان، وقال بعضهم بحرمة مطلقاً، وقال آخرون بجوازه مطلقاً، وفرق بعضهم فحرم الاستقبال وأجاز الاستدبار.

◀ النسخ<sup>(١)</sup>: ويقع الخلاف في بعض قواعد النسخ وفي تطبيقه في آحاد المسائل، فمن قواعده المختلف فيها: جواز نسخ المتواتر بالآحاد، وصحة النسخ بالإجماع، والنسخ بفعل النبي ﷺ، والزيادة على النص هل هي نسخ أو لا؟

ومثاله: خلاف العلماء في صلاة المأمومين خلف الإمام القاعد: هل يصلون قياماً أو قعوداً؟ فمن قال: يصلون قعوداً، فعمل بحديث: «إِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا أَجْمَعُونَ»<sup>(٢)</sup>، ومن قال: يصلون قياماً، حكّم بنسخ هذا الحديث بحديث عائشة رضي الله عنها، وبما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم صلّوا قياماً مع النبي ﷺ في آخر حياته وهو جالس.

◀ الترجيح<sup>(٣)</sup>: وهو إعمال الدليل الأقوى وترك غيره، وله صور كثيرة يطول تتبعها. ومثاله: اختلاف العلماء في نهاية وقت العشاء: هل هو ثلث الليل أو نصفه أو طلوع الفجر؟ وسبب الخلاف تعارض الأحاديث المروية في ذلك<sup>(٤)</sup>؛ ففي حديث إمامة جبريل عليه السلام أنه صلّاها بالنبي ﷺ في اليوم الثاني في ثلث الليل<sup>(٥)</sup>، وفي حديث أنس أنه قال: «أَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ»<sup>(٦)</sup>، وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه: «لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ؛ إِنَّمَا التَّفْرِيطُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَلِّ الصَّلَاةَ حَتَّى يَحْيِيَ وَقْتُ الصَّلَاةِ الْآخَرَى»<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: «الإنصاف» لابن السّيد البَطَّيُّوسِي (ص ١٩٧)، «فرائد الفوائد» للمناوي (ص ١٠٠)، «تقريب الوصول» لابن جزّي (٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٩)، ومسلم (٤١١).

(٣) ينظر: «فرائد الفوائد» للمناوي (ص ١٠١، ١٠٢).

(٤) ينظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ١٠٤).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٩٣) والترمذي (١٤٩)، وحسنه عقب الحديث رقم (١٥٠).

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٢) واللفظ له، ومسلم (٦٤٠).

(٧) أخرجه مسلم (٦٨١)، وينظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ١٠٤).



◀ تعارض العام والخاص<sup>(١)</sup>: ولهذا السبب صورٌ عديدةٌ منها: إذا تقدّم الخاصُّ على العام، فهل يكون العامُّ ناسخًا للخاصِّ أو يُحمل العامُّ على الخاصِّ؟ وهذا راجعٌ إلى دلالة العامِّ: هل هي قطعيةٌ كالخاصِّ أو ظنيّةٌ؟ ومنها: إذا تعارض نصٌّ عامٌّ مع دليلٍ معتبرٍ عند المجتهد كعمل أهل المدينة أو القياس أو قول الصحابيِّ، فإذا أمكن الجمع بينهما بالتخصيص فهل يخصّص بها أو لا؟ وإذا لم يصحَّ الجمع بينهما فأَيُّ منهما يُقدّم؟

ومثاله: تخصيص طائفةٍ من العلماء قولَ النبي ﷺ: «فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشُرُ»<sup>(٢)</sup>، بقوله ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسٍ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>، في حين اعتبر بعضهم الحديث الوارد فيه العموم ناسخًا للخاصِّ، فتجب الزكاة في كلّ ما يخرج من الأرض من الحرث قليله وكثيره.



(١) ينظر: «الإحكام» لابن حزم (٢/١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٠٥) ومسلم (٩٧٩).

## الأنشطة

### النشاط الأول:

من أسباب اختلاف العلماء في المسائل الفقهيّة: اختلافهم في المسائل والقواعد الأصوليّة المبنيّة عليها.  
بالتعاون مع زميلك: اذكر ثمرة فقهيّة ترتبت على الخلاف في كلّ مسألة أصوليّة ممّا يلي، مع الاستفادة من كتاب «تخريج الفروع على الأصول» لإصدار إثراء المتون:

#### الثمرة الفقهيّة

#### المسألة الأصوليّة

حجّة شرع من قبلنا.

حجّة تقرير النبي ﷺ لما فعل أو قيل بحضرته.

هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب.

تخصيص الكتاب بخبر الآحاد.

### النشاط الثاني:

من العلماء الذين اعتنوا بذكر أسباب الخلاف في المسائل الفقهيّة: ابن رشد الحفيد في «بداية المجتهد».

بالرجوع إلى الكتاب: اذكر ثلاث مسائل من كتاب الصلّة نصّ المؤلّف على سبب الخلاف فيها، مع بيان هذا السبب وأثره في المسألة.

### النشاط الثالث:

بالاستعانة بكتاب «التنبية على مبادئ التوجيه» للتّونجيّ: اذكر سبب الخلاف لكلّ مسألة ممّا يلي:

## سبب الخلاف

## اللباقة

من شكَّ في طلوع الفجر في رمضان  
هل يباح له الأكل أو لا؟

حكم أداء الزكاة لغير فقراء البلد

حكم الموالاة في الوضوء

حكم قصر الصلاة في السفر

### النشاط الرابع:

اكتب ملخصاً في صفحة لأسباب الخلاف الفقهي الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم،  
مع استفادتك من كتب تاريخ الفقه.

### النشاط الخامس:

بالتعاون مع مجموعتك: اذكر مثلاً لكل سبب مما يأتي - غير المذكور في الكتاب-،  
مع الاستفادة من كتب أسباب اختلاف الفقهاء المعاصرة:

١- الاختلاف بسبب عدم بلوغ النص لأحد المجتهدين.

٢- الاختلاف بسبب غرابة اللفظ الوارد في النص.

٣- الاختلاف في كون الحكم معللاً أو تعبدياً.

### النشاط السادس:

من أسباب الخلاف بين الفقهاء: اختلافهم في ترتيب طرق دفع التعارض (الجمع،  
النسخ، الترجيح)، فسلك الحنفية مسلكاً مخالفاً لمسلك الجمهور.

بالاستعانة بكتابي «قواطع الأدلة» (١/٤٠٤)، و«تيسير التحرير» (٣/١٣٧): قارن بين مسلك  
الجمهور والحنفية في ترتيب طرق دفع التعارض، وبين ثمرة خلافهم في ذلك.

## المَعْلَمُ الرابع:

### مراعاة الخلاف والخروج منه

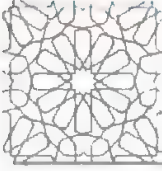
#### ■ الخروج من الخلاف:

- تعريفه.
- حكمه ودليله.
- شروطه.
- أمثله.

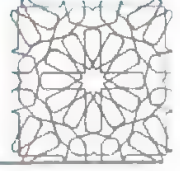
#### ■ مراعاة الخلاف:

- تعريفها.
- حكمها وأدلتها.
- شروطها.
- أمثلتها.





## أهداف المَعْلَم



بعد الانتهاء من هذا المَعْلَم يُتَوَقَّع من الطَّالِب أن:

١. يُعَرِّفَ الخروج من الخلاف ومراعاته
٢. يربط بين الخروج من الخلاف ومراعاته.
٣. يدلِّل على حكم الخروج من الخلاف ومراعاته.
٤. يبيِّن شروط الخروج من الخلاف وشروط مراعاته.
٥. يمثِّل على الخروج من الخلاف ومراعاته.
٦. يحدِّد الفرق بين الخروج من الخلاف ومراعاته.

## نشاط استهلاكي

تناقش مع مجموعتك في: أثر (فقه التعامل مع الاختلاف) في تحقيق المقاصد التالية:

- ١- الاجتماع والموودة بين المسلمين.
- ٢- الاحتياط للدين.
- ٣- الرجوع إلى الله ورسوله ثم إلى العلماء.

## مراعاة الخلاف والخروج منه

لَمَّا كَانَ الْخِلَافُ الْعِلْمِيُّ حَقِيقَةً وَاقِعَةً، اسْتَمَثَرَ الْعُلَمَاءُ السَّائِغَ مِنْهُ؛ لِتَحْقِيقِ جَمَلَةٍ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ؛ كَمَقْصِدِ الْإِتِّلَافِ وَتَضْيِيقِ هُوَّةِ الْخِلَافِ، وَالتَّخْفِيفِ وَالتَّيْسِيرِ، وَرَفْعِ الْحَرْجِ، وَجَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَدَرْءِ الْمَفْسَدَةِ، وَالتَّوَسُّطِ فِي الْأَحْكَامِ، وَنَحْوِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي مَسَائِلَ مِنْ فِقْهِ التَّعَامُلِ مَعَ الْخِلَافِ، مِنْهَا:

■ الخروج من الخلاف.

■ مراعاة الخلاف.

وَفِي هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ يَذْهَبُ الْفَقِيهَ لِمَذْهَبٍ مُخَالَفٍ جَزْئِيًّا، وَيَعْتَبِرُهُ بِقَدْرِ مَا إِذَا كَانَ مَأْخُذَهُ قَوِيًّا، وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ؛ حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَهَاءِ يوردُهما بِمَعْنَى وَاحِدَةٍ<sup>(١)</sup>، أَمَّا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ فَإِنَّ الْمُرَاعَاةَ عِنْدَهُمْ تُعَدُّ قَاعِدَةً أَوْ أَصْلًا مُسْتَقْلَلًا، عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي هَذَا الْمَعْلَمِ، فَلِمُرَاعَاةِ الْخِلَافِ مَعْنِيَانِ:

■ الْأَوَّلُ: يُرَادُ مِنْهُ الْخُرُوجُ مِنَ الْخِلَافِ، فَتَكُونُ مُرَاعَاةُ الْخِلَافِ مُرَادِفَةً لِلْخُرُوجِ مِنْهُ.

■ وَالثَّانِي: هُوَ مُرَاعَاةُ الْخِلَافِ بِالْمَعْنَى الْخَاصَّةِ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ، وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ.

### ■ الخروج من الخلاف:

يُمَثِّلُ الْخُرُوجُ مِنَ الْخِلَافِ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ تَشَوُّفِ الْفُقَهَاءِ إِلَى الْإِتِّلَافِ، وَالِاحْتِيَاظِ فِي الدِّينِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِعْطَاءِ الرَّأْيِ الْمُخَالَفِ مَا يَنَاسِبُ مِنَ الْإِعْتِبَارِ بِحَسَبِ قُوَّةِ دَلِيلِهِ<sup>(٢)</sup>؛ وَفِيمَا يَلِي تَعْرِيفَ الْخُرُوجِ مِنَ الْخِلَافِ، وَبَيَانِ حُكْمِهِ وَأَدْلَتِهِ، وَشُرُوطِهِ، وَجَمَلَةٌ مِنَ الْأَمْثَلَةِ وَالتَّطَبُّقَاتِ عَلَيْهِ:

#### أ- تعريف الخروج من الخلاف:

يَتَرَدَّدُ مُصْطَلَحُ الْخُرُوجِ مِنَ الْخِلَافِ فِي كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ سِوَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ أَوْ بِأَلْفَاظٍ مُقَارِبَةٍ، مِنْهَا: الْإِحْتِرَازُ أَوْ الْإِحْتِيَاظُ مِنَ الْخِلَافِ، وَالْخِلَاصُ مِنَ الْخِلَافِ، وَالْهَرُوبُ أَوْ الْفِرَارُ مِنَ الْخِلَافِ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْخِلَافِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَبَرُوا بِتَعْرِيفِ الْخُرُوجِ

(١) ينظر: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ١٣٦)، «حاشية الشُّبْرَانِلِيِّ عَلَى نَهَايَةِ الْمُحْتَاجِ» (١/ ٢٦٠).

(٢) ينظر: «معلمة زايد» (٩/ ٢٥٠).



من الخلاف، مكتفين بتصوير المسألة، ومجموع ما ذكروه يعود إلى طريق الخروج من الخلاف المعتبر بين العلماء؛ وذلك في عدة صور، فإذا اختلفوا بين<sup>(١)</sup>:

- (الإباحة أو الاستحباب أو الكراهة) من جهة و(التَّحريم) من جهة؛ فالخروج من الخلاف يكون بـ(التَّرك).
- (الإباحة أو الاستحباب أو الكراهة) من جهة و(الوجوب) من جهة؛ فالخروج يكون بـ(الفعل).



والمراد من الخروج من الخلاف: العمل بالأحوط من القولين المختلفين، فلا يكون في فعله أو تركه حرجٌ عند أيٍّ منهما، فهو: اعتبار القول القوي المخالف باستحباب فعل المختلف في وجوبه وترك المختلف في تحريمه احتياطاً؛ فهو «توسُّطٌ بين الدَّليْلَيْن، والقولُ بحكم ثالثٍ بين الحُكْمَيْن؛ احتياطاً للذَّين، وأتقَاءً للشُّبهة»<sup>(٢)</sup>، وهذا إنَّما يكون في الخلاف القويِّ المعتبر، ومحلُّ الفتيا بالخروج من الخلاف يكون قبل العمل بالمسألة.

**ب- حُكم الخروج من الخلاف وأدلتُه:**

نقل غير واحدٍ من أهل العلم الاتفاق على استحباب الخروج من الخلاف بشروطه، فإنَّ المجتهد وإن رأى رأياً، لكنَّه قد يوجِّه المستفتي قبل عمله بفتواه بأفضليَّة الخروج من الخلاف، ومن هذه الأقوال: قول النوويؒ في «شرحه على مسلم» (٢٣/٢): «العلماء متفقون على الحثِّ على الخروج من الخلاف»، وقال ابن السَّكِّيؒ في «الأشباه والنظائر» (١١١/١): «اشتهر في كلام كثيرٍ من الأئمَّة -ويكاد يحسبه الفقيه مجمعاً عليه- من أنَّ الخروج من الخلاف أولى وأفضل»<sup>(٣)</sup>.

ويجدر التَّنبيه إلى أنَّ مراتب النَّدب في الخروج من الخلاف تختلف بحسب قوَّة دليل المخالف، فكلُّما كان مأخذ المخالف قوياً تأكَّد النَّدب وعظم طلبه، بل ربَّما رقى الخروج من الخلاف عن درجة النَّدب إلى درجة كراهية الوقوع فيه<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: «المنثور» للزركشي (١٢٧/٢ - ١٢٨)، «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ١٣٦-١٣٧)، «الفروق» للقرافي (٢١٠/٤).

(٢) «تغير الفتوى» لعبد الحكيم الرملي (ص ٤٩٤).

(٣) وينظر: «شرح صحيح مسلم» للآبي (٢٥٢/١/٢)، «المنثور في القواعد» للزركشي (١٢٧/٢).

(٤) ينظر: «الأشباه والنظائر» لابن السككي (١١٦/١)، «حاشية ابن عابدين» (١٤٧/١).

## دليل صحّة الخروج من الخلاف:

الخروج من الخلاف وسيلةٌ للائتلاف واحتياطٌ للشّرع، ومن صور اتّقاء الشُّبهة، والاستبراء للدين، خاصّةً إذا كان الخلاف قويّاً تتنازعه الأدلّة كما في الخلاف في التّحريم والإباحة؛ فإنّ الخروج منه بالتّرك أحوط للدين، وهذا مستحبٌّ؛ وأفضليّة الخروج من الخلاف في عمل معيّن «ليست لثبوت سنّة خاصّة فيه، بل لعموم الاحتياط والاستبراء للدين، وهو مطلوبٌ شرعاً مطلقاً؛ فكان القول بأنّ الخروج أفضلُ ثابتٌ من حيث العموم، واعتماده من الورع المطلوب شرعاً»<sup>(١)</sup>؛ لذا فإنّ ممّا يستدلُّ به لقاعدة أفضليّة الخروج من الخلاف عمومُ أدلّة الاحتياط والورع، وكذلك عمومُ النّصوص الدّاعية للاجتماع وترك الخلاف.

## ج- شروط الخروج من الخلاف:

يشترط للخروج من الخلاف شروطٌ ليكون صحيحاً لا مؤاخذه فيه، وأبرزها ما يلي<sup>(٢)</sup>:

١- أن يكون الخلاف في مسألة يسوغ الخلاف فيها، أمّا ما خالف النّصوص الصّحيحة فلا عبرة به، ولا يستحبّ الخروج منه<sup>(٣)</sup>.

٢- قوّة مأخذ الخلاف ومدركه، بأن تكون أدلّة القولين متقاربة<sup>(٤)</sup>.

٣- ألاّ يترتّب على الخروج من الخلاف إخلالٌ بسنّة ثابتة<sup>(٥)</sup>.

٤- ألاّ يترتّب عليه وقوعٌ في خلافٍ آخر<sup>(٦)</sup>.

٥- إمكان الخروج من الخلاف.



ومن أمثلة تخلف هذه الشّروط: القول بأنّ وقت العصر يبدأ بأن يصير ظلُّ كلّ شيءٍ مثليّه، مع قول بعض العلماء أنّ هذا آخر وقت العصر وبعدها يكون قضاء، فهنا لا يمكن الجمع بين القولين على فرض أنّهما معتبران، وكذلك اختلف العلماء في رفع اليدين في

(١) «الأشياء والنظائر» لابن السبكي (١/١١٢).

(٢) ينظر: «الأشياء والنظائر» لابن السبكي (٢/١١٢)، «المنتور في القواعد» للزركشي (٢/١٣٠)، «الأشياء والنظائر» للسيوطي (ص ١٣٧).

(٣) ينظر: «الرسالة» للشافعي (١/٥٦٠)، «المجموع» للنووي (٣/١٩٦).

(٤) ينظر: «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (١/٢٥٣)، (٢/١٨)، «الفروق» للقرافي (٤/٢١٢).

(٥) ينظر: «روضة الطالبين» للنووي (١٠/٢١٩)، «شرح النووي على مسلم» (٢/٢٣).

(٦) ينظر: «شرح النووي على مسلم» (٢/٢٣).

الصَّلَاة عند الرُّكُوع والرَّفْع منه فقال بعضهم بِسُنَّيْتِهِ، وهناك قولٌ ببطْلان الصَّلَاة بهذا الفعل، لكنَّه لا يراعى الخروج منه؛ لأنَّ المخالف يرى في الخروج من هذا الخلاف إخلالاً بِسُنَّةٍ ثابتة.

#### د- أمثلة على الخروج من الخلاف:

من أمثلة قاعدة الخروج من الخلاف وتطبيقاتها ما يلي:

- ١- استحباب إقامة الجمعة بعد الزَّوال عند من يرى أنَّ وقتها يدخل قبل ذلك .
  - ٢- أنَّ الشَّافعيَّ رحمه الله أحبَّ ألاَّ يقصُر في أقلَّ من ثلاثة أيَّامٍ ليخرج من الخلاف؛ لأنَّ أبا حنيفة رحمه الله لا يبيح القصْر إلَّا في ثلاثة أيَّامٍ <sup>(١)</sup>.
  - ٣- أنَّ السَّلف اختلفوا في أكل لحم الخيل لاختلاف الأحاديث المروية في ذلك؛ فكره أبو حنيفة أكله احتياطاً لباب الحرمة <sup>(٢)</sup>.
- ويلاحظ من هذه الأمثلة أنَّ الخروج من الخلاف فيه عملٌ بأشدَّ القولين.

#### مراعاة الخلاف:

اشتهر المذهب المالكيُّ تنظيراً وتفريعاً بـ(مراعاة الخلاف) <sup>(٣)</sup>، وهي تكون بعد الوقوع في المسألة -غالباً-، وفيما يلي تعريف لمراعاة الخلاف، وبيان حكمها وأدلتها، وشروطها، وجملة من أمثلتها وتطبيقاتها:

#### أ- تعريف مراعاة الخلاف:

المراد من مراعاة الخلاف: اعتبار المجتهد الدليل القويِّ لمخالفه بعد وقوع الحادثة لمقتضى شرعيٍّ؛ وذلك «أنَّ الأدلة الشرعية منها ما تبين قوَّته تبيُّناً يجزم الناظر فيه بصحة أحد الدليلين، والعمل بإحدى الأمارتين، فها هنا لا وجه لمراعاة الخلاف، ولا معنى له؛ ومن الأدلة ما يقوى فيها أحد الدليلين، وترجَّح فيها إحدى الأمارتين قوَّة ما ورجحاناً لا ينقطع معه تردُّد النَّفس وتشوُّفها إلى مقتضى الدليل الآخر، فها هنا تحسن مراعاة الخلاف، فيقول الإمام ويعمل ابتداءً على الدليل الأرجح لمقتضى الرَّجْحان في غلبة ظنِّه، فإذا وقع عقدٌ أو عبادةٌ على مقتضى الدليل الآخر لم يفسخ العقد، ولم تبطل العبادة؛

(١) ينظر: «المغني» لابن قدامة (٣/ ٢٤١).

(٢) ينظر: «المجموع» للنووي (٤/ ٣٢٢).

(٣) ينظر: «بدائع الصنائع» للكاظمي (٥/ ٣٩).

(٤) ينظر: «رفع النقاب» للشوشاوي (٦/ ١٩٥)، «الموافقات» للشاطبي (٥/ ١٠٦).

لوقوع ذلك على موافقة دليل له في النفس اعتباراً، وليس إسقاطه بالذي تشرح له النفس ... فيقول ابتداءً بالدليل الذي يراه أرجح، ثم إذا وقع العمل على مقتضى الدليل الآخر راعى ما لهذا الدليل من القوة التي لم يسقط اعتبارها في نظره جملة<sup>(١)</sup>.

ويختص إعمال دليل المخالف بعد الوقوع وليس قبله، حتى لا يظن ظاناً أن مجرد المخالفة بين دليلين موجبٌ لمراعاة أحدهما، فإنه لا يصح الاحتجاج بمطلق الخلاف.

### ب- حكم مراعاة الخلاف وأدلتها:

مراعاة الخلاف من الأصول المعتمدة بها عند جمهور المالكية<sup>(٢)</sup>، وعُدَّت من محاسن المذهب، وخالف في ذلك بعض المالكية فلم يروا العمل بها<sup>(٣)</sup>.

#### ■ أدلة صحة مراعاة الخلاف:

دَلَّ المالكية على مشروعية مراعاة الخلاف -على الوجه المعروف عند جمهورهم- بعدد من الأدلة، ومن أبرزها:

١- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «إِذَا نِكَحَتِ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلَاهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ أَصَابَهَا، فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا»<sup>(٤)</sup>.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ حَكَمَ أَوَّلًا ببطلان العقد، وأكَّده، ومن مقتضياته عدم اعتبار آثار هذا العقد وعدم ثبوت المهر، لكنَّه ﷺ عقبه بما اقتضى اعتبار أحد آثاره بعد الوقوع بقوله: «فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا»<sup>(٥)</sup>.

٢- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زَمْعَةَ رضي الله عنه، فقال سعد: هذا يا رسول الله ابن أخي عتبة بن أبي وقاصٍ عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُ ابْنُهُ، انظر إلى شَبْهِهِ! وقال عبد بن زَمْعَةَ: هذا أخي يا رسول الله، وُلِدَ على فراش أبي

(١) «المعيار المعرب» للونشريسي (٣٨٨/٦).

(٢) ينظر: «البيان والتحصيل» لابن رشد (٤٨/٢)، «الاعتصام» للشاطبي (٥٧/٣)، «المختصر الفقهي» لابن عرفة (٣٥/٤)، «شرح حدود ابن عرفة» للرصاص (ص ١٧٧)، «المعيار المعرب» للونشريسي (٣٧٧/٦)، (٣٨٨)، قال الرصاص في شرح حدود ابن عرفة (ص ١٨٣): «هل تجب مراعاة الدليل أو تجوز؟ قلت: يظهر وجوب ذلك عند المجتهد».

(٣) ينظر: «المعيار المعرب» للونشريسي (٣٨٧/٦)، (٣٩٢)، (٣٦/١٢)، «الموافقات» للشاطبي (١٠٧/٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٠٨٣)، والترمذي (١١٠٢) وحسنه، وابن ماجه (١٨٧٩)، وأحمد (٢٦٢٣٥) واللفظ له. وصححه ابن حبان (٤٠٧٤)، والحاكم في «المستدرک» (١٨٢/٢).

(٥) ينظر: «الاعتصام» للشاطبي (٦٣/٣)، «الموافقات» له (١٩١/٥)، «المعيار المعرب» للونشريسي (٣٩٥/٦).

من وليدته، فنظر رسول الله ﷺ إلى شبهه، فرأى شبهاً بيّناً بعته، فقال: «هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ، الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، وَاحْتَجِبِي مِنْهُ يَا سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ»<sup>(١)</sup>.

وجه الدلالة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قضى بالغلام لعبد بن زمعة لِمَا أدلى به مِنَ الْحُجَّةِ مِنْ أَنَّ الغلام وُلِدَ عَلَى فِرَاشِ أَبِيهِ وهو دَلِيلٌ ظَاهِرٌ قَوِيٌّ، ومع ذلك أمر ﷺ سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ بالاحتجاب عنه لِلشَّبهِ بين الغلام وعتبة بن أبي وقاصٍ، وفي ذلك مراعاةٌ لِلأَمَارَتَيْنِ (الفراش، والشَّبه)، وإعطاء كُلِّ واحدٍ منهما ما يقتضيه ويناسبه من الحكم.

٣- أَنَّ الْمَكْلَفَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُيَّا عَنْهُ فَإِنَّ إِجَازَةَ مَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ أَلِيْقَ بِالْعَدْلِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ إِثْقَالِهِ بِأُمُورٍ أَشَدَّ مِنَ النَّهْيِ ذَاتِهِ، خَاصَّةً إِذَا وَافَقَ فِي فِعْلِهِ دَلِيلًا وَاقْتَرَنَ بِهِ مِنْ الْقَرَائِنِ مَا يَرْجِّحُ إِجَازَةَ تِلْكَ الْآثَارِ<sup>(٢)</sup>.

٤- وَمِنَ الْأَصُولِ الَّتِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا فِي مِرَاعَاةِ الْخِلَافِ الِاسْتِحْسَانُ وَالمَصْلَحَةُ؛ إِذْ تُعَدُّ مِرَاعَاةُ الْخِلَافِ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الِاسْتِحْسَانِ، فَالدَّعَايِ إِلَيْهَا التَّشَوُّفُ إِلَى إِنفَازِ الْعُقُودِ وَجَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِحْسَانِ وَاعتِبَارِ الْمَالِ<sup>(٣)</sup>.

### ج- شروط مراعاة الخلاف:

يشترط لـ (مراعاة الخلاف) عند القائلين به ما يلي:

١- صدور مراعاة الخلاف من المتأهِّل للاجتهاد حتَّى يوازن بين الأدلَّة ومآلاتها ويرجِّح بين المصالح والمفاسد<sup>(٤)</sup>.

٢- قوَّة مأخذ المخالف، فلا يراعى إذا كان شاذًّا أو شديد الضَّعف؛ فـ«كَلَّمَا قَوِيَ الْخِلَافُ قَوِيَتْ مِرَاعَاتُهُ، وَكَلَّمَا شَدَّ الْخِلَافُ ضَعُفَتْ مِرَاعَاتُهُ»<sup>(٥)</sup>.

٣- أَنْ تَكُونَ مِرَاعَاةُ الْخِلَافِ بَعْدَ وَقُوعِ الْفِعْلِ<sup>(٦)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (٢٢١٨) ومسلم (١٤٥٧).

(٢) ينظر: «الموافقات» للشاطبي (١٩١/٥)، «منار أصول الفتوى» للّقاني (ص٣٥٨).

(٣) قال الشاطبي في «الاعتصام» (٣/٥٦): «من جملة أنواع الاستحسان مراعاة خلاف العلماء»، ينظر: «البيان والتحصيل» لابن رشد (٣/٤١٩)، «رفع الحرج» للباحسين (ص٣١٩).

(٤) ينظر: «فتاوى الإمام الشاطبي» (ص١١٩)، «شرح ميارة» (٧/١)، «المعيار المعرب» للونشريسي (١١/١٠٣).

(٥) «منار أصول الفتوى» للّقاني (ص٣٧١)، وينظر: «البيان والتحصيل» لابن رشد (٤/٣٠١)، «المعيار المعرب» للونشريسي.

(٦) (١٢/٣٧)، «القواعد» للمقري (١/٢٣٦)، «إيصال السالك» للولائي (ص١٨٨).

(٦) ينظر: «المعيار المعرب» للونشريسي (٦/٣٨٨).

- ٤- ألا يترك المراعي للخلاف مذهبه بالكليّة أو من كلّ الوجوه.
- ٥- قيام مقتضى مراعاة الخلاف حقيقة، من تحقيق المصلحة أو دفع المفسدة المعتمدة.

#### د- أمثلة مراعاة الخلاف:

- من أمثلة مراعاة الخلاف وتطبيقاتها ما يلي:
- ١- نكاح الشُّغار المختلف فيه فاسدٌ، لكنّه يثبت به الميراث، ويفتقر في فسخه إلى الطلاق؛ لأنّه بعد الوقوع تعلّق به حقّ كلّ من الزّوجين والأولاد، ويتعلّق به من المصلحة وأدلتها ما يرجّح قول المخالف<sup>(١)</sup>.
- ٢- إذا دخل المصلي مع الإمام في الرُّكوع وكبّر للرُّكوع ناسياً تكبيرة الإحرام؛ فإنّه يستمرّ مع الإمام مراعاةً لقول مَنْ قال: إنّ تكبيرة الرُّكوع تجزئ عن تكبيرة الإحرام<sup>(٢)</sup>.
- ٣- أنّ الإمام إن صلّى بالنّاس صلاةً ثمّ تذكّر أنّه نسي صلاةً قبلها، فصلاة الإمام باطلةٌ لأنّه لم يراعِ التّرتيب، وصلاة المأمومين صحيحةٌ مراعاةً لقول مَنْ قال: إنّ الصّلاة لا تفسد لمن تذكّر صلاةً منسيةً، ومراعاةً لمن لم يشترط التّرتيب في الفوائت<sup>(٣)</sup>.
- ٤- لحم السّبع ليس حراماً عند بعض المالكيّة، وعليه فإنّ من أخذه خفيةً يعدّ سارقاً، لكن لا يقام عليه الحدّ وإن بلغ نصاباً مراعاةً لقول الجمهور أنّ لحم السّبع حرامٌ<sup>(٤)</sup>.
- ويلاحظ من هذه الأمثلة أنّ مراعاة الخلاف فيها ميلٌ للتيسير على المكلف.

(١) ينظر: «الموافقات مع حاشية دراز» (١٠٦/٥)، «منار أصول الفتوى» للّقاني (ص ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٧١).

(٢) ينظر: «الموافقات» للشاطبي (١٠٦/٥ - ١٠٧)، «الاستذكار» لابن عبد البر (٣/١٣٤).

(٣) ينظر: «البيان والتحصيل» لابن رشد (٢/٢٠).

(٤) ينظر: «حاشية الدسوقي» (٣٧٦/٤)، «شرح الخرشي» (٣/٣٠).

## الأنشطة

## النشاط الأول:

بالتعاون مع مجموعتك: بيّن المقاصد والثمرات التي تحقّقها: مراعاة الخلاف، والخروج منه.

## النشاط الثاني:

بيّن الفروق بين الخروج من الخلاف ومراعاة الخلاف من حيث الاعتبارات التالية:

مراعاة الخلاف	الخروج من الخلاف	
		حكمه من حيث الجملة
		المقصد منه
		موقعه من المسألة
		من يقوم به
		أخرى

## النشاط الثالث:

اذكر نصّين شرعيّين يدلّان على استحباب الخروج من الخلاف، مع بيان وجه الدلالة منهما.



## النشاط الرابع:

ميز كل مثال مما يلي هل يندرج تحت الخروج من الخلاف أو في مراعاة الخلاف:

مراعاة للخلاف	خروج من الخلاف	المثال
		يستحب إتمام ما بدأ به من التطوع - غير الحج والعمرة - عند من لا يقول بوجوبه، وإن قطعه فيستحب له قضاؤه. «شرح منتهى الإرادات» (١/ ٤٩٥-٤٩٦).
		حيث انتفى التحريم في استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة لوجود حائل، فالأدب ألا يستقبلها ولا يستدبرها. «الأشباه والنظائر» للسيوطي (١/ ١١٥).
		من وجب عليه سجود السهو قبل السلام، فسجد بعده، أو العكس، صح ولا إعادة عليه. «التأج والإكيل» (٢/ ٢٩٨).
		يحرم الجمع بين الصرف والبيع في عقد واحد، فإن جمع بينهما فسخ العقد مع قيام المبيع، لكن إن فات بالتلف أو غيره لم يفسخ العقد. «منح الجليل» (٤/ ٥٠٠).

## النشاط الخامس:

بالتعاون مع زميلك والاستفادة من المراجع في مراعاة الخلاف: بين مرتبة (مراعاة الخلاف) من الأصول المعتمدة عند المالكية، ووضح علاقتها بأصل (الاستحسان)، و(المصلحة المرسلة).



### ❖ النشاط السادس:

اذكر مثالا على كل مما يلي - غير ما ذكر في الكتاب -:

- ١- لا يستحب الخروج من الخلاف إذا كان القول المخالف ضعيف المأخذ.
- ٢- لا يستحب الخروج من الخلاف إذا ترتب عليه وقوع خلاف آخر.
- ٣- مراعاة الخلاف في غير العبادات.

### ❖ النشاط السابع:

- فيما يلي نموذجان لمسألة مسح الأذنين في الوضوء، أحدهما فيه خروج من الخلاف، والآخر فيه مراعاة للخلاف، حدد ذلك، مع التعليل وبيان الفرق بين النموذجين:
- ١- يجب مسح الأذنين في الوضوء وهما من الرأس، لكن من نسي مسحهما وصلّى؛ فلا تجب الإعادة عليه. «مواهب الجليل» (١/ ٢٥٥).
  - ٢- من قال بعدم وجوب مسح الأذنين في الوضوء، قال بأنه مستحب، وهو أولى. «تصحيح الفروع» (١/ ١٨١).

## المَعْلَمُ الخامس:

### مراحل بحث المسألة الخلافية

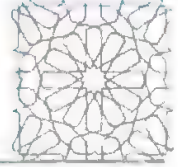
#### ■ مراحل بحث المسألة الخلافية:

١. تصوير المسألة.
٢. تحرير محلّ النزاع.
٣. ذكر الأقوال في المسألة.
٤. عرض أدلّة الأقوال.
٥. مناقشة أدلّة الأقوال والجواب عنها.
٦. التّرجيح.
٧. ذكر سبب الخلاف.
٨. بيان نوع الخلاف من حيث ثمرته.





## أهداف المعلم



بعد الانتهاء من هذا المعلم يُتَوَقَّع من الطَّالِب أن:

١. يفرِّق بين تصوير المسألة وتحرير محلِّ النزاع.
٢. يرتَّب مراحل بحث المسألة الخلافية.
٣. يعدد فوائد تحرير محل النزاع.
٤. يذكر أهمَّ طرق عرض الأقوال.
٥. يطبِّق مراحل بحث المسألة الخلافية.



## نشاط استهلاكي

اختر الإجابة الصحيحة ممّا يلي، ثمّ قوّم إجابتك بعد دراسة المَعْلَم:

١ - المرحلة التي يتتبع الباحث فيها أوصاف المسألة وقيودها، ويوضح حقيقتها، هي:

(تحرير محلّ النزاع - عرض أدلة الأقوال - تصوير المسألة - الترجيح)

٢ - من أهمّ مراحل بحث المسألة الخلافية التي لا يُستغنى عنها:

(سبب الخلاف - عرض الأقوال - ثمرة الخلاف - تصوير المسألة)

٣ - ممّا ينبغي مراعاته عند ذكر أدلة القول المرجوح:

(عرض أدلتهم بما يشعر القارئ أنّه يتبنّى هذا القول - استقصاء أدلتهم من كتب القول

الراجح - الاقتصار على إيراد أدلتهم الضعيفة دون القويّة - صياغة أدلتهم بما يبيّن ضعفها)

٤ - ينبغي أن تكون مناقشة الأدلة موجهة إلى:

(القول الذي تدلُّ عليه - صاحب القول - لغة عرض الدليل - دلالة الدليل ومرتبته)

## مراحل بحث المسألة الخلافية

تنقسم المسائل الفقهية إلى نوعين من حيث تحقق الخلاف:

■ النوع الأول: مسائل وفاقية أو إجماعية، وهذه أفرد العلماء فيها كتباً خاصة؛ كـ«الإجماع» لابن المنذر، و«مراتب الإجماع» لابن حزم، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان الفاسي، ولحقتها دراسات للتأكد من تحقق الإجماع أو عدمه، كـ«نقد مراتب الإجماع» لابن تيمية -رحمهم الله جميعاً-.

■ النوع الثاني: مسائل خلافية، وتعدُّ الأكثر عدداً في التأليف الفقهي، وهي على قسمين: القسم الأول: ما كان الخلاف فيها شاذاً؛ وهذه يقلُّ الكلام فيها لعدم الاعتداد بالخلاف فيها.

القسم الثاني: ما كان الخلاف فيها معتبراً، وهذا موضوع هذا المعلم.

فإذا أراد الدارس لمسائل الخلاف المعتبر أن يبحثها ويدرسها، فلا بدَّ له من سلوك منهج منضبط يظهر من الالتزام به فهم المسألة فهماً جلياً، ويعرّف الناظر في بحثه سلامة القواعد التي سلكها والطرق التي اتبعها، والمراحل التي مرَّ بها أثناء دراستها.

وهذا المعلم يحدّد أهمَّ المراحل التي تضبط بحث المسألة الفقهية، وهذه المراحل تنطبق على غالب المسائل الخلافية، وهي: تصوير المسألة، تحرير محل النزاع، ذكر الأقوال، عرض الأدلة، مناقشتها والجواب عنها، الترجيح، ذكر سبب الخلاف، ثمرة ، وبينانها فيما يلي:

### المرحلة الأولى: تصوير المسألة:

هذه أولى المراحل في بحث المسألة الخلافية، ومعنى تصوير المسألة: توضيح حقيقتها، وبيان ماهيتها دون زيادة عليها أو نقصان، فلا يُدخل فيها ما ليس منها من الأوصاف غير المؤثرة، ولا يهمل بعض جوانبها المهمة.

وهذه المرحلة يقتصر فيها الباحث على الفهم وإدراك الماهية، من غير أن يُصدر حكماً فيها.

(١) يراجع: «منهج البحث في الفقه الإسلامي» لعبد الوهاب أبو سليمان، «تأصيل بحث المسائل الفقهية» لخالد السعيد، «الخلاف والمناظرة» لصالح العقيل (ص ١٩٠).

ومرحلة التصوير لا بدَّ فيها من استقراءٍ دقيقٍ للمسألة محلَّ النَّظر، وتأملٍ لقيودها إن كان لها قيودٌ، ومراعاةٌ لكلِّ ما يلحق بها بحيث تتضح حقيقتها.

وفي تصوير المسألة تُذكر الألفاظ التي تحتاج إلى بيانٍ بالتعريف: حدًّا أو رسمًا أو بالوصف أو المثال، مع مراعاة أنَّ بعض المسائل واضحة لا تحتاج لمزيد بيانٍ، فمعناها يُدرَك بالمعنى اللُّغوي، وبعضها مرَكَّبٌ؛ يُحتاج لبيان معاني ألفاظها على وجه الأفراد ثمَّ على وجه التركيب.

فإذا تصوَّر الدَّارس المسألة الخلافية تصوُّراً صحيحاً أمكنه بعد ذلك البناء على هذا التَّصور، والانطلاق منه لإكمال بقية المراحل، والوقوفُ على أرضٍ صلبة، دون أن يردَّ عليه خللٌ من قِبَل فهمه لأصلها؛ ولهذا لا بدَّ من التَّأني والتَّروِّي في هذه المرحلة، والتَّحَقُّق التَّامَّ من صحَّة ما توصَّلَ له، وعليه الرجوع إلى أهل الخبرة خصوصاً في مسائل التَّوازل والمسائل المرتبطة بأكثر من علم.

### ■ المرحلة الثانية: تحرير محل النزاع:

تُعَدُّ هذه المرحلة من المراحل الجوهرية في دراسة المسألة الخلافية؛ لما يترتَّب عليها من صحَّة بحث أصل المسألة أو الغلط فيه، أو التَّوقُّف عن دراستها إذا تبين أنَّه لا يوجد خلافٌ حقيقيٌ يستدعي ذلك.



والمراد من تحرير محلَّ النزاع: «تعيين نقطة الخلاف بالتَّحديد، وبيان مقصود المتخالفين حتَّى يظهر منذ البداية إذا كان مقصودهم متَّحداً، أو أنَّ أحدهم يقصد خلاف ما يقصده الآخر»<sup>(١)</sup>، وذلك بأن تذكر مواطن الاتفاق، ومحل الاختلاف الذي يكون محل النقاش والاحتجاج بين المختلفين<sup>(٢)</sup>.

### ■ فوائد تحرير محل النزاع:

وتحرير محلَّ النزاع بين المختلفين في مسألةٍ من المسائل، وتمييز ما يلتبس بها ممَّا يشبهها، يعود على طالب العلم والباحثين في المسائل العلمية عامَّة والفقهية خاصَّة بفوائد جمة، أبرزها:

(١) «منهج البحث في الفقه الإسلامي» لعبد الوهاب أبو سليمان (ص ١٨١).

(٢) ينظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٧/٢١).

١- كشف حقيقة مقولة المختلفين في محلّ النزاع، ممّا يساعد على ضبطها بأدلتها وعدم تكرارها.

٢- تمييز الخلاف المعنويّ من اللفظيّ، والقويّ من الضّعيف.

٣- ترك المناقشة في الألفاظ والمعاني غير المؤثرة، والاشتغال بما يؤثّر في الخلاف<sup>(١)</sup>.

٤- توارد الخلاف على موضعه المحدّد، دون تشعبه إلى مواضع خارجة عنه.

٥- التّفريق بين المسائل المتشابهة.

٦- الإعانة على إصابة الحكم الذي هو ثمرة البحث الفقهيّ.

٧- تقريب شقّة الخلاف، وتقليل موضوعاته وحصرها<sup>(٢)</sup>.

٨- اتّقاء فضول الكلام، والاقتصار على المقصود دون حشو أو تطويل<sup>(٣)</sup>، وفي ذلك حفظٌ للوقت والجهد وعدم تضييعهما في بحث ما هو خارج محلّ النزاع، أو محلّ اتّفاق أو إجماع.

#### ■ طرق معرفة محلّ الاختلاف في المسألة :

يتحرّر للباحث محلّ النزاع إمّا بنقلٍ صريحٍ عن بعض أهل العلم، أو بما يُفهم من عباراتهم ذلك، أو باستخراج الباحث محلّ النزاع عند عدم الوقوف عليه بما يلي:

١- تصريح بعض أهل العلم بمحلّ النزاع أو الخلاف.

٢- أن يذكر أحد العلماء الصّور المتعلّقة بالمسألة أو أقسامها، ويعيّن المتّفق عليه والمختلف فيه دون التّصريح بأنّه محلّ النزاع، لكن يُعلم من تقسيمه أنّ المختلف فيه هو موطن النزاع.

٣- ألا يقف الباحث على نقلٍ يعتدّ به في تحرير محلّ النزاع، فيجتهد في تحريره، وذلك بأمور منها:



(١) ينظر: «نشر البود» للشنقيطي (ص ٩٣).

(٢) ينظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٧/٢١).

(٣) ينظر: «الواضح» لابن عقيل (١/١٥٦).



◀ أن يحصر الأقوال والصُّور الممكنة للمسألة، ثمَّ يستبعد منها المواطن المتَّفَق عليها، وما لا خلاف فيه، والأقوال التي لم يقل بها أحدٌ من المتنازعين، حتَّى تتمخَّض له صور النِّزاع ويتحرَّر له محلُّه.

◀ أن يتلمَّس محلَّ النِّزاع من الأدلَّة والاعتراضات الواردة في المسألة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض المسائل قد يتعدَّد فيها محلُّ النِّزاع؛ كأن يكون النِّزاع أوَّلًا في الإمكان العقليّ، ثمَّ في الوقوع الشرعيّ، ونحو ذلك.

### ب. المرحلة الثالثة: ذكر الأقوال في المسألة:

هذه المرحلة هي لبُّ الكلام في المسائل الخلافية، فإيراد الأقوال في المسألة أمرٌ لا بدَّ منه في بحثها؛ فإنَّها لم تكن خلافية إلاَّ لتعدد الأقوال الواردة فيها؛ وعرض الأقوال له صورتان رئيستان:

الصُّورة الأولى: ضبط الأقوال الرِّئيسة في المسألة؛ كالقول بالجواز وسرد القائلين به، والقول بالمنع وسرد القائلين به كذلك، ثمَّ التَّفرُّع من الأقوال الرِّئيسة بذكر ما انفرد به بعض العلماء من قيود أو تفصيلات داخل أحد الأقوال؛ وهذه الطَّريقة تفيد في ضبط الاتِّجاهات العامَّة في المسألة، ومعرفة تفصيلات كلِّ اتِّجاه.

الصُّورة الثَّانية: ذِكر كلِّ قولٍ بالتفصيل معزوًّا لقائله على انفراد؛ وهذه الطَّريقة تفيد في المسائل المحصورة لعدم تشعبها.

وفيما يلي مجموعة من التَّنبهات عند ذكر الأقوال:

- ١- أهميَّة معرفة طريقة نسبة الأقوال في كلِّ مسألة حسب الفنَّ الذي تنسب إليه؛ سواء أكانت فقهية، أم أصولية، أم عقدية، أم لغوية، وهكذا.
- ٢- مراعاة ترتيب الأقوال؛ فقد يكون بحسب الزَّمان فيبدأ بالأقدم ثمَّ الأحدث، أو بحسب الأكثرية؛ فيبدأ بالجمهور ثمَّ من خالفهم، وهكذا.
- ٣- الحرص على الموضوعية والإنصاف في عرض الأقوال، والتَّنزه عن القدح أو اللَّمز، أو المبالغة في تفخيم قولٍ يُفهم منه تنقيصٌ ما عداه.
- ٤- الأصل أن تُذكر الأقوال المعتمدة دون الشاذَّة والمهجورة، إلاَّ إن اقتضت طبيعة البحث أو المسألة استقراء جميع الأقوال وحصرها فتذكر.

## المرحلة الرابعة: عرض أدلة الأقوال:

وهذه المرحلة هي ميدان تنافس العلماء، وذُكر أدلة الأقوال من أهم مراحل بحث المسألة الخلافية؛ لأنه يُبنى عليها الاختيار والترجيح؛ لذا كان من الأهمية البالغة الدقة والإنصاف في عرض أدلة كل قول؛ وذلك يكون بجلبها من مصادرها الرئيسة دون الوسيطة، فضلاً عن أخذها من كتب المخالفين، خاصة مع توفرها في كتب أصحاب كل قول، والتزام الأمانة في عرض الأدلة، فلا يُقتصر على إيراد الأدلة الضعيفة دون القوية، ولا يصاغ الدليل بما يُشعر بضعفه، بل يحاول الباحث -قدر وسعه- عرض أدلة كل قول بما يشعر أنه يتبناه.

أمّا ترتيب الأدلة؛ فيراعى البدء بالأقوى والأظهر في دلالاته على غيره، أو يبدأ بالأدلة النصّية؛ لأنها أشرف، ثم الأدلة من المعاني، وهكذا.

ومن التنبيهات عند عرض أدلة الأقوال:

١- الحرص على بيان وجه الدلالة إن لم يكن ظاهراً خصوصاً في الأدلة النصّية، وإن كان الدليل واضحاً الدلالة فيورده كما ذكره أصحابه.

٢- استقصاء الأدلة عند الحاجة لذلك؛ كالمسائل الكبرى التي لها أثر واسع، بحيث لا يبقى أي دليل مؤثر إلا ويذكره الباحث، مع التنبيه على أن بعض الأدلة قد لا يقول بها بعض أصحاب ذلك القول، فهنا تكون النظرة لعموم القول.

٣- إذا لم يقف الباحث على دليل نصّ عليه أصحاب القول، فله أن يجتهد في استنباط دليل أو تخريج له مع الإشعار بذلك كقوله مثلاً: ومما يصح أن يُستدل به لهذا القول كذا، ثم يذكر كيف بنى هذا الدليل أو نوع التّخريج الذي خرّجه عليه.

٤- ضبط صياغة الدليل، فبناء الأدلة يكون على قواعد معروفة عند العلماء، سواء الأدلة الشرعية أو العقلية، فيراعى في كل دليل البناء الصحيح المنضبط له.

٥- شمول الأدلة وتنويعها، فإنها تختلف في تنوعها واعتبارها من علم إلى آخر ومن مسألة إلى أخرى، فهناك أدلة نقلية وتشمل الكتاب والسنة والإجماع وأقوال الصحابة، وهناك أدلة وأصول أخرى كالقياس والاستحسان والمصلحة، وهناك أدلة عقلية عامة كاستحالة اجتماع الضدين، وهناك أدلة لغوية.

### المرحلة الخامسة: مناقشة أدلة الأقوال والجواب عنها؛

وهذه المرحلة تابعة لما قبلها، والمراد من مناقشة أدلة الأقوال: ذكر ما يرد على كل دليل؛ من اعتراض يفسد الاستدلال به، أو ذكر ما يتوجه أن يعترض به عليه، ثم ذكر الجواب عن هذه الاعتراضات إن وجدت، ويكون الوقوف على مناقشات الأدلة غالباً من كتب مخالفي هذا القول خصوصاً، أو من كتب أصحاب القول نفسه في معرض حفظ دليلهم والدفاع عنه، أو في كتب الخلاف عموماً، وبعض هذه المناقشات والاعتراضات والأجوبة عنها تكون من استنباط الدارس نفسه خاصة عندما لا يقف على ذلك من كلام أصحاب الأقوال ومخالفهم.

ولا بد أن تكون المناقشة متجهة لدلالة الدليل أو مرتبته، وكل ما له علاقة بإبطال الاستدلال به أو إضعافه وفق المنهج العلمي، دون أن تكون المناقشة موجهة إلى صاحب القول أو إلى أمر خارج عن الدليل؛ كأن يقول في مسألة الخلاف فيها معتبر: «وهذا الدليل لا يحتاج به عاقل»، بل عليه الاقتصار على بيان ضعف مأخذه أو منزلة الدليل، كأن يقول: «وهذا الدليل قياس في مقابلة نص صريح صحيح، فلا يصح الاحتجاج به؛ لأنه فاسد الاعتبار». ويحرص الباحث على فهم كل دليل واعتراض وجواب ليكون نقاشه على الوجه الصحيح، وعليه مراعاة الأدب واحترام المخالف عند المناقشات، والتّركيز على بيان موضع الإشكال ليحصل الإقناع وتقع الفائدة موقعها.

### المرحلة السادسة: التّرجيح؛

يُقصد بالتّرجيح في المسألة الخلافية: اختيار القول الأقوى أو الأقرب للصواب عند الدارس من الأقوال عقب الموازنة بين أدلتها، ومناقشتها، ودراسة الاعتراضات الواردة عليها؛ وهذه المرحلة نتاج ما سبق من مراحل.

وللتّرجيح صورٌ مختلفة، منها أن يكون للعمل أو الخروج بقول فقهي يخصّ الباحث فإنه لا يلزم غير الباحث، وهذا لا يُتقص من أهميّة هذه المرحلة حينها.

ولا بدّ في مقام التّرجيح أن يتّصف الباحث بالعدل والإنصاف والانضباط العلميّ والنّفسي والأخلاقيّ، وعندما لا يظهر للباحث الرّاجح في المسألة، أو تساوت عنده الأقوال؛ فإنّه يتوقّف، ولا يلزمه التّرجيح خاصّة أنّه قد يكون أمراً زائداً على دراسة المسألة.



أما المرجّحات فكثيرة ومتنوعة؛ لذا أفردھا الأصوليون في مصنفاتهم، ويذكرون المرجّحات في التّصنيف غالباً بعد مسائل الاجتهاد والتّقليد؛ ولمّا كانت هذه المرجّحات كثيرة يصعب حصرها؛ فإنّ المهمّ هو الاطّلاع على القواعد الأساسيّة في التّرجيح. وإذا أراد الدّارس إظهار ترجيحه، فلا بدّ أن يبيّن دليله ومأخذه في ذلك، وعليه أن يكون مطرّداً في أصول ترجيحه، بحيث إذا نظر فيه غيره فقد يتابعه في اختياره إذا وافقه في المأخذ، أو يعدّل عنه لعدم موافقته على الأصل الذي بُني عليه التّرجيح، فقد يرى الدّارس التّرجيح بكثرة الأدلّة مثلاً، ويخالفه غيره ومن ثمّ يخالفه في ترجيحه، أو يرجّح لدليل معتبر عنده وغير معتبر عند غيره.

### المرحلة السابعة: ذكر سبب الخلاف:

هذه المرحلة وما بعدها من لواحق ومكمّلات بحث المسألة الخلافية، والمقصود من هذه المرحلة: الوقوف على منزع الخلاف ودواعيه التي أوجبت، والأصل الذي بنى عليه كلّ صاحب قول في المسألة اختياره.

وسبق الكلام عن أسباب اختلاف الفقهاء في معلّم مستقل<sup>(١)</sup>.

والهدف من هذه المرحلة: بناء الملكة العلميّة في معرفة المؤثّرات والأصول التي بُني عليها الخلاف، فيحتاط لها الدّارس عند عرضه للمسألة، ويراعي فيها النّظر ويستوعب الخلاف بين أهل العلم، ويسيطر لهم العذر في ذلك.

### المرحلة الثامنة: بيان نوع الخلاف من حيث ثمرته:

ويُقصد بها: توضيح واقع الخلاف بالاعتبارات المتنوّعة؛ فيوضّح بعد دراسة مسألة معيّنة:

- إن كان الخلاف في المسألة له ثمرة، فيتوجّه النّظر للأثر المبنيّ على الخلاف؛ والثمرة غالباً ما تكون فروعاً فقهية في المسائل الخلافية الفقهية أو الأصولية، وقد تكون ثمرتها الخلاف في مسألة أخرى، فتكون هذه المسألة أصلاً للخلاف في مسألة أخرى.
- أو إن كان الخلاف لا ثمرة له، كأن يكون الخلاف لفظياً، أو يصحّ الجمع بين الأقوال، أو يكون الخلاف في مجرّد الجواز العقليّ مع الاتفاق في الوقوع الشرعيّ، أو هي من المسائل التقديرية الفرضية.

والهدف من هذه المرحلة: النّظر في مكانة الخلاف وما له من آثار وتوابع.

(١) ينظر (ص ٤١) من هذا المقرر.

## ❖ إجمال مراحل بحث المسألة الخلافية

ما سبق هو تفصيل مراحل دراسة المسألة الخلافية، وأمّا من حيث الإجمال فهي:

أولاً: الفهم الصحيح للمسألة؛ وهذا يكون بتصوّرها بشكلٍ دقيق، وتحديد محلّ الخلاف.

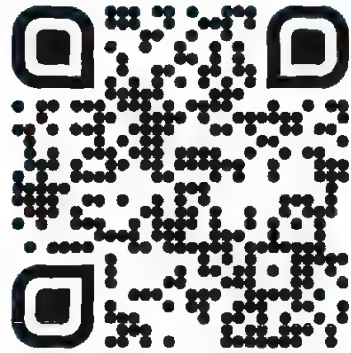
ثانياً: عرض الأقوال المعتبرة فيها، وما استدللّ به أصحاب كلّ قولٍ.

ثالثاً: الموازنة بين أدلّة أصحاب كلّ قولٍ، ومناقشات الأدلّة من اعتراضاتٍ وأجوبة؛ ليحصل الترجيح للدّارس بعد ذلك.

رابعاً: معرفة لواحق المسألة من ثمراتٍ مبنية عليها أو استخراج لأسباب الخلاف ونحو ذلك.



قالب إشراف المتون للباحثين



كتاب مهارات كتابة البحوث  
الصفية في الفقه وأصوله

## الأنشطة

### النشاط الأول:

بالتعاون مع زميلك: صوّر المسائل التالية بالرجوع إلى المصادر المتعلقة بها:

المسألة	صورة المسألة
التأمين التجاري	
نصاب الزكاة للأوراق النقدية	
الطلاق عبر الوسائل الحديثة	

### النشاط الثاني:

بعد دراستك لطريقة عرض الأقوال وأدلتها، وبالرجوع إلى كتاب «الحاوي الكبير» للماوردي (٤/ ٥٣-٥٤): بين أقوال العلماء في مسألة صيام أيام التشريق للمتمتع الذي لا يجد الهدي، مع ذكر دليلين لكل قول.

### النشاط الثالث:

قال الزركشي في «البحر المحيط» (٨/ ١٨١): «واعلم أنّ الترجيح كثيرة، ومناطها: ما كان إفادته للظن أكثر فهو الأرجح».

بالرجوع إلى المرجع السابق: اذكر ثلاثة من أوجه الترجيح بين الأخبار، وثلاثة من أوجه الترجيح بين الأقيسة، مع التمثيل.

### النشاط الرابع:

اختر مسألة من المسائل التالية، وطبق عليها مراحل بحث المسألة الخلافية بالاستعانة بالكتاب المذكور وغيره:

- ١- هل الحج واجب على الفور أو على التراخي، من كتاب «المغني» لابن قدامة (٣/ ٢٣٢).
- ٢- التيمم بغير الثراب، من كتاب «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٧٧).
- ٣- الأمر الوارد بعد الحظر، من كتاب «شرح مختصر الروضة» للطوفي (٢/ ٣٧٠).



## النشاط الخامس:

بالتعاون مع زميلك: حرّر محلّ الخلاف في مسألة (حجّة شرع من قبلنا).

## النشاط السادس:

بالتعاون مع مجموعتك: بيّن محل الاتفاق، ومحل الخلاف فيما يلي:

محل الخلاف	محل الاتفاق	النص
		قال ابن قدامة في المغني (٣/٢٩٩-٣٠٠): (مسألة: قال: (ولا يغطي شيئاً من رأسه، والأذنان من الرأس) قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن المحرم ممنوع من تخمير رأسه ... وقول الخرقى: (والأذنان من الرأس) فائدتها تحريم تغطيتهما، وأباح ذلك الشافعي ... فصل: فإن حمل على رأسه مكتلاً أو طبقاً أو نحوه؛ فلا فدية عليه، وبهذا قال عطاء، ومالك. وقال الشافعي: عليه الفدية؛ لأنه ستره ... فصل: وفي تغطية المحرم وجهه روايتان).
		قال الزركشي في شرحه على مختصر الخرقى (٣/٤١٣): (تقدم أن الإجماع قد انعقد على تحريم ربا الفضل في الجملة، وإن كان قد وقع في الصدر الأول خلاف، وأجمعوا على ذلك في الأعيان الستة المذكورة في حديث عبادة، ثم اختلفوا هل جرى الربا فيها لأعيانها أو لمعان فيها؟ ... ثم اختلفوا هل عرف ذلك المعنى أم لا؟).

## المَعْلَم السَّادسُ: آداب الخلاف ونماذجها

■ تعريف آداب الخلاف وأهميّتها.

■ آداب الخلاف:

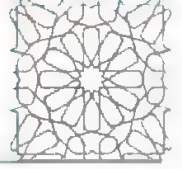
- أدب المخالف في نفسه.
- أدب المخالف مع غيره.







## أهداف المعلم



بعد الانتهاء من هذا المعلم يُتوقع من الطالب أن:

١. يعرف آداب الخلاف.
٢. يذكر أهمية آداب الخلاف.
٣. يعدّ آداب الخلاف.
٤. يذكر نماذج على آداب الخلاف.
٥. يستخرج آداب الخلاف من النصوص.



## نشاط استهلاكي

بالرجوع إلى المعالم السابقة: استخرج آداب الخلاف التي وردت فيها، ثمَّ قارن إجابتك بإجابة زميلك.



## آداب الخلاف ونماذجها

تقدّم أن الخلاف السّائع مشروع، وأنّه واقع في هذه الأُمَّة، إلّا أنّه قد يكون معرّضاً للخروج عن مساره إن لم يضبط بالضوابط الشرعيّة، والآداب المرعيّة؛ وإنّما يؤتي الخلاف ثماره اليانعة إذا كان المختلفون مدرّكين لحقيقته، متأدّبين بآدابه، عاملين على جمع الكلمة، مُعرّضين عمّا يهدم أركان الاجتماع والائتلاف ويثير الضّغائن بين النفوس، وإذا كان المسلمون مطالبين بالالتزام بآداب الإسلام الحميدة، فالعلماء وطلّاب العلم من باب أوّل مطالبون بالالتزام بهذه الآداب عامّة، والالتزام بآداب الخلاف خاصّة؛ حتّى يؤتي أكله، ويتّج ثمرته وهي الوصول إلى الحقّ المنشود وإن اختلفت الوسائل والمدارك في التّوصّل إليه؛ فالمخطئ منهم له أجر، والمصيب له أجران.

### تعريف آداب الخلاف وبيان أهميّتها:

الأدب: «استعمال ما يُحمّد قولاً أو فعلاً»<sup>(١)</sup>، و«معرفة ما يُحتَرز به عن جميع أنواع الخطأ»<sup>(٢)</sup>، والمقصود بآداب الخلاف: معرفة ما يحتاج إليه المختلفان من مكارم الأخلاق ومحاسن الخلال، والضّوابط الشرعيّة والعلميّة اللاّزمة لإدارة وجهات النّظر المتباينة وتفاوت الرّؤى في المسائل الاجتهادية، من أجل الوصول إلى الحقّ بأسلم طريق.

والالتزام المختلفين بآداب الخلاف له أثر كبير في خروجه في أحسن صورة وأقوم طريقة، ومن ثمرات هذا الالتزام أنّه يُعين على رجوع أيّ من المختلفين للحقّ إذا ظهر له؛ لأنّه غايته ومقصوده، دون الرّغبة في الانتصار للنفس، أو فرض الرّأي على الآخر بأيّ طريق كان<sup>(٣)</sup>.

كما أنّ عدم الالتزام بآداب الخلاف يصير الخلاف المعترّ مذموماً؛ لما يخلف من التّباعد والتّهajer المنهيّ عنه، والجور والظلم والعدوان، إضافةً إلى تفريق الصّف وتشتت وحدة المسلمين.

(١) «تاج العروس» للزبيدي، مادة (أدب) (١٢/٢).

(٢) «التعريفات» للجرجاني (ص ١٥).

(٣) ينظر: «المنهاج» للبايجي (ص ٩-١٠).

## آداب الخلاف:

وهي كثيرة تقتصر على جملة منها، ويقاس عليها نظائرها وأمثالها، وهناك آداب أخرى تختص بمجلس المناظرة وطرق الحوار مع المخالف وهيئة الكلام، وسنأتي عليها في آداب المناظرة في القسم الثاني من الكتاب<sup>(١)</sup>، وسبق أن فصلنا بعض الآداب في معالم سابقة<sup>(٢)</sup>.  
أما آداب الخلاف فتقسم إلى قسمين:

### أ- آداب المخالف في نفسه:

وهي الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يلتزم بها أثناء الخلاف في خاصية نفسه، ونذكر منها ما يلي:

#### ١- إخلاص النية لله تعالى:

طلب العلم وبذل الوقت فيه قرينة من القربات؛ فلا بد من استصحاب الإخلاص لله تعالى في بحث مسائل العلم، واستفراغ الوسع في نظرها، وبذل الوقت والجهد لإصابة الحق فيها، فإن ذلك معدود من «النصيحة لله ولكتابه ولرسوله»<sup>(٣)</sup>، وقد قال تعالى في كتابه: «هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [غافر: ٦٥]، والله ﷻ لا يثيب المجتهدين -سواء المصيب منهم أو المخطئ- إذا كان اجتهادهم فيه حظاً لغيره، وفي الحديث القدسي: قال الله تبارك وتعالى: «أَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ»<sup>(٤)</sup>.

#### ٢- تحري الحق وإتباع الحجة:

فإن الغرض من النظر في مسائل الخلاف إصابة الحق، ونصرته ببيان الحجة<sup>(٥)</sup>، والمعياري في ذلك أن يكون الدليل في جميع موارد ومصادره متمسكاً كل مخالف<sup>(٦)</sup>، وقد تنازع المسلمون في مسائل كثيرة يسوغ فيها الخلاف، وقال

(١) ينظر (ص ١٧٥).

(٢) ينظر (ص ٣٤) الإنكار في مسائل الخلاف في المعلم الثاني، و(ص ٦٦) استحباب الخروج من الخلاف في المعلم الرابع.

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٥) ينظر: «الواضح» لابن عقيل (١/ ٥١٨)، «المنهاج» للباجي (ص ١٠).

(٦) ينظر: «آداب الطلب» للشوكاني (ص ٩١).



كُلُّ مَنْهُمْ بِمَا يَرَاهُ حُجَّةٌ؛ فَلَيْسَ لِمَنْ رَجَّحَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ أَنْ يَنْكَرَ عَلَى صَاحِبِ الْقَوْلِ الْآخَرِ، إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْمَدَارَسَةِ وَالْمُنَاقَشَةِ بِحُجَّةٍ شَرْعِيَّةٍ، فَإِنْ كَانَ مَعَ الْمَخَالَفِ حُجَّةٌ شَرْعِيَّةٌ فَيَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهَا، وَيَتَحَتَّمُ الْإِنْقِيَادُ لَهَا عِنْدَ ظُهُورِهَا؛ وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْجِّحَ قَوْلًا عَلَى قَوْلٍ بَغَيْرِ دَلِيلٍ، وَلَا يَتَعَصَّبَ لِقَوْلِهِ بَغَيْرِ حُجَّةٍ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّهُ «مَا تَحَلَّى طَالِبُ الْعِلْمِ بِأَحْسَنَ مِنَ الْإِنْصَافِ وَتَرْكِ التَّعَصُّبِ»<sup>(٢)</sup>.

وَتَحَرَّى الْحَقُّ مِنْ أَسْبَابِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ إِنْ ظَهَرَ عَلَى خِلَافِ مَا رَأَاهُ ابْتِدَاءً، وَقَدْ أَوْصَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه قَائِلًا: «لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ رَاجِعَتْ فِيهِ نَفْسُكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرَشْدِكَ أَنْ تَرَا جَعِ الْحَقُّ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمِرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ»<sup>(٣)</sup>، وَبِمِثْلِ هَذَا كَانَ يُوصِي وَيَعْمَلُ كِبَارُ الْأَثَمَةِ، قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رضي الله عنه: «عِلْمُنَا هَذَا رَأْيٌ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، وَمَنْ جَاءَنَا بِأَحْسَنَ مِنْهُ قَبْلَنَا مِنْهُ»<sup>(٤)</sup>.

### ٣- عدم التشويش على الناس أو حملهم على قوله:

إِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ فَهْمِ التَّعَامُلِ مَعَ الْخِلَافِ أَلَّا يُؤَدِّيَ الْإِخْتِلَافُ السَّائِعَ إِلَى مَفَاسِدَ وَفَتَنٍ بَيْنَ النَّاسِ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ لِلْقَاضِي أَبِي يَعْلَى رضي الله عنه وَهُوَ رَأْسُ الْحَنَابِلَةِ فِي وَقْتِهِ، فَأَرَادَ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَد رضي الله عنه، فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنْ بَلَدِهِ، فَأَخْبَرَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: إِنَّ أَهْلَ بَلَدِكَ كُلَّهُمْ يَقْرَءُونَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ فَلِمَاذَا عَدَلْتَ أَنْتَ عَنْهُ إِلَى مَذْهَبِنَا؟ فَأَجَابَهُ: إِنَّمَا عَدَلْتُ عَنْ الْمَذْهَبِ رَغْبَةً فِيكَ أَنْتَ، قَالَ الْقَاضِي: إِنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ فَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي بَلَدِكَ عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَبَاقِي أَهْلِ الْبَلَدِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ لَمْ تَجِدْ أَحَدًا يَدَارِسُكَ، وَكُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تُثِيرَ خُصُومَةً وَتَوْقِعَ نِزَاعًا، بَلْ كُنْ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ حَيْثُ أَهْلُ بَلَدِكَ عَلَى مَذْهَبِهِ أُولَى. ثُمَّ دَلَّهُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعَا

(١) ينظر: «دقائق التفسير» لابن تيمية (٢/ ٢٤)، «مجموع الفتاوى» له (٣٥/ ٢٣٣)، «بيان الدليل على بطلان التحليل» له (ص ١٤٦).

(٢) «نصب الرأية» للزيلعي (١/ ٣٥٥).

(٣) أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٧٧٥)، والدارقطني في «سننه» (٤٤٧١/ ٤)، وقواه ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٦/ ٣٢٠٣)، وذكر ابن القيم في «أعلام الموقعين» (٢/ ١٦٣) بأنه «كتاب جليل، تلقاه العلماء بالقبول»، وقال ابن الملقن

في «البلد المنير» (٩/ ٦٠٥): «وهو كتاب معروف مشهور لا بد للفقهاء من معرفته، والعمل به».

(٤) «مناقب الإمام أبي حنيفة» للذهبي (ص ٣٤)، «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢٧/ ٨٩).

وطاعة<sup>(١)</sup>؛ لذا فإن كان العالم يرى في فعل أنه مستحبٌ -مثلاً- واعتاد الناس على خلافه ممّا قد يشوّش عليهم فالأفضل له «أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأنّ مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلّة في السفر ثمّ صلّى خلفه مُتِمّاً، وقال: (الخلاف شرٌّ)<sup>(٢)</sup>.

وليس للعالم أن يحمل الناس ويشدّد عليهم في أخذ رأيه دون غيره من الآراء المعتمدة، أو أن يفتي بعدم اعتبار الأقوال الأخرى التي لها وجهٌ مقبولٌ، بل ربّما لشدّة الإنصاف وطلباً للتخفيف المأذون على المكلفين أرشده إلى غيره ممّن يفتي بخلاف قوله، كما فعل الإمام أحمد رحمه الله مع من سألته في مسألة فأجابه الإمام أحمد بأنّ عليه الحنث، فقال السائل: يا أبا عبد الله إن أفتاني إنسان أنّه لا يحنث؟ فقال له الإمام: تعرف حلقة المدنيين بالرّصافة؟ قال له السائل: فإن أفتوني يحلّ؟ قال الإمام: نعم<sup>(٣)</sup>.

#### ٤- الكلام بعلم:

ذكر الأصوليون من شروط الاجتهاد استفرغ الوسع، والكلام في مسائل العلم يكون معتبراً إن صدر من أهله وفي محلّه، فلا ينبغي على من لم يبذل وسعه في بحث المسائل العلميّة أن يتصدّر لنشر آرائه ومخالفة غيره من أهل العلم؛ فإنّ «من تكلف ما جهل، وما لم تثبته معرفته كانت موافقته للصواب -إن وافقه من حيث لا يعرفه- غير محمودٍ والله أعلم، وكان بخطئه غير معذورٍ»<sup>(٤)</sup>، حتّى إن بعض العلماء أوجب على المفتي إذا سئل عن مسألة أن ينظر فيها من جديد وإن سبق له بحثها والإفتاء فيها.

(١) تنظر القصة في «المسودة» لآل تيمية (ص ٥٤١).

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤٠٧/٢٢).

(٣) «العدة» لأبي يعلى (١٥٧١/٥)، «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١٤٢/١).

(٤) «الرسالة» للشافعي (٥٠/١).

والكلام بغير علم له أسباب، منها: حبُّ الظهور، واستعجال الثمرة، وشهوة الكلام، وغيرها من الآفات. وعلاجها: إتقان العلوم، والتأدّب بأدب العلماء الربّانيين.

#### ب- آداب المخالف مع مخالفه :

وهي الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يلتزم بها مع غيره من المخالفين له في المسألة، ونذكر منها:

##### ١- التواضع ولين الجانب:

فلا يتعامل مع مخالفه بالزّهو والتكبر، فضلاً عن السخرية والاستهزاء بقوله، ولا يحطّ من قدره لاختياره رأياً مخالفاً، أو التشنيع عليه بما لا يقول به أو يلتزمه<sup>(١)</sup>؛ لأنّ مقتضى العلم النافع الانكسار لله تعالى، ولين الجانب مع عباده، ولا سيّما الذين يخالفونه في مسائل الاجتهاد؛ لأنّهم شركاء في تطلّب مرضاة الله ﷻ، وإصابة الحقّ فيها؛ قال مسروق ﷺ: «بحسب امرئ من العلم أن يخشى الله، وبحسب امرئ من الجهل أن يعجب بعلمه»<sup>(٢)</sup>.

والتواضع من الآداب التي تكبير حدة النفس، وتحمل على الاستفادة من المخالف، أمّا الكبر والتطاول على من ينازعه في الفهم أو المدرك والمأخذ، فهو من سوء الأدب، «وسوء الأدب مقطعة للخير، ومدمعة للجاهل»<sup>(٣)</sup>.

والتخلق بالتواضع ومحاسن الأخلاق لا يعني المداهنة في الحق، أو عدم بيانه بالوجوه المشروعة.

والمسألة محلّ الخلاف -إذا كانت ممّا يسوغ فيها الخلاف، ويشته فيها وجه الصواب- ينبغي على المخالف أن يحترم رأي مخالفه، ولا يسارع إلى تسفيهه أو الانتقاص من قائله؛ وفي هذا المعنى عن عمر ﷺ: «أنّه لقي رجلاً فقال: ما صنعت؟ فقال: قضى عليّ وزيدٌ بكذا، قال: لو كنتُ أنا لقضيت بكذا، قال: فما يمنعك والأمر إليك؟! فقال: لو كنتُ أردكُ إلى كتاب الله ﷻ أو إلى سنة نبيّه ﷺ لفعلت، ولكنّي أردكُ إلى رأيي، والرأي مشترك»، ذكره ابن عبد البر ﷺ في

(١) ينظر: «الواضح» لابن عقيل (١/٥٢٣-٥٢٤).

(٢) أخرجه الآجري في «أخلاق العلماء» (ص ٧٠).

(٣) «الواضح» لابن عقيل (١/٥٢٩).



«جامع بيان العلم وفضله» (٨٥٤/٢)، ثم قال: «ولم ينقض ما قال عليّ وزيد، وهو يرى خلاف ما ذهبوا إليه؛ فهذا كثير لا يُحصى»؛ بل يبلغ احترام قول المخالف الأخذ به عند الحاجة - كما سبق في معلم مراعاة الخلاف -<sup>(١)</sup>.

فإذا لم ينتبه كل مخالف لهذا المعنى، ولم يأخذ نفسه بما ينبغي من مكارم الأخلاق، يوشك أن يقع في إخوانه من المختلفين معه؛ فيشتدّ عليهم بلفظ، أو يجرحهم بعبارة؛ والعلم رحمٌ بين أهله، ممّا يوجب البرّ بينهم، والإعراض عن كلّ ما يؤدّي إلى الشّحناء والبغضاء، لأنّ مقصود الجميع نِشْدان الحقّ وبلوغه، قال

ابن تيمية رحمه الله «مجموع الفتاوى» (١٧٣/٢٤): «أما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ولو كان كلّما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة، ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سيّدا المسلمين يتنازعا في أشياء لا يقصدا إلّا الخير».



## ٢- حسن الظنّ بالمخالف والتماس العذر له ما أمكن:

الخلاف - كما تقدّم - له أسباب كثيرة؛ منها خفاء النصّ أو خفاء دلّالته مثلاً؛ وفي هذا صنف ابن تيمية رحمه الله رسالته النّافعة «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وهكذا ينبغي رفع الملام عن المخالف ما أمكن، والتماس العذر ما ظهر له وجه؛ ومن ذلك أنّ عائشة رضي الله عنها لما بلغها أنّ عبد الله بن عمر يقول: «إنّ الميت ليُعذّب ببكاء الحيّ»، فقالت: (يغفر الله لأبي عبد الرحمن! أما إنّّه لم يكذب، ولكنّه نسي أو أخطأ؛ إنّما مرّ رسول الله ﷺ على يهوديّة يكي عليها، فقال: «إِنَّهُمْ لَيَكُونُونَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا»)<sup>(٢)</sup>، ف«تأمّل -رحمنا الله وإياك- هذا الأدب الرفيع، والاعتدال الكريم، والدّعاء الرّحيم، من غير ما صَحَب ولا عَنَف ولا هُجْر في القول؛ وانظر حسن الأسلوب حيث قدّمت الدّعاء له بالرّحمة تمهيداً لمقاتلتها وإيناسه قبل ردّ مقالته، ثمّ هي تلقّبه بما يشرفه في نفسه حيث عدّلت عن لقبه بابن عمر إلى لقبه بأبي عبد الرحمن؛ لأنّ كونه ابن عمر تشريف له بأبيه وليس له كسب في ذلك، أمّا تشريفه بابنه عبد الرحمن، فهو شرف حاصل منه هو؛ وهذا الأسلوب مقتبس من

(١) ينظر (ص ٦١) من هذا المقرر.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٩)، ومسلم (٩٣٢) واللفظ له.

هَٰذَا الْقُرْآنُ فِي مِثْلِ هَٰذَا الْمَوْقِفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] <sup>(١)</sup>.

٣- الأناة وعدم المبادرة إلى تخطئة المخالف قبل تفهّم كلامه جيّدًا:

ويدلّ على هذا الأدب الكريم أدلّة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، والتّثبت مطلوب حضراً وسفراً لا سيّما حال الاشتباه، وإنّما خصّه بالسّفر في الآية «لأنّ الحادثة التي فيها نزلت الآية وقعت في السّفر» <sup>(٢)</sup>؛ والقصد: أنّه لا ينبغي المبادرة إلى تخطئة المخالف قبل تبين قوله على حقيقته، وفهم حجّته من مصدرها وعلى الوجه الذي ساقها به؛ لأنّه السّبيل إلى فهم حقيقة الخلاف، والتأمّل في حُجَج كلّ مخالف، «خاصّة أنّ حاجة كلّ واحدٍ منهما إلى التّنبّه على ما يأتي به الآخر، كمحاجة الآخر إلى ذلك» <sup>(٣)</sup>.

٤- الإنصاف والعدل والأمانة:



إنّ «من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه؛ ومن لم يُنصِف لم يفهم ولم يتفهّم» <sup>(٤)</sup>، وتستند الحاجة إلى هذا الأدب عند حكاية كلّ واحدٍ منهما كلام صاحبه من غير زيادة ولا نقصانٍ <sup>(٥)</sup>؛ ومن

معالم الإنصاف والأمانة في العلم الرجوع لقول المخالف إذا ظهر صوابه، وترك الملاحاة في ذلك، ومن شواهد هذا المعنى ما روي عن عُمر رضي الله عنه أنّه قال: «لا تزبدوا في مهور النّساء على أربعين أوقية...، فمن زاد ألقى زيادته في بيت المال»، فقامت امرأة...، فقالت: «ما ذلك لك!» قال: «ولم؟» قالت: «لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَتَيْتُمُ احْدَنَهُنَّ فَنَطَارَا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]»، فقال عمر: «امرأة أصابت، ورجل أخطأ» <sup>(٦)</sup>؛ يقول ابن القيم رحمه الله في «أعلام الموقعين» (٤/ ٤٩٧):

(١) «موقف الأئمة من اختلاف الأئمة» لعطية محمد سالم (ص ٩٣) بتصرف.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي (٥/ ٣٣٨).

(٣) «الواضح» لابن عقيل (١/ ٥٢٠).

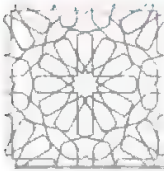
(٤) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١/ ٥٣٠).

(٥) «الكافية» للجويني (ص ٥٤١-٥٤٠).

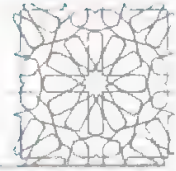
(٦) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٣٠) (٨٦٤)؛ وإسناده منقطع كما في «مسند الفاروق» لابن كثير

(٢/ ٥٧٣)، و«فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٢٠٤).

«والله تعالى يحبُّ الإنصاف، بل هو أفضل حِلْيَةٍ تحلَّى بها الرَّجُلُ خصوصًا مَنْ نصب نفسه حَكَمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعَدْلِ بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: ١٥]؛ فورثة الرِّسُولِ منصبهم العدل بين الطوائف، وألَّا يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعه، بل يكون الحقُّ مطلوبه؛ يسير بسيره، وينزل بنزوله، يدين دينَ العدل والإنصاف ويحكم الحُجَّةَ».



## الأنشطة



### النشاط الأول:

بالتعاون مع مجموعتك: اذكر أدبين من آداب المخالف مع نفسه، وأدبين من الآداب مع مخالفه - لم تُذكر في الكتاب -.

### النشاط الثاني:

قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَيَّ اللَّهُ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ» [أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨)].

بالاستعانة بأحد كتب شروح الحديث مثل: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض، «فتح الباري» لابن حجر، «سبل السلام» للصنعاني: بيّن معنى الحديث، واذكر فائدتين من فوائده.

### النشاط الثالث:

كان الأئمة يتبادلون الرسائل فيما بينهم بالنصح والخلافات الفقهية والمناقشات فيها، بأدب عالٍ وخلقٍ جَمٍّ، ومن أشهر تلك الرسائل: رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الإمام الليث بن سعد.

برجوعك إلى تلك الرسالة في «تاريخ ابن معين - رواية الدوري» (٤/ ٤٩٨): استخرج ثلاثة آداب للخلاف، والأصل الذي دار عليه خلافهم في المسائل الفقهية.

### النشاط الرابع:

اذكر نموذجاً من خلاف العلماء لكلٍّ ممّا يلي:

١ - خلاف بسبب عدم ورود نصٍّ في المسألة.

٢ - خلاف تنوّع.

٣ - التواضع مع المخالف، وسلامة الصدر تجاهه.

### النشاط الخامس:

استنبط ثلاثة آداب أو فوائد من نماذج الخلاف التالية:

١- عن ابن مسعود قال: سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محسنٌ، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». [أخرجه البخاري (٣٤٧٦)].

٢- لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟» فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلا أن رأيت الله ﷻ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. [أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)].

٣- عن أنس بن مالك قال: «أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسافرون، فلا يعيب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم». [أخرجه البخاري (١٩٤٧)، ومسلم (١١١٨)].

### النشاط السادس:

من آداب الخلاف وقواعده: الاحترام المتبادل بين المختلفين، وحفظ الود، وثناء بعضهم على بعض، ومن ذلك ثناء أئمة المذاهب الأربعة على بعضهم رغم خلافهم في كثير من الفروع، اذكر نماذج من ذلك بالرجوع إلى سيرهم في كتاب تاريخ الفقه (شركة إثراء المتون).

### النشاط السابع:

بالتعاون مع زميلك: اذكر نموذجين من أدب الصحابة رضي الله عنهم في الخلاف بينهم - غير ما ذكر في الكتاب -.

## القسم الثاني: المناظرة

المَعْلَم الأول: حقيقة المناظرة ونشأتها.

المَعْلَم الثاني: حكم المناظرة وفوائدها.

المَعْلَم الثالث: أركان المناظرة وشروطها.

المَعْلَم الرابع: مراحل المناظرة وضوابطها.

المَعْلَم الخامس: آداب المناظرة ونماذجها.



# المَعْلَم الأول:

## حقيقة المناظرة ونشأتها

### ■ أولاً: حقيقة المناظرة:

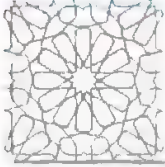
- تعريف المناظرة.
- مبادئ علم المناظرة.
- المصطلحات ذات العلاقة بالمناظرة.

### ■ ثانياً: نشأة المناظرة:

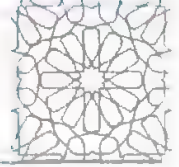
- موجزٌ عن تاريخ المناظرة عند المسلمين.
- المؤلفات في المناظرة والجدل.
- أسباب نشأة فنِّ المناظرة عند المسلمين.







## أهداف المَعْلَم



بعد الانتهاء من هذا المَعْلَم يُتَوَقَّع من الطَّالِب أن:

١. يشرح معنى المناظرة لغةً واصطلاحًا.
٢. يذكر تعريف المناظرة باعتباره لقبًا على عِلْم.
٣. يميّز بين مصطلح المناظرة وما يشبهه من مصطلحات.
٤. يربط بين مصطلح المناظرة والمصطلحات القريبة منه.
٥. يذكر موجزًا عن تاريخ المناظرة عند المسلمين.
٦. يعدّد جملةً من المصنّفات في فنّ المناظرة والجدل.
٧. يعلّل سبب نشأة الخلاف.



## نشاط استهلاكي

اختر الإجابة الصحيحة ممّا يلي، ثمّ قوّم إجابتك بعد دراسة المَعْلَم:

- ١- أيّ ممّا يلي ليس من ثمرات علم المناظرة:  
(التّحدّق في استعمال الأدلّة وإيرادها - إظهار الحقّ وإبطال الباطل - إلزام الخصم ورده عن رأيه بالحجّة - الفصاحة وسلامة اللّسان)
- ٢- إذا اختصّت المناظرة بالمسائل الفقهيّة فيسمّى هذا العلم:  
(الجدل - أصول الفقه - الخلاف - تاريخ الفقه)
- ٣- العلاقة بين مصطلح المناظرة ومصطلح البحث هي:  
(تضادّ - ترادف - عموم وخصوص مطلق - تباين)
- ٤- من المصطلحات التي تشترك مع مصطلح المناظرة في الرّغبة للوصول إلى الحقّ:  
(المحاورة - المماراة - المكابرة - المعاندة)
- ٥- من المؤلّفات في الجدل الأصوليّ:  
(الإنصاف في أسباب الاختلاف - أساس القياس - المنهاج في ترتيب الحجج - الإحكام في أصول الأحكام)



## أولاً: حقيقة المناظرة

للمناظرة مكانتها البارزة في تاريخ المسلمين وتراثهم العلمي؛ ففقدوا لها المجالس، وتنوعت فيها التأليف، وللمناظرة صلة وثيقة بالخلاف؛ لأنَّ المناظرة مبنية على وجود خلاف.



ولمَّا كانت حقيقة المناظرة لا تُدرَك إلاَّ ببيان تعريفها ومعناها، كان لزاماً الابتداء بذلك، ثمَّ لمزيد البصيرة فيها يأتي بيان غرضها وفائدتها وأبرز مصطلحاتها الدائرة فيها، وأبرز المصطلحات المشابهة للمناظرة وعلاقتها بها.

### تعريف المناظرة:

#### أ- المناظرة في اللغة<sup>(١)</sup>:

- المناظرة: مفاعلة من (النَّظَر) بمعنى الفكر، أو النَّظَر بمعنى الإبصار الحسي، أو النَّظَر بمعنى الانتظار، أو من (النَّظِير) أي المقابل والكفاء، وتوضيح وجه العلاقة فيها:
- أنَّ النَّظَرَ المعنويَّ يكون بالتَّبَصُّر والتَّفَكُّر والتَّأَمُّل.
- والنَّظَر الحسيَّ يكون بالعين الباصرة والمشاهدة؛ فإنَّ كلاً من المتناظرين يُقْبِل على صاحبه ليتلقَّى منه حُجَّتَه أو جوابه؛ لِيَتَأَمَّل فيه، ويتفكَّر في معانيه.
- وتكون مأخوذةً كذلك من (النَّظِير) وهو المقابل والكفاء والمثيل، وهو معنى يناسب مفهوم المناظرة التي تكون بين متقابلين ونظيرين متكافئين نسبياً في التَّمَكُّن من موضوع المناظرة.
- وكذلك معنى الانتظار مناسب لمفهوم المناظرة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما ينتظر الآخر حتَّى نهاية كلامه وإتمام وظيفته<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر مادة (نظر) في: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢٦٥/١٤)، «الصَّحاح» للجوهري (٨٣٠/٢)، «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤٤٤/٥)، «لسان العرب» لابن منظور (٢١٥/٥)، «أساس البلاغة» للزمخشري (٢٨٣/٢)، «معجم الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري (ص ٤٨٨).

(٢) ينظر: «الولدية مع شرح عبد الوهاب» (ص ٥٧)، «الرشيدية» (ص ١٣)، «تحفة الطلاب» (ص ٢٦).

## ب- المناظرة اصطلاحًا:

المناظرة تُعرَّف باعتبار ذاتها، وباعتبارها لقبًا على علمٍ معيّن:

- أمّا تعريفها باعتبار ذاتها: -أي الصّفة التي تقوم بالمناظرين- فهي: المحاورّة في الكلام بين شخصين على سبيل المدافعة، مع رغبة كلّ منهما في ظهور الحقّ<sup>(١)</sup>.
- وأمّا تعريفها باعتبارها لقبًا على علمٍ معيّن؛ فهي: علمٌ باحثٌ عن أحوال المتخاصمين؛ ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصّواب، حتّى يظهر الحقّ بينهما<sup>(٢)</sup>.

## ج- مبادئ علم المناظرة:

لعلم المناظرة مبادئ نذكر منها ما يلي<sup>(٣)</sup>:

### ■ موضوعه:

الأبحاث الكلّية غير المتعلقة بموضوع جزئي، ومنها: المنع والنقض والمعارضة، من حيث إنّها موجهة مقبولة أو غير موجهة وغير مقبولة في ميدان التناظر، وسيأتي قريبًا تعريف (البحث).

### ■ وغرضه:

الصّيانة عن الخطأ في المناظرة وإلزام الخصم وإظهار الحقّ، لتلاّ يقع الخطب في البحث، وصحّة إيراد الأدلّة على قانون المناظرة.

### ■ أسماؤه:

يسمّى علم: (المناظرة)، و(آداب البحث)، و(صناعة التّوجيه).

### ■ استمداده:

يستمد من علم المنطق، فكثير من قضايا ومصطلحاته مرتبطة بعلم المنطق، ومبنية عليه.

(١) ينظر: «آداب البحث والمناظرة» للشنقيطي (ص ١٣٩)، «الولدية مع شرح عبد الوهاب» (ص ٥٧) «التعريفات» للجرجاني (ص ٢٣٢)، «رسالة الآداب» لطاشكعري زادة (ص ٧، ٢٦)، «التوقيف» للمناوي (ص ٣١٦)، «الكليات» للكفوي (ص ٨٤٩).

(٢) «مفتاح السعادة» لطاشكعري زادة (٢/ ٥٥٥)، «أبجد العلوم» للفتوّجي (ص ٥٢٤). وينظر: «شرح الولدية» (ص ٥٩)، «حاشية البنجوني على آداب الكلنوي» (ص ١٠٢).

(٣) ينظر: «تقرير القوانين المتداولة» (ص ٢)، «مفتاح السعادة» لطاشكعري زادة (١/ ٢٨٠)، «آداب الكلنوي مع حاشية البنجوني» (ص ١٠٢ - ١٠٤)، «تحفة الطلاب» (ص ١٤ - ٢٥)، «رسالة الآداب» لمحمد محي الدين (ص ٧)، «الموجز» لحسين والي (ص ٢١).



## ■ نسبته إلى غيره من العلوم :

- لعلم المناظرة ارتباطٌ بنوعين من العلوم، تعدُّ كفروع له :
- علم الخلاف: وهو المناظرة المتعلقة بالمسائل الفقهية.
- علم الجدل: وهو المناظرة المتعلقة بالمسائل الأصولية.

## ■ أبرز مصطلحاته :

- النّظر: هو الفكر المؤدّي إلى علمٍ أو غلبة ظنٍّ<sup>(١)</sup>.
- السُّؤال: السُّؤال في الجدل هو: ما يستفهم به عن مذهب المناظر أو دليله أو وجه دلالته، والغرض منه هدم مذهب المدعي<sup>(٢)</sup>.
- الجواب: ما يردُّ به المدّعي على استفهام السّائل، وأقسام الجواب تتبع أقسام السُّؤال، والغرض منه بناء المدعي أدلة دعواه والدفاع عنها<sup>(٣)</sup>.
- محلُّ النزاع: وهو عبارة عن الموقع الذي تحقق فيه الخلاف<sup>(٤)</sup>.
- الاعتراض: وهو القول القادح في مقصود المتكلّم الذي يقصد بكلامه إثباته<sup>(٥)</sup>.
- التّقريب: سَوِّق الدّليل على وجهٍ يستلزم المطلوب<sup>(٦)</sup>.
- وسياتي بيان مصطلحاتٍ أخرى في المعالم القادمة.

## ■ المصطلحات المشابهة وعلاقة المناظرة بها :

بعد معرفة حقيقة المناظرة، من المناسب التّمييز بينها وبين المصطلحات المشابهة لها، وبيان علاقتها بها، ومن أبرز هذه المصطلحات:

- 
- (١) «آداب البحث والمناظرة» للشّشّيطي (ص ١٥). وينظر: «العدة» لأبي يعلى (١/ ١٨٤).
- (٢) ينظر: «إعيار النظر» (ص ٢١٢)، «الكافية» للجويني (ص ٧٧)، «عَلَمُ الْجَدَل» للطوفي (ص ٣١-٣٢)، «الواضح» لابن عقيل (١/ ٢٩٨)، «الإيضاح لقوانين الاصطلاح» لسبط ابن الجوزي (ص ٤٤).
- (٣) ينظر: «إعيار النظر» (ص ٢١٢)، «عَلَمُ الْجَدَل» للطوفي (ص ٣٦)، «الكاشف» للرازي (ص ٦٩)، «الواضح» لابن عقيل (١/ ٣١٣)، «التحجير» للمرداوي (٧/ ٣٧١٠).
- (٤) سبق تعريف محل النزاع في قسم الخلاف، في معلم (مراحل بحث المسألة الخلافية).
- (٥) ينظر: «الكاشف» للرازي (ص ١٩).
- (٦) «الرشيدية مع الشريعة» (ص ٢٦)، «آداب الكلنوي مع حاشية البنجوني» (ص ١١٩)، «الموجز» لحسين والي (ص ٢٧).

## ١- الجدل:

○ تعريفه:



تقدّم تعريف الجدل لغةً واصطلاحاً في قسم الخلاف، وذكرنا أن الجدل اصطلاحاً: تفاوض بين متنازعين للإلزام؛ سواءً كان فيه تحقيق حقٍّ، أو إبطال باطل<sup>(١)</sup>.

○ العلاقة بين المناظرة والجدل:



اختلف في العلاقة بين المناظرة والجدل على ثلاثة أقوال:

◀ **أولها:** أنها علاقة تساوي؛ فالجدل هو المناظرة<sup>(٢)</sup>.

◀ **وثانيها:** أنها علاقة تباين؛ ذلك أن المناظرة خاصّةٌ بالمدافعة لإظهار الحقِّ، والجدل خاصٌّ بالمدافعة للإلزام<sup>(٣)</sup>.

◀ **وثالثها:** أنها علاقة عموم وخصوص مطلق؛ فالجدل أعمُّ؛ لأنّه يشمل الوجهة المحمودَ وهو المناظرة التي تختصُّ بغرض ظهور الحقِّ، والوجهة المذمومَ وهو الرغبة في الإلزام، ولو بالباطل ودفع الحقِّ.

وعلى كلّ حالٍ فإنّ المتعين أن يكون الغرض من المناظرة إظهار الحقِّ سواءً على يده أو يد مناظره، كما قال الإمام الشافعيّ رحمه الله: «ما ناظرت أحداً قطُّ على الغلبة»، وقال: «ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ»، وقال: «ما ناظرت أحداً إلّا على النصيحة»<sup>(٤)</sup>.

## ٢- البحث:

○ تعريفه:

◀ **تعريف البحث لغةً:** إثارة الشيء والسؤال والاستخبار والتفتيش عنه، وبَحَثَ عن الخبر: طَلَبَ عِلْمَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: (ص ١٠).

(٢) ينظر: «الكافية» للجويني (ص ١٩)، «عَلَمُ الْجَدَل» للطوفي (ص ٧).

(٣) ينظر: «الكاشف» للرازي (ص ٢٨ - ٢٩)، «شرح عبد الوهاب على الولدية» (ص ٥٧).

(٤) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم (ص ٦٨ - ٦٩)، «مناقب الشافعي» للبيهقي (١ / ١٧٣).

(٥) ينظر مادة (بحث) في: «مقاييس اللغة» لابن فارس (١ / ٢٠٤ - ٢٠٥)، «الصحاح» للجوهري (١ / ٢٧٣)، «تاج العروس» للزبيدي (٥ / ١٦٣).

◀ تعريف البحث اصطلاحاً: له عدّة معاني<sup>(١)</sup>، هي:

- حمل شيء على شيء، فالأوّل المحمول والثاني الموضوع.
- إثبات النسبة الخبريّة بالدليل.
- المناظرة، التي هي صفة المتناظرين، وهو المراد هنا.

◀ تعريف البحث باعتباره لقباً لعلم: هو: (علم يُعرّف به كيفيّة البحث من حيث الصّحة والسّقم)<sup>(٢)</sup>.

○ العلاقة بين المناظرة والبحث:

والعلاقة بين المناظرة والبحث هي التّرادف؛ لذا يُجمّع بينهما، فيقال: آداب البحث والمناظرة<sup>(٣)</sup>، وسبق ذكر أنّ الأبحاث الكلّية كالمنع والنّقض والمعارضة، هي موضوع علم المناظرة.

### ٣- المحاورّة:

○ تعريفها:

◀ المحاورّة لغةً: مأخوذة من (حَوَرَ) وهو أصل يدلّ على معانٍ، منها: الرّجوع عن الشّيء وإلى الشّيء، ومن ذلك المحاورّة، وهي: مراجعة الكلام<sup>(٤)</sup>.

◀ المحاورّة اصطلاحاً: المراجعة في الكلام بأدب رفيع، أو: تداول الكلام بين طرفين أو أكثر<sup>(٥)</sup>.

○ العلاقة بين المناظرة والمحاورّة:

المحاورّة أعظم من المناظرة؛ لأنّها قد تكون على سبيل المدافعة فيدخل فيها المناظرة، وقد لا تكون على سبيل المدافعة.

(١) «الكليات» للكفوي (ص ٢٤٥ وينظر: ص ٩١١)، «التعريفات» للجرجاني (ص ٤٢)، «الرشيدية على الشريفة» (ص ٢١٢)، «الولدية مع شرح عبد الوهاب» (ص ١٩٣).

(٢) ينظر: «الموجز» لحسين والي (ص ٢١)، «فتح الوهاب في شرح رسالة الآداب» (ص ١٥).

(٣) لذا عرّف بعضهم البحث بنفس تعريف المناظرة، ينظر: «رسالة الآداب للكليني مع شرحها» (ص ١٥)، «الكليات» للكفوي (ص ٢٤٥).

(٤) ينظر مادة (حور) في: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ١١٥)، «الصحاح» للجوهري (٢/ ٦٣٩)، «تاج العروس» للزبيدي (٩٨/ ١١).

(٥) «معجم مصطلحات العلوم الشرعية» (ص ١٤٤٦).



#### ٤- الممارسة والمكابرة والمعاندة:

- ◀ الممارسة لغة: المجادلة، يقال: ماريت الرجل أماريه مرأة: جادلتها<sup>(١)</sup>، وقيل: بأنها المجادلة على مذهب الشك والرؤية<sup>(٢)</sup>.
  - ◀ الممارسة في الاصطلاح: هي «طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقيق الغير»<sup>(٣)</sup>.
  - ◀ المكابرة لغة: هي المغالبة والمعاندة، وكابره على حقه: جاحده وغالبه عليه<sup>(٤)</sup>.
  - ◀ المكابرة في الاصطلاح: هي المنازعة لا لإظهار الحق ولا لإلزام الخصم، بل لإظهار الفضل وستر الجهل مع إنكار الحق<sup>(٥)</sup>.
  - ◀ المعاندة لغة: المعارضة والمجانبة، ومعرفة الشيء وإباء قبوله<sup>(٦)</sup>.
  - ◀ المعاندة في الاصطلاح: هي المنازعة مع عدم فهمه وعلمه بكلام الآخر، وقد يعلم ما في كلام نفسه من الفساد، ومجانبة الصواب<sup>(٧)</sup>.
  - العلاقة بين المناظرة وكل من الممارسة والمعاندة والمكابرة:
- هذه المصطلحات تبين المناظرة لأنها تؤدي إلى جحود الحق، أو العمل بوظائف ممنوعة في قانون المناظرة.



(١) «مجلد اللغة» لابن فارس (ص ٨٢٨).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٣٢٢)، «لسان العرب» لابن منظور (١٥/ ٢٧٨).

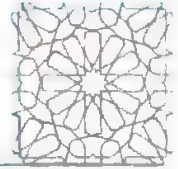
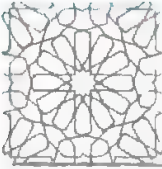
(٣) «التعريفات» للجرجاني (ص ٢٠٩)، «التوقيف» للمناوي (ص ٣٠٢).

(٤) ينظر مادة (كبر) في: «أساس البلاغة» للزمخشري (٢/ ١١٩)، «المصباح المنير» للفيومي (٢/ ٥٢٣)، «تاج العروس» للزبيدي (١٤/ ١٤).

(٥) ينظر: «الرشيدية على الشريفة» (ص ١٦)، «آداب الكلبي» مع حاشية البنجوني (ص ١٠١)، «دستور العلماء» (٣/ ٢٢٠).

(٦) ينظر مادة (عند) في: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ١٣١)، «لسان العرب» لابن منظور (٣/ ٣٠٨)، «المصباح المنير» للفيومي (٢/ ٤٣١).

(٧) «التعريفات» للجرجاني (ص ٢٢٠)، «التوقيف» للمناوي (ص ٣٠٩)، «الكليات» للكلبي (ص ٨٤٩).



## ثانيًا: نشأة المناظرة

فَضَّلَ اللهُ ﷺ الإنسانَ وكرَّمه على سائر المخلوقات بالعقل والتَّمييز والبيان، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] <sup>(١)</sup>، فكان تفاوتهم في ذلك سببًا في حصول ما لا يُحصَى من المناقشات والمحاورات، حتَّى أُنِعت الأرض بالعقول المختلفة والأفكار المتنوعة التي أثمرت الحضارات العظيمة والعلوم النَّافعة.

والمقصود بالمناظرات في هذا المَعْلَم، كونها لقَبًا على عِلْم وفنٍّ مُستقلٍّ عند المسلمين؛ له طريقته وأحكامه، وضوابطه، وآدابه.

### ❖ موجزٌ عن تاريخ المناظرة عند المسلمين:

الخلافة في إدراك حقائق الأشياء وأحكامها سُنَّةٌ بشريَّةٌ؛ فهم يختلفون في مداركهم وقوَّة قرائحهم، وتتفاوت أنظارهم؛ لذا كان الجدل أحد أبرز صفات الإنسان الذي نعتَه اللهُ تعالى بقوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وهذه الآية وإنْ نزلت في سياقٍ خاصٍّ <sup>(٢)</sup> إلا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ «استعملها على العموم في جميع النَّاس، وهي تدلُّ على أنَّ الإنسان أكثر جدلًا مِن كُلِّ ما يجادل مِن ملائكةٍ وجنٍّ وغير ذلك» <sup>(٣)</sup>؛ وتاريخ الأنبياء مع أقوامهم مليءٌ بالمجادلة والمناظرة؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

والجدل البشريُّ في وجهه المحمود -وهو الرِّغبة في استظهار الحق- مسبوَّقٌ بجدل الملائكة ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا

(١) ينظر: «التفسير الوسيط» للواحيدي (١١٧/٣).

(٢) وهو ما أخرجه البخاري (٧٣٤٧، ٧٤٦٥) ومسلم (٧٧٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ طرَّقه فاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال: «أَلَا تُضَلِّيَانِ؟» فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعبثنا، فأنصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلينا شيئًا، ثم سمعته وهو مَوْلٌ يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

(٣) «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥٢٤/٣) باختصار. وينظر: «الموجز» لحسين والي (ص ١٥).

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُثْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة: ٣٠].<sup>(١)</sup>

وفي وجهه المذموم - وهو الجدل بالباطل - مسبوق بجدال إبليس لرَبِّهِ ﷺ استكباراً وعلوّاً وجحدًا للحقائق باستخدام الأقيسة الفاسدة والشُّبُه الباطلة، من ذلك ما قصّه الله ﷻ علينا بقوله: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمات الواردة في المجادلة والمناظرة والمحاجة التي تدلُّ بمجموعها على أنَّ القرآن الكريم من أبرز الموارد الخصبة لأصول المناظرة عند المسلمين في صورتها النقيّة، وقوانينها في سلامتها واستقامتها<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت المناظرة والجدل في عصر النَّبِيِّ ﷺ وصحابته ﷺ لمواجهة شُبُه المشرّكين والمنافقين، ثمَّ ما تلاه من أزمنة لمواجهة شبهات الفرق الضالّة المبتدعة من الخوارج والمعتزلة وغيرهما، ومع ظهور علم الكلام وانتشار الفلسفة دعت الحاجة إلى ضبط قوانين المناظرة؛ حتى لا تتقلب المناظرات إلى مشاغبات ومعاندات<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت بدايات ظهور مسالك الجدل والمناظرة في الفروع والأحكام العمليّة في السُّنّة النبويّة، وآثار الصّحابة ﷺ، حتّى غدت قواعد المناظرة ظاهرة جلية مع المذاهب الفقهيّة المختلفة، ولا سيّما بين مدرستي أهل الحديث والرأي، لرغبة كلّ مذهبٍ في تقرير صحّة ما ذهب إليه.



أمّا تجريد علم المناظرة أو الجدل بالتّصنيف، وجعله علماً مستقلاً له أصولٌ وقوانينٌ وقواعدٌ خاصّة، ورسومٌ ومصطلحاتٌ وآدابٌ مفصّلة، فقد صُنِفَتْ فيه كتبٌ عديدة، بعد أن تلقّى العلماء المسلمون علم المنطق، فطوّروا هذا العلم حسب احتياجاتهم، وتفرّع من ذلك علم آداب البحث والمناظرة، وعلم الجدل المختصّ بأصول الفقه، وعلم الخلافيات المختصّ بالفقه<sup>(٤)</sup>.

(١) وقد استدلّ بهذه الآية ابن الناصح الحنبلي (ت: ٦٣٤هـ) في كتابه «استخراج الجدل من القرآن الكريم» (ص ٥٧) على أنَّ «أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْجَدَالَ الْمَلَائِكَةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

(٢) ممّا دعا ابن الناصح الحنبلي (ت: ٦٣٤هـ) إلى تأليف كتابه «استخراج الجدل من القرآن الكريم».

(٣) ينظر: «الموجز» لحسين والي (ص ١٤-٢٠).

(٤) ينظر: «مفتاح السعادة» لطاشكُوري رَاذَة (١/ ٢٨٢)، «أبجد العلوم» للقيّوجي (ص ٦٢٨)، «آداب البحث والمناظرة» للشنقيطي (ص ٢٠٧)، «مقدمة العميريني للمتخل للغزالي» (ص ٨٦).

## المؤلفات في المناظرة والجدل:

مؤلفات المناظرة والجدل على طريقتين: الطريقة الأولى أقرب لعلم المنطق، فهي قواعد لا تختص بعلم أو مادة ما، وهي مؤلفات علم (آداب البحث والمناظرة)، والطريقة الثانية أقرب لعلم أصول الفقه، فهي تختص بالأدلة الشرعية، وهي مؤلفات علم (الجدل الأصولي):

### ١- المؤلفات في آداب البحث والمناظرة:

ومن أبرزها:

- «آداب البحث» لشمس الدين محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي (ت بعد: ٦٩٠هـ)<sup>(١)</sup>، وشرحها «فتح الوهاب» للشيخ زكريا الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ).
- «آداب البحث» -أو الرسالة العضدية-، للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت: ٧٥٦هـ) وعليها شرح ملا حنفي (ت بعد: ٩٣٥هـ) وعلق على هذه الحاشية مير أبي الفتح (ت: القرن العاشر).
- «الرسالة الشريفة في آداب البحث والمناظرة» للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) وشرحها: الرشيدية، للشيخ عبد الرشيد الجونفوري الهندي (ت: ١٠٨٣هـ).
- «رسالة آداب البحث والمناظرة» لطاشكيري زاده الحنفي (ت: ٩٦٨هـ)، وشرحها مؤلفها شرحاً مزج فيه الشرح بالمتن، وعلى هذا الشرح شروحٌ وحواشٍ عديدة.
- «الرسالة الولدية» لأبي بكر المرعشي الشهير بساجقلي زاده (ت: ١١٤٥هـ)، وشرحها لعبد الوهاب الأمدي (ت تقريباً: ١١٩٥هـ) ولأبي السعادات العطار (ت: ١٢٥٠هـ) حاشيتان عليها.

### ٢- المؤلفات في الجدل الأصولي:

ومن أبرزها:

- «عيار النظر في علم الجدل» لأبي منصور البغدادی (ت: ٤٢٩هـ).
- «الملخص» و«المعونة» لأبي إسحاق الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ).
- «المنهاج في ترتيب الحجاج» لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٧٤هـ).

(١) وذكر بعضهم وفاته سنة (٦٠٠هـ)، قال الزركلي في الأعلام (٣٩/٦): «وليس بصواب».

- «الكافية في الجدل» للجويني (ت: ٤٧٨هـ).
- «المتخل في الجدل» للغزالي (ت: ٥٠٥هـ).
- «كتاب الجدل على طريقة الفقهاء» لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي (ت: ٥١٣هـ).
- «المقترح في المصطلح» لمحمد البروي الشافعي (ت: ٥٦٧هـ)، وشرحه تقي الدين المقترح (ت: ٦١٢هـ).
- «الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل» و«الجدل» للرازي (ت: ٦٠٦هـ).
- «الجدل» أو «غاية الأمل» لسيف الدين الأمدي (ت: ٦٣١هـ).
- «الإيضاح لقوانين الاصطلاح» لسبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٦هـ).
- «علم الجدل في علم الجدل» لنجم الدين الطوفي (ت: ٧١٦هـ).

### ■ أسباب نشأة فن المناظرة عند المسلمين:

أما أسباب نشأة فن المناظرة عند المسلمين، فتعود إلى جملة من الأسباب أبرزها ما يلي:

#### ١- دحض العقائد الباطلة والآراء الفاسدة لأصحاب الفرق الضالة:

برزت في العالم الإسلامي فرق بدعية كثيرة كالخوارج والقدرية والجهمية والمعتزلة والرأفة وغيرها؛ تبنت عقائد باطلة، وآراء فاسدة، احتيج لدفع فسادها، ودرء ضررها، وإعلاء كلمة الحق، ودمغ كلمة الباطل؛ فكانت المناظرة والمجادلة العلمية من الوسائل المهمة التي حققت هذا الغرض، كما في مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج التي رجع بسببها الكثير منهم، ومناظرة الإمام أحمد رضي الله عنه للمعتزلة يوم المحنة <sup>(١)</sup>.

#### ٢- البرهنة على صحة المذهب الفقهي:

لم تقتصر المناظرة على الأمور العلمية العقائدية، بل شملت كذلك الأمور العملية والفقهية بين أصحاب المذاهب الفقهية المختلفة، وقد دعا إلى ذلك حاجة أصحاب كل مذهب للبرهنة على صحة مذهبهم، وإثبات سلامة أقوالهم واختياراتهم؛ وكان في هذه المناظرات بيان لما أخذ أئمة المذاهب، ومشارت اختلافهم، ومواقع اجتهدهم <sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٧/ ١٧٣)، «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (٨/ ١٦٠)، «طبقات علماء الحديث» لابن عبد الهادي (٢/ ٨٣).

(٢) ينظر: «تنبيه الرجل العاقل» لابن تيمية (٤/ ١)، «مقدمة ابن خلدون» (ص ٥٧٨)، «أبجد العلوم» للقيتوني (ص ٣٩٣، ٤٦٣، ٥٨٦، ٦٤٠، ٦٥٠)، «تاريخ الجدل» لأبي زهرة (ص ٢٤١، ٢٩٣).



وكما كانت هذه المناظرات تُعقد في المجالس، فقد كانت تُبث في الكتب أيضًا، كما في كتب الإمام الشافعي رحمه الله التي منها كتاب الأم الذي حوى جُملاً من العجائب والنفائس الجليلات، والقواعد المستفادات <sup>(١)</sup>.

### ٣- ضبط مجالس الجدل والمناظرة وتنظيم قواعدها:



ظهر فنُّ المناظرة والجدل عند المسلمين تلبيةً لحاجة ضبط الاختلافات الناشئة بين ذوي الأفكار المتعارضة والآراء المتنافرة؛ فتداعت جهود العلماء إلى صياغة قانونٍ وقواعدٍ مطَّردة يلتزم بها المتناظران، فنشأ إثر ذلك: (علم آداب البحث والمناظرة)، و(علم الجدل) <sup>(٢)</sup>.

يقول ابن خلدون رحمه الله في «مقدمته» (ص ٥٧٩) عن أهميّة قوانين المناظرة: «فإنّه لمّا كان باب المناظرة في الردّ والقبول متّسعاً، وكلُّ واحدٍ من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأ؛ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الردّ والقبول».

(١) تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٥٠)، وفي «الأم» أكثر من ١٥٠ مناظرة.

(٢) «شرح عبد الوهاب على الرسالة الولدية» (ص ٦٠). وينظر: «الموجز» لحسين والي (ص ١٨).



## الأنشطة

### النشاط الأول:

بالتعاون مع زميلك: استنبط المصادر والعلوم المتعلقة بعلم المناظرة.  
ثمَّ قارن الإجابة بما دُكر في بحث: «علم المناظرة: المبادئ والأركان والشروط».

### النشاط الثاني:

برجوعك إلى كتاب «عَلَمُ الْجَدَلِ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ» (ص ٤-٩): بيّن حكم تعلّم علم المناظرة ودليل ذلك، ووضح علاقته بعلم أصول الفقه.

### النشاط الثالث:

بيّن أقرب مصطلح تدلُّ عليه الآيات التالية من المصطلحات التي درستها (المناظرة - المحاوره - المكافحة):

#### المصطلح

#### الآية

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّيَ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِء مُؤْمِنُونَ ٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِء كَافِرُونَ ﴿[الأعراف: ٧٥-٧٦].

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿قَالَتْ يَتَايَأُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ قَانظَرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿[النمل: ٣٢-٣٤].

#### النشاط الرابع:

ذكر ابن خلدون في «مقدمته» (٢٠٣/٢) تعريفاً لعلم المناظرة. يرجوعك إلى المصدر: يبين التعريف الذي ذكره، وقارن بينه وبين التعريف الذي درسته.

#### النشاط الخامس:

بالتعاون مع مجموعتك: بين معنى المصطلحات التالية (المناقشة - المحاجة - المخاصمة)، ووضح علاقتها بمصطلح المناظرة.

#### النشاط السادس:

اختر إحدى المؤلفات الأصيلة في المناظرة أو الجدل، واكتب تعريفاً عنه - في حدود صفحة - مبيّناً فصول الكتاب ومباحثه، ونبذة عن مؤلفه.

#### النشاط السابع:

بالاستفادة من كتابي «طبقات الشافعية الكبرى» و«المناظرات العقدية لشيخ الإسلام»: مثل بمثال على مناظرة قام بها الأئمة بسبب الأمور التالية:

- ١- البرهنة على صحة المذهب الفقهي.
- ٢- بيان بطلان إحدى العقائد الفاسدة.
- ٢- الرد على منهج فاسد لإحدى الفرق الضالة.





# المَعْلَمُ الثَّانِي:

## حكم المناظرة وفوائدها

■ أولاً: حكم المناظرة.

○ المناظرة المحمودة.

○ المناظرة المذمومة.

■ ثانياً: فوائد المناظرة.



## أهداف المعلم

بعد الانتهاء من هذا المعلم يُتَوَقَّع من الطالب أن:

١. يميّز أنواع المناظرة من حيث حكمها.
٢. يدلّل على مشروعية المناظرة المحمودّة.
٣. يدلّل على حرمة المناظرة المذمومة.
٤. يجمع بين النصوص الواردة في ذمّ الجدل والمرغبة فيه.
٥. يعدّد فوائد المناظرة.
٦. يذكر علاقة المناظرة بحفظ الدين.
٧. يوضّح أثر المناظرة في ضبط الاستدلال.
٨. يبيّن أثر المناظرة في ضبط الخلاف وحصره.
٩. يمثّل لجملة من المهارات الفكرية والعقلية الناتجة من استعمال المناظرة.

## نشاط استهلاكي

كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]؟  
تأكد من صحة إجابتك بعد دراسة المعلم.

## أولاً: حكم المناظرة

المحاورات والمباحثات إمّا أن تكون مشروعة، وحيثُذ تكون واجبة أو مستحبة أو مباحة؛ وإمّا أن تكون مذمومة غير مرغّب فيها بسبب ما يعرض لها وبحسب حال كلّ مناظرة، وحيثُذ تكون مكروهة أو محرمة؛ وخصّ بعض العلماء المذموم منها باسم المجادلة، وعلى هذا ينقسم حكم الجدل إلى محمودٍ مشروع، ومذمومٍ محرم، وممّن صرّح بهذا التقسيم أبو المعالي الجويني رحمه الله، فقال: «ثمّ من الجدل ما يكون محموداً مرضياً، ومنه ما يكون مذموماً محرّماً...»، ثمّ فصل في المذموم ودرجاته من الكراهة إلى التحريم، وفصل في الم محمود ودرجاته من الندب إلى الوجوب العيني <sup>(١)</sup>، وقال ابن تيمية رحمه الله: «وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة: فيها محمودٌ ومذمومٌ، ومفسدةٌ ومصلحةٌ، وحقٌّ وباطلٌ» <sup>(٢)</sup>.



وفيما يلي تفصيل لحكم المناظرة وفقاً لهذين النوعين:

### المناظرة المحمودّة:



الأصل في الغرض من المناظرات أن يُتغى بها الوصول إلى الحقّ وتقريره، وإظهاره وإشاعته؛ والأصل في مثل هذه المناظرات الجواز، ثمّ تتفاوت درجة مشروعيتها بحسب الحاجة الدّاعية إليها، «فقد تكون واجبة تارة، ومستحبة تارة أخرى» <sup>(٣)</sup>.

وفيما يلي جملة من أدلة مشروعية المناظرة:

(١) ينظر: «الكافية» للجويني (ص ٢٢-٢٥).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٣/ ٣٧٤). وينظر: «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٧٦)، «الفتاوى والمفتحة» للخطيب البغدادي (١/ ٥٥٦)، «علم الجدل» للطوفي (ص ٧).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٧/ ١٧٤). وقال الشيخ الشنقيطي في «آداب البحث والمناظرة» (ص ١٤٠): «أقل مراتب حكم المناظرة الجواز إذا كانت على الوجه المطلوب، وقال بعضهم باستحبابها، وقيل: إنّ القدر الذي يلزم لإبطال شبه خصوم الحق فرض كفاية، وليس ببعيد». وينظر: «شرح عبد الوهاب على الرسالة الولدية» (ص ٥٥-٥٦).



## ■ أولاً: الكتاب،

١- الآيات الكريمة التي تحثُّ على استعمال المناظرة والجدال

بالتي هي أحسن مع المخالفين، ومن ذلك:

﴿قوله تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، والأمر

يقتضي الوجوب، ومصلحة الجدل المأمور به في الآية الكريمة تحصل بفعل البعض، فدلَّ ذلك على أنه فرض كفاية<sup>(١)</sup>.

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي: لا تجادلوهم إلا بحسن خلقٍ ولطفٍ ولينٍ كلام،

ودعوة إلى الحقِّ وتحسينه، وردُّ على الباطل وتهجينه، بأقرب طريقٍ موصِّلٍ لذلك؛ أمَّا مَنْ ظهر من قصده وحاله أنه لا إرادة له في الحقِّ، وإنَّما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله؛ لأنَّ المقصود منها ضائع<sup>(٢)</sup>.

٢- الآيات التي اشتملت على مناظراتٍ بين مختلفين لتقرير الحقِّ وإبطال الباطل:

فإنَّ المناظرة أو المجادلة للوصول إلى الحقِّ هو نهج الأنبياء ﷺ، ونوع من النصيحة لأقوامهم، ومن ذلك:

﴿ما حكاه الله عن قوم نوح ﷺ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ: ﴿قَالُوا يَنْتُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، فأجابهم قائلاً: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﷻ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٣-٣٤]؛ وفي هذه الآية الكريمة يتبيَّن أنَّ «جدال المحقِّين من النصيحة في الدين»<sup>(٣)</sup>.

﴿مناظرة إبراهيم ﷺ لقومه، ومناظرته للملك، وفي ذلك يقول ابن حزم ﷺ في «الإحكام» (٢١/١): «قد أمرنا تعالى في نصِّ القرآن باتباع ملَّة إبراهيم ﷺ، وخبرنا تعالى أنَّ من ملَّة إبراهيم المحاجَّة والمناظرة؛ فمرةً للملك، ومرةً لقومه...؛ ففرض علينا اتباع المناظرة؛ لنصرف أهل الباطل إلى الحقِّ، وأن نطلب الصَّواب بالاستدلال فيما اختلف فيه المختلفون».

(١) «عَلَّمَ الْجَدَلَ» للطوفي (ص ٨).

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٦٣٢) باختصار. وينظر: «الإحكام» لابن حزم (٢١/١).

(٣) «الفتاوى والمفتحة» للخطيب البغدادي (١/ ٥٥٧).

وفي الجملة، فإنَّ «القرآن مملوءٌ بالاحتجاج، ومناظرات القرآن مع الكفار، وإقامة الحجج عليهم، ولا ينكر ذلك إلا جاهلٌ مُفْرِطٌ في الجهل»<sup>(١)</sup>؛ لذا فمن «تأمل القرآن وتدبره، اطلع فيه من أسرار المناظرات، وتقرير الحجج الصحيحة، وإبطال الشبه الفاسدة، وذكر النقض والفرق، والمعارضة والمنع، على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله، وأنعم عليه بفهم كتابه»<sup>(٢)</sup>.

## ■ ثانيًا: السُّنَّة النبوية:

حوت سُنَّة النَّبِيِّ ﷺ الفعلية والقولية عددًا من أصول المناظرة، بالإضافة إلى إشارات قولية وتقريرية تدلُّ بمجموعها على مشروعية المناظرة، بل الحثُّ عليها والترغيب فيها<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك:

١- حديث أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّتِكُمْ»<sup>(٤)</sup>، قال الخطيب البغدادي رحمه الله في «الفقيه والمتفقه» (٥٥٨/١): «فأوجب المناظرة للمشركين، كما أوجب الثقة والجهاد في سبيل الله»، وقال ابن حزم رحمه الله في «الإحكام» (٢٦/١): «فيه الأمر بالمناظرة، وإيجابها كإيجاب الجهاد والثقة في سبيل الله».

٢- مناظرة النَّبِيِّ ﷺ يهود المدينة ومناظرته وفد نصارى نجران<sup>(٥)</sup>، وفيه: «جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يُرجى إسلامه منهم»<sup>(٦)</sup>.

٣- المناظرة الخطابية والشعرية التي جرت بين يدي النَّبِيِّ ﷺ، فكان المشركون يبدؤون والمسلمون يجيبون بإذن النَّبِيِّ ﷺ؛ فخطب خطيب المشركين، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: «خطيب الأنصار: - «أَجِبْ»، فأجابه، ثم قالوا: يا محمد ائذن لشاعرنا، فأذن له، فقام الزُّبَيْرُ بن بدر، فأنشد،

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٤١٢/١) باختصار.

(٢) «بدائع الفوائد» لابن القيم (١٥٤٠/٤).

(٣) ينظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٤١٢/١).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، وصححه ابن حبان في «صحيحه» (٤٧٠٨)، والحاكم في «المستدرک» (٨١/٢).

(٥) ينظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٣٨٤/٥)، «سبل الهدى والرشاد» للصالح (٤٢١/٦)، «زاد المعاد» لابن القيم (٥٤٩/٣).

(٦) «زاد المعاد» لابن القيم (٥٥٨/٣).



فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه - شاعر رسول الله ﷺ -: «أجبه»، فأجابه بمثل شعره، فقالوا: والله لخطيبه أبلغ من خطيبنا! ولشاعره أشعر من شاعرنا! <sup>(١)</sup> فلما فرغ القوم أسلموا <sup>(٢)</sup>.

### ■ ثالثاً: الإجماع:

انعقد الإجماع على مشروعية المناظرة، وممن نقل الإجماع على ذلك الخطيب البغدادي <sup>(٣)</sup>، وابن عبد البر <sup>(٤)</sup>، والباجي <sup>(٥)</sup>؛ والواقع العملي لأئمة الإسلام يشهد بالقيام بهذا الواجب العظيم، «فكانوا ممثلين لأمر المليك العلّام، يجادلون أهل الأهواء المضلّة حتّى يردّوهم إلى سواء الملة» <sup>(٦)</sup>.

### ■ رابعاً: المعقول:

لأنّ المناظرة طريق لإظهار الصّواب، وكلّ طريق لإظهار الصّواب تتفق العقول السليمة على استعماله <sup>(٧)</sup>.



### ■ المناظرة المذمومة:

وهي التي تفتقد شرطاً رئيساً من شروط اعتبار مشروعية المناظرة، كشرط الكفاية العلميّة بموضوع المناظرة، أو شرط حُسن القصد بطلب إظهار الحقّ ونصرتها، أو المناظرة فيما لا ينبغي المناظرة فيه من المتشابهات أو البدهيات <sup>(٨)</sup>، حينها تصير المناظرة جدلاً باطلاً أو مكابرةً مذمومةً؛ وعلى هذا يُحمّل ما ورد في ذمّ الجدل أو المناظرة:

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/٢٩٤).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٥٦٧). وفي حديث عائشة رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَاقَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» أخرجه مسلم (٢٤٩٠). والمنافحة هي المدافعة والمجابهة، وكان ذلك في مواجهة هجاء المشركين ومجابهة على أشعارهم. ينظر: «النهاية» لابن الأثير (٥/٨٩).

(٣) «الفتاوى والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢/١٢١).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/٩٢٩).

(٥) «إحكام الفصول» للباجي (ص ٧١٤).

(٦) «تنبيه الرجل العاقل» لابن تيمية (١/٤).

(٧) ينظر: «علم الجدل» للطوفي (ص ٧).

(٨) ينظر: «الفتاوى والمتفقه» للخطيب البغدادي (١/٥٥٧)، «الجدل» للرازي (ص ١٢٦).

## ■ أولاً: الآيات الكريمة، فمنها:

○ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

○ وقوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

○ وقوله: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ ۖ وَقَالُوا أَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨].

وهذه الآيات واردة على النوع المذموم من الجدال فقط، ويؤكد ذلك الآيات الأخرى الواردة في التَّريغيب في المجادلة بالتي هي أحسن؛ وعلى هذا الجمع جملةً من أهل العلم؛ كالخطيب البغدادي رحمته الله الذي قال: «نظرنا في كتاب الله تعالى وإذا فيه ما يدل على الجدال والحجاج، فمن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فأمر الله رسوله في هذه الآية بالجدال، وعلمه فيها جميع آدابه؛ من الرفق والبيان والتزام الحق والرجوع إلى ما أوجبه الحجة»، ثم قال: «وكتاب الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف؛ فتضمن الكتاب: ذمَّ الجدال، والأمر به؛ فعلمنا علماً يقيناً أن الذي ذمَّه غير الذي أمر به، وأن من الجدال ما هو محمودٌ وأمورٌ به، ومنه مذمومٌ منهى عنه»<sup>(١)</sup>.

## ■ ثانياً: الأحاديث النبوية الواردة في ذمَّ الجدال أو المناظرة، فمنها:

○ حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾

[الزخرف: ٥٨]<sup>(٢)</sup>.



(١) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (١ / ٥٥٦). وينظر: «الإحكام» لابن حزم (١ / ٢١)، «الجدل» للرازي (ص ١٢٦)، «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٧ / ٣٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٥٣) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٨)، وصححه الحاكم في «المستدرک» (٢ / ٤٤٨). وأعله العقيلي في «الضعفاء» (١ / ٢٨٦) بحجاج بن دينار.

○ وحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَيَّ اللَّهُ الْأَلَدُ الْخَصِمُ»<sup>(١)</sup>، قال النووي رحمه الله في «شرح على مسلم» (٢١٩/١٦): «والمذموم: هو الخصومة بالباطل؛ في رفع حقٍّ، أو إثبات باطلٍ».

■ ثالثاً: آثار الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وبعض الأئمة رحمهم الله في كراهة الجدل أو المناظرة:

فحكى ذلك عن الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>، وروي عن بعض التابعين كالحسن البصري<sup>(٣)</sup>، وروي عن مالك بن أنس<sup>(٤)</sup>، وأحمد بن حنبل<sup>(٥)</sup>.

وما سبق من التفصيل في التوفيق بين الآيات والأحاديث الواردة في ذم الجدل يُنزل على هذه المرويات عن الصحابة وأقوال التابعين وبعض أئمة الدين؛ يؤكد ذلك أن من حكى عنه كراهة المناظرة أو روي عنه ما يدل على ذلك، أنه استعمل المناظرة؛ كعبد الله بن عمر والحسن البصري ومالك وأحمد وغيرهم رضي الله عنهم، وصرح الغزالي رحمه الله في جملة كلامه بأن علم المناظرة وإن لم يكن مألوفاً في الصدر الأول من تاريخ الإسلام، إلا أن تعلمه صار ضرورة، «بل صار من فروض الكفايات، وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٧) ومسلم (٢٦٦٨).

(٢) فقال البربهاري في «شرح السنة» (ص ١٢٧): «كان ابن عمر يكره المناظرة».

(٣) فروى عنه ابن بطّة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٥١٨) أنه: «كان ينهى عن الخصومات في الدين»، وأن كان يقول: «إنما يخاصم الشاك في دينه».

(٤) «شرح السنة» للبربهاري (ص ١٢٧).

(٥) فقال ابن رجب في شأن الإمام أحمد أنه كان: «لا يرى كثرة الخصام والجدال... إنما يرى الاكتفاء في ذلك بالسنة والآثار» «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/ ٦٣٣).

(٦) «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٢٢). وينظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٣٥٧، ٣٧٣)، «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٠/ ١٦٤-١٦٥).

## ثانيًا : فوائد علم المناظرة

علم المناظرة «من أرفع العلوم قدرًا، وأعظمها شأنًا»<sup>(١)</sup>، وإنَّما كان كذلك لثمرته وعائده؛ من نصرة الحق وإشاعته، وقمع الباطل وإماتته، ورواج الحياة العلميَّة والثقافيَّة، فقواعد البحث والمناظرة «لا يستغني عنها ناظرٌ، ولا يتمشَّى بدونها كلام مناظرٍ»<sup>(٢)</sup>، و«مَن ليس له بضاعة من هذا الفنِّ؛ لا يكاد يفهم أبحاث العلوم، خصوصًا الكلام وأصول الفقه...»<sup>(٣)</sup>.

### ب من فوائد علم المناظرة :

#### ١- حفظ الدين وتثبيت المؤمنين-

المناظرة من وسائل حفظ الدين أصولًا وفروعًا، عقائدًا وأحكامًا؛ فيها تُدفع الشُّبهات، وتُقمَّع الجهالات؛ قال أبو منصور البغداديُّ رحمه الله في «عيار النظر» (ص ٢٠٨): «ومن فوائد الجدل الصَّحيح: أنَّ صناعته حافظةٌ للشَّريعة وموجباتُ العقول عن عبث الجهَّال، وحائلةٌ بينها وبين تمويه المدلِّسين».

#### ٢- ضبط الاستدلال بالمنقول والمعقول-

مَن تمرَّس في علم المناظرة كان أكثرَ ضبطًا للاستدلال ممَّن لم يُعنَ بهذا العلم، وأشدَّ تحرُّرًا من الوقوع في الخطأ فيه؛ ذلك أنَّه يتحرَّز عمدًا قد يتوجَّه إلى استدلاله من دفعٍ واعتراضاتٍ، فينقِّحه ويهدِّبه ويزيل ما يدعو إلى الاعتراض، ويجب عليه عمدًا يتوجَّه إليه من نقدٍ، قال الغزاليُّ رحمه الله في «المنتخل» (ص ٣١٠): «فائدة الجدل: التَّحذُّق في استعمال الأدلَّة، أي: إيرادها على رسم النِّظر»<sup>(٤)</sup>.

(١) «المنهاج» للباجي (ص ٨).

(٢) «الإيضاح لقوانين الاصطلاح» لسبط ابن الجوزي (ص ٩٩).

(٣) «ترتيب العلوم» للمرعشي (ص ١٤١). وينظر: «مقدمة العميريني للمنتخل للغزالي» (ص ١٥٧-١٦٨).

(٤) وجاء في «ترتيب العلوم» للمرعشي (ص ١٤١): «وهذا الفن يقارب ما ذكره الأصوليون في باب القياس، لكنه ليس بعينه؛ إذ هذا الفن ينطبق على الدليل المنطقي، وما ذكره الأصوليون منطبق على القياس الفقهي، مع أن بينهما تخالفا في بعض الاصطلاحات».

### ٣- الإحانة على تثبيت الحق والصواب وتمييزه من الباطل والغلط.



فإن المناظرة والجدل من الفنون التي تعين صاحبها على حفظ القول الصحيح، وسلوك الجادة في الدفاع عنه؛ بمرعاة قوانينه السليمة، ورسومه السديدة، مع ما يقع من المحاورة وتبادل الرؤى بين المتناظرين، وتنقيح الأدلة وضبط دلائلها، فإنه: «لولا تصحيح الوضع في الجدل، لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا عُلم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم»<sup>(١)</sup>، ويقول ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (١٠١٣/٢): «المحاجة والمجادلة إنما فائدتها طلب الرجوع والانتقال من الباطل إلى الحق، ومن الجهل إلى العلم، ومن العمى إلى الإبصار».

كما أن المناظرة تفيد في استخراج الصواب ومعرفته عند مراجعة الكلام وتقليب النظر فيه، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله في «تنبيه الرجل العاقل» (ص٤): «إن الله سبحانه عليم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق، وتباين العقول والأخلاق... وحضهم عند التنازع على الرد إليه وإلى رسوله المبين، وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العملية؛ لخفاء مدركها، وخفة مسلكها، وعدم إفضاؤها إلى بليّة، وحضهم على المناظرة والمساورة لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة».

### ٤- ضبط مجالات الخلاف وقصرها على محالها.

قواعد المناظرة طريق لضبط الخلاف، ومن ثم تُضيق هوة الخلاف بين المتخالفين بتحديد مواضع النزاع بينهم، والاقتصار عليها، وعدم تشتت البحث وانتشاره؛ «إذ لو جَوَزنا غير ذلك لخرج الكلام عن الضبط، ووقع في الخبط»<sup>(٢)</sup>.

### ٥- الدربة على الانقياد للحق ونبذ التعصب.

غرض المناظرة إدراك الحق دون الانتصار للنفس أو المذهب، وإدراك المتناظرين لهذا المعنى والالتزام به من أعون الأشياء على تهذيب النفس، وتعويدها على الانقياد للحق ولو كان مع المخالف، ونبذ روح التعصب والتخلي عن الانقياد المطلق للأشخاص، أو التمسك بالواهي من الأقوال.

(١) «المنهاج» للباغي (ص٨).

(٢) «الجدل» للرازي (ص١٢٧).

## ٦- تنشيط الذهن وتنمية المهارات الفكرية والملكات العقلية.



المناظرة من الوسائل الموصلة إلى تنشيط الذهن وتنمية الفكر؛ لأنها تحمل المتناظرين على التدقيق فيما يعتقنان من أقوال وأفكار، وتمحيص حججها وأدلتها قبل الإدلاء أو الاستدلال بها، والموازنة بينها وبين حجج المناظر الآخر وأدلتها؛ قال أبو الوفاء ابن عقيل رحمته الله في «الواضح» (١/٥٢١):

«العقل يحتاج في تنبيهه إلى عمل، وهو تخليص نظره من آفات النظر المعترضة؛ فالجدل يشحذ ويرهف ويثير الخواطر، ويُخرج الدقائق، وكلُّ ذلك آلة لإدراك العقل للحق»؛ وقال ابن عبد البر رحمته الله في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٣٥) مبيِّناً أثر المناظرة في تنمية ملكة الفهم لدى الطلبة: «وأما الفقه فلا يوصل إليه ولا ينال أبداً دون تناظر فيه، وتفهُم له»<sup>(١)</sup>، ويؤكد الشيخ عبد الرحمن السَّعْدِيُّ رحمته الله في «آداب المعلمين والمتعلمين» (٢٦/٢١) هذا المعنى بقوله: «ومما يعين على هذا المطلوب أن يفتح المعلم للمتعلمين باب المناظرة في المسائل والاحتجاج عليها... فإنه إذا جعل هذا الأمر نصب عينيه وأعينهم: تنوّرت الأفكار، وعُرِفَت المآخذ والبراهين، وأتُبعت الحقائق».

## ٧- فهم العلوم وتعميق النظر فيها.



فقد قيل: «من ليس له بضاعة من هذا الفن -الجدل والمناظرة- لا يكاد يفهم أبحاث العلوم»<sup>(٢)</sup>، وكذلك فإن المناظرات تدرّب طالب العلم على معرفة مواقع الخلاف، وتحرير أدلته، والتدقيق في مواضع النزاع، ومعرفة مآخذ الأحكام، وطرائق معارضة الأقوال الضعيفة، وتزيف المذاهب الفاسدة، وبيان وجوه الدلالة من الأدلة على الأحكام؛ لذا قيل: «مناظرة الأكفاء، ومعاشرة النظراء؛ تلقيح للعقول، وتهذيب للنُّفوس، وتدريب لمآخذ الأحكام»<sup>(٣)</sup>.

(١) وينظر: «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (ص ٦٥١).

(٢) «ترتيب العلوم» للمرعشي (ص ١٤١).

(٣) «سراج الملوك» للطبرطوشي (ص ٦٣).



## الأنشطة

### النشاط الأول:

قال الغزالي رحمه الله في «المستصفى» (ص ٣٥٨): «فالمناظرة إمّا واجبة، وإمّا نذبة، وإمّا مفيدة». برجعك إلى المصدر، بين موضعين لوجوب المناظرة، وموضعين لنذبتها.

### النشاط الثاني:

بالتعاون مع زميلك، وبلاستفادة من كتاب «الكافية في الجدل» للجويني: اذكر دليلين على مشروعية المناظرة، ودليلين في ذمّها - غير ما ذكر في الكتاب-.

### النشاط الثالث:

ميّز حكم المناظرات التالية هل هي محمودّة أو مذمومة:

مذمومة	محمودة	
		التناظر في متشابه القرآن.
		تناظر عالمٍ مسلمٍ مع نصرانيٍّ؛ لهدايته للإسلام.
		التناظر في حجّة القياس بين حنفيٍّ وظاهريٍّ.
		تناظر مالكيٍّ مع شافعيٍّ في مسألةٍ فقهيةٍ؛ بغرض الانتصار للمذهب.
		تناظر عامّيٍّ مع أحد المعتزلة؛ لإقناعه بمذهب أهل السنّة والجماعة.

#### النشاط الرابع:

قال ابن عقيل رحمه الله في «الواضح في أصول الفقه» (١/ ٥١٧): «كُلُّ جدلٍ لم يكن الغرض فيه نصرة الحق؛ فإنه وبالٌ على صاحبه، والمضرة فيه أكثر من المنفعة».

بالتعاون مع مجموعتك: اذكر خمسة من الآفات والمفاسد التي تنتج عن المناظرة المذمومة، ثم قارنوا إجابتكم بما ذكر في كتاب «أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة».

#### النشاط الخامس:

اختلف العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] على قولين. برجعوك إلى «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ١٠٧): بين قولي العلماء في تفسير الجدل في الآية، والقول الذي رجحه ابن تيمية، مع التعليل.

#### النشاط السادس:

بالتعاون مع زميلك، وبلاستفادة من كتاب: «أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة»:

اذكر ثلاث فوائد لعلم المناظرة - غير التي درستها-.

#### النشاط السابع:

هل تصحُّ مناظرة المستهزئ بالدين؟ وهل هناك فائدة من مناظرته؟  
قارن إجابتك بما ذكر في كتاب: «عيار النظر» (ص ٢١٦).







## المَعْلَمُ الثَّالِثُ:

### أركان المناظرة وشروطها

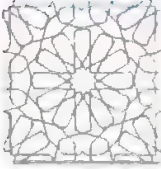
#### ■ أولاً: أركان المناظرة:

- موضوع المناظرة.
- الاستدلال.
- المتناظران.

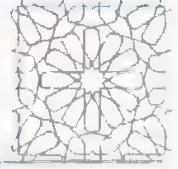
#### ■ ثانياً: شروط المناظرة:

- الشُّروط في موضوع المناظرة.
- الشُّروط في الاستدلال.
- الشُّروط في المتناظِرَيْن.





## أهداف المعلم



بعد الانتهاء من هذا المعلم يُتَوَقَّع من الطَّالِب أن:

١. يعدُّ أركان المناظرة.
٢. يعدُّ شروط المناظرة.
٣. يميِّز بين أركان المناظرة وشروطها.
٤. يحدِّد نوع الشرط وتعلُّقه بأركان المناظرة.



## نشاط استهلاكي

صِلْ كُلَّ شَرْطٍ فِي الْعُمُودِ الْأَوَّلِ بِنَوْعِهِ فِي الْعُمُودِ الثَّانِي، ثُمَّ قَارِنْ إِجَابَتَكَ بِإِجَابَةِ زَمِيلِكَ:

أن يكون محرراً مُحدّداً

أن يكون مقبولا عند المتناظرين

أن يكون ممّا يصحّ  
أن تجري فيه المناظرة

الكفاية العقلية والسلوكية

أن يكون ضمن مرجعية من الأصول  
والقواعد يتوافق عليها المتناظران

المعرفة بأصول المناظرة  
وقوانينها وقواعدها

مراعاة الاتساق مع العرف اللغوي  
والاصطلاحي المستعمل بين أهل الفن

شرط في ذات  
موضوع المناظرة

شرط في الاستدلال  
لموضوع المناظرة

شرط في المتناظرين

## أركان المناظرة وشروطها

ركن الشَّيء هو الذي لا يتمُّ إلَّا به لكونه جزءًا منه، أمَّا شرطه فهو الذي يتوقَّف عليه وجوده، ويكون خارجًا عنه؛ كالرُّكوع والطَّهارة للصَّلَاة؛ فالرُّكوع ركنٌ لأنَّه جزءٌ من الصَّلَاة، أمَّا الطَّهارة فإنَّها شرطٌ لصحَّة الصَّلَاة لأنَّها خارجةٌ عنها<sup>(١)</sup>.

والمناظرة مؤلَّفة من أركانٍ وشروطٍ لا توجد ولا تصحُّ إلَّا بها، وفيما يلي عرضٌ لأركانها ثمَّ شروطها:

### ■ أوَّلًا: أركان المناظرة:

المناظرة لها أركان رئيسة، منها: الموضوع، والاستدلال، وطرفا المناظرة<sup>(٢)</sup>:

#### ■ الرُّكن الأوَّل: موضوعٌ مختلفٌ فيه بين المتناظرين:

ويسمَّى الدَّعوى، وهي: القضية التي تشمل حكمًا يقصد إثباته، ويسمَّى (مسألة) و(مبحثًا)<sup>(٣)</sup>؛ فلا تُتصوَّر المناظرة ابتداءً دون موضوعٍ يختلف طرفاه فيه بحيث يكون أحدهما مثبتًا والآخر نافيًا<sup>(٤)</sup>.

#### ■ الرُّكن الثاني: الاستدلال:

الاستدلال هو طلب الدليل، والدليل: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري، يقينًا كان أو ظنًا.

والدليل بصياغته المنطقية يتركب من مقدمتين: صغرى وكبرى، وما يتألف من مقدمتين للوصول إلى المطلوب على نوعين:

(١) ينظر: «التعريفات» للجرجاني (ص ١١٢، ١٢٥)، «الكليات» للكفوي (ص ٤٨١)، «نشر البنود» للشنقيطي (١/ ٤٢).

(٢) وعلماء الجدل يعدُّون أركانها باعتبارين؛ أولهما: أجزاء الجدل الداخلة في حقيقته، وثانيهما: ما يُوقَّف تحقُّق الشيء عليه؛ فأما أركان الجدل بالاعتبار الأول، فهي: الأسئلة والأجوبة، والأدلة والاعتراضات؛ وأما أركانه بالاعتبار الثاني، فهي: الدالُّ والدليل والمستدلُّ (وهو المدعي) والمستدلُّ عليه (وهو الدعوى) والمستدلُّ له (وهو السائل)، ينظر: «عَلَمُ الْجَدَل» للطرفي (ص ١٩)، «المنتخل» للغزالي (ص ٣٤٧)، «الكاشف» للرازي (ص ٦٥).

(٣) ينظر: «كشف اصطلاحات الفنون» (١/ ٧٨٥)، «الرشيدية» (ص ٢١).

(٤) ينظر: «الجدل» لابن عقيل (ص ٢٤١)، «الواضح» لابن عقيل (١/ ٥١٠)، «قواطع الأدلة» لابن السمعاني (١/ ٤٢).

○ التنبيه: وهو ما يذكر على صورة الدليل لإزالة خفاء البدهيات؛ لأن البدهي لا يستدل عليه.

○ الدليل: وهو ما سبق تعريفه، ويتوصل به لمعرفة الأمور النظرية.

### ■ الركن الثالث: المتناظران:

لا بد لكل مناظرة من طرفين، أحدهما مثبت والآخر نافي<sup>(١)</sup>:

- فيكون أحد المتناظرين (مُدْعِيًا)، ويسمى: (مُجِيبًا) و(مستدلًا) و(معللاً)، وهو: الذي ينصب نفسه للكلام ابتداءً، ومهمته: إثبات الدَّعوى، والجواب عن إيرادات النافي.
- والآخر (نافيًا)، ويسمى: (سائلًا) و(مُعْتَرِضًا)، ومهمته: هدم الدَّعوى.

### ■ ثانيًا: شروط المناظرة:

لكل ركن من أركان المناظرة شروطه، فتتقسم شروط المناظرة إلى شروط في الموضوع، وشروط في الدليل، وشروط في طرفيها:

#### أ- الشروط في موضوع المناظرة:

وهي الشروط في نفس الدَّعوى التي هي محل النزاع، ومن هذه الشروط:

١- أن يكون ممَّا يصحُّ أن تجري فيه المناظرة:

وهو ما يصحُّ أن يجري فيه الخلاف ابتداءً، بمعنى أن يكون موضع تنافٍ وتعارض بين المتناظرين، وتصحُّ المطالبة فيه بـ(لِمَ)؟ ويصحُّ الإلزام فيه<sup>(٢)</sup>؛ والمناظرة تجري في<sup>(٣)</sup>:

◀ التصديق النظري، الذي يكتسب عن طريق الفكر، وهو المركَّب التَّامُّ الخبريُّ النظريُّ، فيحتاج فيه إلى (الدَّليل).

◀ والتصديق البدهيُّ الخفيُّ، فيحتاج فيه إلى (التَّنبية).

وتجري تبعًا في التصديق الضمني، وذلك في:

◀ التعريف.

◀ والتقسيم.



(١) ينظر: «العدة» لأبي يعلى (١/ ١٨٤)، «عيار النظر» لأبي منصور البغدادي (ص ٢٢١).

(٢) ينظر: «عيار النظر» لأبي منصور البغدادي (ص ٢١٣).

(٣) المصطلحات الواردة هنا مصطلحات منطقية تطلب في مظانها.

## ٤ والمركب الناقص.

ولا تجري في التصديق الضروريّ الجليّ الذي لا يحتاج إدراكه إلى تفكير، كالبديهيّ الأوّلِيّ؛ لذا لا تصحّ مناظرة منكر الضروريات<sup>(١)</sup>، كاستحالة اجتماع الضدين، وحرارة النار.

### ٢- أن يكون الموضوع محرراً محدّداً:

لا بدّ أن يتّضح موضوع المناظرة بشكل محدّد، ويتحرّر موضع الخلاف بين المتناظرين قبل الخوض فيها؛ لأنّ عدم تحرير ذلك يؤدّي إلى المراء غالباً، وإطالة أمد المناظرة دون تحقيق ثمرتها المرجوة وهو ظهور الحقّ فيها، «وهذا ممّا يسمّى (تحرير محلّ النزاع)، وتقريب شقّة الخلاف، وذلك تأصيل طرق الإلزام في المناظرة، وهو أن يقال: قد اتّفقنا على كذا وكذا، فلنحتجّ على ما عدا ذلك»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- أن يكون الموضوع معقولاً يمكن البرهنة عليه:

إذا كان الموضوع لا يُعقل فلا يمكن البرهنة عليه، وحينها لا فائدة من المناظرة، لأنّها عبارة عن استدلالٍ واعتراضٍ، وما لم يمكن البرهنة عليه لا يتصوّر الاستدلال له ولا الاعتراض عليه، قال أبو منصور البغداديّ رحمته الله في «عيار النظر» (ص ٢١٤): «وأسقط أصحابنا فائدة المناظرة في قول لا يعقل صاحبه في نفسه، فضلاً عن أن يعقله خصمه»، فإذا أجرى أحد الطرفين المناظرة فيما لا يُعقل معناه فهذا نوعٌ من المعاندة<sup>(٣)</sup>.

## ب- الشروط في الاستدلال لموضوع المناظرة:

ومن أبرزها:

### ١- أن يكون الدليل مقبولاً عند المتناظرين:

يقول الشاطبيّ رحمته الله في «الموافقات» (١٧٤/٧)، «وإذا كانت الدّعى لا بدّ لها من دليل، وكان الدّليل عند الخصم متنازعاً فيه، فليس عنده بدليل؛ فصار الإتيان به عبثاً لا يفيد فائدة، ولا يحصل مقصوداً؛ ومقصود المناظرة ردّ الخصم إلى الصّواب بطريق يعرفه؛ لأنّ ردّه بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق؛ فلا بدّ من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدلّ».

(١) ينظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١٧٤/٧)، «شرح عبد الوهاب على الولدية» (ص ١٨٢)، «آداب البحث

والمناظرة» للشنقيطي (ص ١١، ١٤٢، ١٤٣)، «الموجز» لحسين والي (ص ٢٥).

(٢) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٧/٢١).

(٣) «الكليات» للكفوي (ص ٨٤٩).



## ٢- الاستدلال ضمن مرجعية من الأصول والقواعد يتوافق عليها المتناظران:

فإن الاحتكام إلى مرجعية يقبل بها المتناظران له أثر في حسم مادة النزاع، ووقوع الفائدة المرجوة من المناظرة؛ «فإن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا؛ فإن لم يتفقا على شيء، لم يقع بمناظرتهم فائدة بحال»<sup>(١)</sup>؛ فإذا كانت المناظرة -مثلاً- بين من يقول بالقياس كالجمهور وبين ظاهري لا يقول بالقياس، فيحتكمان إلى مرجعية الكتاب والسنة والإجماع، وإذا كانت بين مسلم ومشرِك أو سُنيّ وبدعيّ، فيحتكمان إلى مرجعية يتفقان عليها كالإلزامات العقلية، أو إلزامه بما يعتقد ويقول به، وإثبات اضطرابه فيه<sup>(٢)</sup>، وهكذا.

والفائدة تحصل من المناظرة بالالتزام بما اتفق عليه المتناظران من مرجعية الردّ، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٢/٢٠): «فإذا تنازع المسلمون في مسألة، وجب ردّها تنازعوا فيه إلى الله والرّسول، فأبى القولين دلّ عليه الكتاب والسنة، وجب اتّباعه».

٣- مراعاة اتّساق الاستدلال مع العرف اللّغويّ والاصطلاحيّ المستعمل بين أهل الفنّ: فإذا كانت هناك ألفاظ مستقرّة ذات مدلولات معلومة ومعبرة ومحدّدة عند أهل الفنّ الواحد ولا سيّما الخاصّ بموضوع المناظرة، فلا يصحّ أن يعدل عنها المتناظران إلى غيرها من الألفاظ الموهمة أو غير المستعملة عند أهل هذا الفنّ؛ لما يسببه ذلك من اتّساع هوّة الخلاف، وغلط كلّ من المتناظرين على الآخر<sup>(٣)</sup>؛ لذا يشترط أن يُجري المتناظران مناظرتهم على عرف واحد، فإذا كان الكلام جارياً على عرف الفقهاء مثلاً، فليس للمناظر الآخر أن يعترض استناداً إلى عرف النحاة أو الوضع اللّغويّ أو عرف الفلاسفة أو نحو ذلك، وفي أهميّة مراعاة الاصطلاحات يقول العطار في «حاشيته على

(١) «الموافقات» للشاطبي (٤١٥/٥). وقال الخفاف: «واعلم -رحمك الله- أنه لا بدّ لهما من مقدمة يرجعان إليها من خبر أو عقل أو خبر [بالضم، أي: العلم بالشيء] أو معنى من المعاني الموطّأة بين الخصمين، فإن لم تكن لهما قاعدة ما يرجعان إليها كانا في حبط، فإن كانت المقدمة -كما وصفنا- رجعا إليها عند التنازع، فإن لم تكن بينهما المقدمة، لم يكن لأحدهما على صاحبه حجة إلا بالمصير إلى هذه المقدمات». «المقدمة الأصولية من كتاب الأقسام والخصال» للخفاف (ص ٣٤٤).

(٢) ينظر: «المنهاج» للباقي (ص ١٥٧). ويحكى ابن القيم رحمه الله عن شيخه شيخ الإسلام رحمه الله أنه كان يقول: «أنا أنتم أنه لا يحتاج مُبطل بآية أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله». «حادي الأرواح» لابن القيم (ص ٢٩٣).

(٣) ينظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٢٥١).

المطلع» لذكرنا الأنصاري رحمه الله (ص ٣٥٩) بعد أن ذكر بعض الأوهام: «ولعمري! إن عدم الوقوف على الاصطلاحات من الكتب المحررة المعتمدة، يَجُرُّ إلى أكثر من هذا».

### ج- الشروط في المتناظرين:

وأبرزها ما يلي:

#### ١- العلم بموضوع المناظرة والبصر به:



شروط المناظرة: القدرة على فهم ما نحن فيه

لأن غير العالم حقه أن يسأل لا أن يناظر، يقول الله تعالى: ﴿فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، «وقد نطق الكتاب بالمنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده، فقال تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦]»<sup>(١)</sup>.

أما الجاهل بموضوع المناظرة فإنه لا فائدة من مناظرته؛ لأنه غير بصير بموارد النزاع ولا مواضع الحجاج، وربما سارع إلى قبول ما قرع سمعه دون برهان صحيح، أو كابر فيما يلزمه قبوله؛ لذا لم يعتد بمناظرته<sup>(٢)</sup>.

وحق الجاهل السؤال والتعلم، لا الاعتراض والجدال.

#### ٢- المعرفة بأصول المناظرة وقوانينها وقواعدها:



شروط المناظرة: أن يكون المتناظر على قدر من المعرفة بأصول المناظرة

وهذا شرط زائد على العلم بموضوع المناظرة؛ فإنه لا يلزم من كون المناظر عالمًا بموضوع المناظرة أن يكون عارفًا بأصولها وقواعدها، قادرًا على أمثالها أثناء المناظرة، قال ابن عقيل رحمه الله في «الواضح» (١/٥٢٢): «وكل صناعة فإن العلم بها غير الجدل فيها، وذلك أن العلم بها: المعرفة بجواب مسائل الفتيا فيها... فأما الجدل: فإنما هو الحجاج في مسائل الخلاف منها، فالعلم صناعة، والجدل صناعة».



العلم بأصول المناظرة

لذا لا يصح أن يغتر المرء بعلمه وصحة مذهبه، فيقدم على مناظرة غيره دون أن يكون عارفًا بأصول المناظرة وقواعدها؛ لأنه يوشك أن يقع بسبب ذلك في محذور تفويت نصرة الحق الذي معه؛ «فليس كل من عرف الحق -إما بضرورة أو بنظر- أمكنه أن يحتج على من ينازعه

(١) «المنهاج» للباجي (ص ٨).

(٢) ينظر: «التقريب لحد المنطق» لابن حزم (ص ١٧٣).

بحجة تهديه أو تقطعه؛ فإن ما به يعرف الإنسان الحق نوع، وما به يعرفه غيره نوع، وليس كل ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف غيره به»<sup>(١)</sup>.

### ٣- استواء المتناظرين أو تقاربهما في العلم:

والمراد بذلك: ألا «يكون أحدهما في غاية العلو والكمال والآخر في غاية الدناءة والنقصان»<sup>(٢)</sup>، فلا تصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والفهم والعقل والإنصاف، وإلا فهو مراة ومكابرة»<sup>(٣)</sup>، قال ابن عقيل رحمه الله في «الجدل» (ص ٢٤٣): «لا يتجادل إلا النظيران، ومن لا يكون نظيرا فإنما هو مسترشد وسائل»؛ وذلك حتى يكون كل واحد منهما عالما بمسلمات الفن الذي يتحدثان فيه، وبأوجه النقض وصحته، وغير ذلك من الأسئلة والاعتراضات والأجوبة.

### ٤- الكفاية العقلية والسلوكية، والرغبة في ظهور الحق:



ذلك أن المتناظرين يحتاجان إلى عدد من المهارات العقلية التي تؤهلهم للشروع في المناظرة والاستمرار فيها حتى نهايتها؛ ومن ذلك قوة الاستحضار، وسرعة البديهة، والحلم والأناة والتثبت والصبر على ما قد يطرأ من أمور تستدعي الغضب أو الشدة.

والكفاية العلمية لا تقوم وحدها بأعباء المناظرة حتى يضم إليها الكفاية السلوكية والأخلاقية؛ بحيث يكون وانقا لا يغلب عليه الاضطراب والتحير، هادئا لا يغلب عليه الطيش والتهور، «فكم من عالم وفرَّ حظُّه من الأصول -على معنى أنه أحاط بالأدلة-، وظهر تقدُّمه في الفقه -إذ أحاط بأحكام الشريعة وتفصيلها- إن امتحن في مقام المناظرة وموقف المجادلة لم يصبر حق الصبر، ولم يحسن الوفاء به على الشرط»<sup>(٤)</sup>، وفي مقابل ذلك من اتسم بالهدوء في المناظرة كان أقدر على الغلبة لاجتماع خاطره واتزان نفسه، ومن ذلك ما حكى عن الموفق ابن قدامة رحمه الله أنه «كان لا يُناظر أحداً إلا وهو يتبسّم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسّمه»<sup>(٥)</sup>.

(١) «دره تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٧/ ١٧١).

(٢) «الرشيدية» (ص ١٤).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (ص ٩٧٢).

(٤) «المتخل» للغزالي (ص ٣٠٩).

(٥) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٣/ ٢٨٨).

ومقتضى النصيحة لله ولرسوله ولعموم المسلمين ألا ينتهز بالمناظرة أمام أهل البدع والأهواء إلا مَنْ كان قادراً على قطع دابرهم، وإلا كان ضرره أكبر من نفعه، وكان سبباً في حصول الاضطراب والحيرة في العقول والقلوب، يقول ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل» (١/٣٥٧): «كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقّه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين».

## الأنشطة

### النشاط الأول:

بعد دراستك لشروط المناظرة: استنبط الشرط الذي تدلُّ عليه كلُّ آيةٍ ممَّا يلي:

الشرط	الآية
	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].
	﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].
	﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦].
	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

### النشاط الثاني:

بالتعاون مع زميلك، ورجوعك إلى «آداب البحث والمناظرة» للشنقيطي (ص ١٤٣) وغيرها من الكتب المعاصرة: بيِّن ما تجري فيه المناظرة وما لا تجري فيه، مع ذكر مثالٍ على كلِّ قسم.

## النشاط الثالث:

يُبين الشرط الذي اختلَّ في الأمثلة التالية:

الشرط المختل	المثال
	تناظر مسلمين في وجوب صيام رمضان.
	تناظر مالكي وشافعي في ثبوت خيار المجلس، فاستدل المالكي على نفيه بأنَّ عمل أهل المدينة على خلافه.
	مناظرة المفسر مع الفقيه في مسألة فقهية.
	استدلال الحنبلي في مناظرته للحنفي على عدم وجوب النفقة للمطلقة البائن غير الحامل بمفهوم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

## النشاط الرابع:

برجوعك إلى كتاب: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٩٤٢) أجب عما يلي:  
هل تصح المناظرة في أسماء الله وصفاته؟ وما ضابط ذلك؟

## النشاط الخامس:

قال الشنقيطي في «آداب البحث والمناظرة» (ص ١٤٣): «واعلم أنَّ التعريفات والتقسيمات  
قد تجري فيها المناظرة».

يُبين سبب جريان المناظرة فيها، مع التوضيح بالمثال.

## النشاط السادس:

استخرج الأركان من المناظرات التالية:

أركانها

المناظرة

حدثنا الشافعيُّ قال: ذكرت لمحمَّد بن الحسن الدُّعاء في الصَّلَاة فقال لي: لا يجوز أن يُدعى في الصَّلَاة إلَّا بما في القرآن وما أشبهه، قال: قلت له: فإن قال رجل: اللَّهُمَّ أطعمني قَنَاءً وبصلاً وعدساً وارزقني ذلك أو أخرِجه لي من أرضي، أيجوز ذلك؟ قال: لا، قلت: فهذا في القرآن، فإن كنت إنَّما تجيز ما في القرآن خاصَّةً فهذا فيه، وإن كنت تجيز غير ذلك فلمَ حظرت شيئاً وأبحت شيئاً؟ «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي (٧٠ / ٢).

قدم الضَّحَّاك الشَّاري الكوفة، فقال لأبي حنيفة: تُب. فقال: ممَّ أتوب؟ فقال: من قولك بتجوز الحَكَمين. فقال: أبو حنيفة: تقتلني أو تناظرني. قال: بل أناظرك. قال: فإن اختلفنا في شيءٍ ممَّا تناظرنا فيه، فمن بيني وبينك؟ قال: اجعل أنت من شئت. فقال أبو حنيفة لرجلٍ من أصحاب الضَّحَّاك: اقعد بيننا فيما نختلف فيه إن اختلفنا. ثمَّ قال الضَّحَّاك: أترضى بهذا بيني وبينك؟ قال: نعم. فقال أبو حنيفة: فأنت قد جوَّزت التَّحكيم. «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للغزي (١٥٢-١٥١ / ١).



# المَعْلَم الرَّابِع:

## مراحل المناظرة وضوابطها

### ■ مراحل المناظرة.

- مرحلة التأسيس والمبادئ.
- مرحلة الدلائل والوظائف.
- مرحلة النتائج.

### ■ ضوابط المناظرة.





## أهداف المعلم

بعد الانتهاء من هذا المعلم يُتوقع من الطالب أن:

١. يعدّد مراحل المناظرة.
٢. يميّز بين وظائف المناظرة.
٣. يمثّل على كلّ وظيفة من وظائف المناظرة.
٤. يوضّح طرق انقضاء المناظرة.
٥. يميّز الأمور التي يُعرّف بها انقطاع المناظر.
٦. يعدّد ضوابط المناظرة.
٧. يقوم المناظرات التي تفتقد لضابط من ضوابطها.
٨. يمثّل على ضوابط المناظرة.
٩. يستخرج ضوابط المناظرة من نصوص أهل العلم.

## نشاط استهلاكي

استنبط ضوابط المناظرة من خلال الأمثلة التالية، ثم تأكد من صحة إجابتك بعد دراسة المعلم:

الضوابط	الأمثلة
	لا يصح أن يقول المجيب: أرى جواز تتبع الرخص، لأن تتبع الرخص مأذون فيه، وكل مأذون فيه جائز.
	لا يجوز لمناظر أن يلزم ظاهرياً بمسألة مبناها على القياس، أو يحتج على شافعي بعمل أهل المدينة.
	إذا استدلل المجيب على عدم تنجس المائعات إذا بلغت قُلَّتَيْن فأكثر بقياس المائعات على الماء؛ فلا يكفي المعارض السائل أن يقول: (هذا القياس باطل).
	لا يصح أن يقول السائل للمجيب: لا أقبل منك إلا دليلاً من الكتاب، أو لا أقبل منك إلا الاستدلال بمفهوم المخالفة.
	إذا اتفق متناظران أحدهما حنفي والآخر مالكي على الاعتداد بدليل الاستحسان، فلا يصح لهما معارضته بعد ذلك من جهة الاعتداد به.

## أولاً: مراحل المناظرة

لا يزال الناس يختلفون فيما بينهم، ويتحاورون ويتجادلون ويتناظرون فيما يختلفون فيه؛ ليتبين الصواب من الخطأ، والحق من الباطل؛ وحتى تستقيم هذه الحركة العلمية، وتنتج الثمرة المرجوة منها، فلا بد أن تمرّ بمراحل رئيسة يتحرّر فيها ابتداءً وجه الخلاف وموضع النزاع، ثم انتهاز المتناظرين بالاحتجاج والاعتراض، حتى يعجز أحد المتناظرين. وسنكتفي بالكلام على المناظرة في القضايا -دون المناظرة في التعريف والتقسيم- من خلال ثلاث مراحل رئيسة، هي<sup>(١)</sup>:

■ المرحلة الأولى: التأسيس والمبادئ.

■ المرحلة الثانية: الأواسط، وهي الدلائل والوظائف.

■ المرحلة الثالثة: المقاطع والنتائج.

### ■ المرحلة الأولى: التأسيس والمبادئ:

هذه المرحلة تأسيس لما بعدها؛ ففيها يتحرّر محلّ النزاع، ويتعين القدر المتفق عليه والمختلف فيه، وتحدد معاني المصطلحات المستعملة والمتداولة في موضوع المناظرة؛ لئلا تؤول المناظرة إلى نزاع لفظي لا ثمره له، تُهدّر فيه الأوقات، وتُسْتَهْلَك فيه الجهود والطاقت، قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١١٤/١٢): «كثير من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة... حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كلُّ منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره».

فإذا تحرّر محلّ النزاع، وحُدّد المراد من الألفاظ المحتملة أو المشتبهة، فعندئذٍ تدخل المناظرة في طورها الثاني المتعلّق بوظائف كلّ من المتناظرين.

### ■ المرحلة الثانية: الدلائل والوظائف:

وهي مرحلة المحاجّة والنّزال العلميّ التي يُطالب فيها كلّ مناظرٍ بتقديم ما يصحّ الدعوى أو نفيها؛ فمثلاً إذا ادّعى الطّرف الأوّل دعوى نظريّة ولم يقدّم عليها الدّليل،

(١) ينظر: «الرشيدية مع الشريعة» (ص ٣٨)، «آداب البحث والمناظرة» للشقيطي (ص ٢٩٥ - ٣٣٠).

طالبه الآخر بإقامة الدليل عليها وإلا يكون الأول مُفَحَّمًا، وإذا قَدَّمَ الأول دليلًا على دعواه فللمناظر الآخر أن يطلب دليلًا على دليله، أو يعارضه بدليل آخر أو ينقضه داعمًا ذلك بما يؤيده من الشواهد، وإلا يكون الثاني مُلَزَمًا، ووظائف المناظرة تدور حول معانٍ ثلاثة: المنع والمعارضة والنقض، وهذه الوظائف تستمر حتى تتبين صحة الدعوى أو يثبت بطلانها، بأن يعجز أحد المتناظرين عن إجابة الآخر ويسلم له؛ وسنكتفي هنا ببيان وظائف السائل المعارض، دون وظائف المعلل التي تقابل كل وظيفة من وظائف السائل:

### ■ أولاً: المنع،

ومعناه: طلب الدليل على ما يُستدلُّ له؛ ويسمى: المناقضة، والنقض التفصيلي؛ ويتوجّه أساسًا إلى إحدى مقدّمتي الدليل: الصغرى أو الكبرى، أي بعد أن يذكر المدّعي دليلًا على دعواه، فيتّجه المنع من السائل إلى إحدى مقدّمات دليل المعلل، بمعنى أن السائل لا يسلم بتلك المقدمة ويطلب الدليل عليها، فالأصل في المنع أن يكون بعد أن يستدل المدعي على دعواه.

ويتوجّه المنع أيضًا إلى دعوى مجردة عن الدليل، ويكون معناه عدم التسليم بالدعوى وطلب الدليل عليها، بأن يذكر المدّعي دعوى دون أن يستدلَّ عليها، فيتّجه المنع من المناظر الآخر - وهو السائل - بعدم التسليم بها وطلب الدليل عليها<sup>(١)</sup>.

وإذا لم يذكر المدّعي دليلًا على إحدى مقدّماته، فلا يحقُّ للسائل أن يستدلَّ على انتفاء المقدمة بدليل من عنده؛ لأنَّ ذلك يُعدُّ (غصبًا)، بل عليه أن يطلب الدليل على تلك المقدمة<sup>(٢)</sup>.

### ومن أمثلة المنع:

أن يقول المعلل: الخيل السائمة تجب فيها الزكاة، والدليل: أن الخيل السائمة مالٌ، وكلُّ مالٍ تجب فيه الزكاة؛ لذا فالخيل السائمة تجب فيها الزكاة.

فيقول خصمه السائل: أمتنع المقدمة الكبرى، أي أنني أطالبك ببيان الدليل على أن كلّ مالٍ تجب فيه الزكاة.

(١) ينظر: «الكافية» للجبوني (ص ١٣١)، «الرشيدية مع الشريعة» (ص ٢٩)، «شرح التلويح على التوضيح» للفتنازاني (١٢/ ٨٩)، «آداب البحث والمناظرة» للشنقيطي (ص ٣١٢)، ولمحمد محيي الدين عبد الحميد (ص ٨٨ - ٨٩، ٩٢، ١٢٠ - ١٢٢).

(٢) ينظر: «الرشيدية» (ص ٦٧)، «شرح عبد الوهاب على الرولية» (ص ١٤٥)، «تحفة الطلاب» (ص ٤٥).

فهنا وقع المنع على إحدى مقدمات الدليل<sup>(١)</sup>.

## ■ ثانيًا: المعارضة:

وهي: أن يُبطل السائل (الطرف الثاني) ما ادّعه المعلن (الطرف الأول) وأقام عليه الدليل؛ بإقامة الدليل على ما ينافي الدعوى، من: نقيض دعواه أو المساوي لنقيضها أو الأخص من نقيضها<sup>(٢)</sup>.

فيجب في المعارضة: أن يقيم المدعي دليلًا على دعواه، ثم يأتي المعارض بدعوى تناقض دعوى المدعي مع التدليل عليها، وبهذا يكون مُفسدًا لدعوى المعلن، وحينها تنقلب المناصب: فيصير المعارض النافي مستدلًا، ويصير المعلن المثبت للدعوى الأصلية سائلًا<sup>(٣)</sup>.

أمّا المعارضة غير المقبولة، فلها حالان:

- قبل أن يذكر المدعي دليله: بأن يأتي المعارض بالمعارضة مباشرة: ويذكر دليلًا على نقيض دعوى المدعي؛ فهذا (غصب) لا يصح في قانون المناظرة.
- وبعد ذكر المدعي دليله: بأن يعارضه السائل دون أن يقيم دليلًا على ذلك، بأن يقول: (دعواك فاسدة؛ لأن نقيضها ثابت)، ويكتفي بذلك؛ فهذه تُعدّ (مكابرة) لا تصح في قانون المناظرة<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة المعارضة:

أن يقول المعلن: يجب مسح كل الرأس في الوضوء؛ لأنه ركن من أركان الوضوء كسائر الأركان التي يجب فيها تعميم الطهارة، وكل ما كان كذلك وجب فيه التعميم. فيقول السائل: لا يجب مسح كل الرأس في الوضوء؛ لأنه لو كان واجبًا لَمَا ثبت في السنة خلاف ذلك، لكنه ثبت في السنة خلافه، فليس بواجب. فهذه معارضة لأن السائل جاء بنقيض الدعوى الأولى، ثم دَلَّ عليها.

(١) ينظر: «آداب البحث والمناظرة» للشنقيطي (ص ٢٠٤).

(٢) ينظر: «الرشيدية» (ص ٣٤)، «شرح عبد الوهاب على الولدية» (ص ١٦١)، «آداب البحث والمناظرة» لمحمد محيي الدين (ص ١٢٠).

(٣) ينظر: «تحفة الطلاب» (ص ٤٨).

(٤) «الرشيدية مع الشريفة» (ص ٣٥).

### ■ ثالثاً، النقض،



ويسمى النقض الإجمالي، وهو: إبطال السائل دليل المعلن، مع إثباته ذلك بشاهد على دعوى البطلان؛ والشاهد إما أن يكون تخلف المدلول عن الدليل في صورة من الصور، أو لزوم المحال من الدليل ونحوه<sup>(١)</sup>؛ لذا فلا يُقبل النقض إلا مقترناً بـ (شاهد) وهو: ما يدل على فساد دليل المعلن<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة النقض:

أن يقول المعلن: بيع الغائب فاسد؛ لأنه عقد على مجهول الصفة، وكل عقد كذلك فاسد.

فيقول السائل: هذا الدليل منقوض؛ لأنه يجري في تزوج المرأة الغائبة، مع أنه عقد صحيح.

فهنا تخلف المدلول -وهو العقد على المرأة الغائبة- عن الدليل المذكور فيكون الدليل منقوضاً<sup>(٣)</sup>.



ومما سبق يتبين أن المنع في الأصل يتجه إلى إحدى مقدمات الدليل، والنقض في الأصل يتجه إلى مجموع الدليل، والمعارضة تتجه في الأصل إلى نفس الدعوى.

### ■ المرحلة الثالثة، النتائج،

وهي المرحلة التي تنتهي عندها المناظرة، و«لا يخفى أنه لا بد في المناقشة أن تنتهي بعجز أحدهما عن دفع دليل الآخر:

- فإن كان العاجز السائل سُمي مُلَزَمًا، وسُمي عجزه إلزامًا.

- وإن كان العاجز المجيب سُمي مَفْحَمًا، وسُمي عجزه إفحامًا<sup>(٤)</sup>.



(١) ينظر: «عيار النظر» لأبي منصور البغدادي (ص ٥٥٥)، «الجدل» لابن عقيل (ص ٣٧١)، «الرشدية مع الشريعة» (ص ٣١)، «شرح عبد الوهاب على الولدية» (ص ١٧٢).

(٢) «الرشدية مع الشريعة» (ص ٣٣)، «شرح عبد الوهاب على الولدية» (ص ١٧٦).

(٣) ينظر: «آداب البحث» لعبد الغني المالكي (ص ٤٤).

(٤) «آداب البحث والمناظرة» للشنقيطي (ص ٢٧٣). وينظر: «الولدية مع شرح عبد الوهاب» (ص ١٩٤).

وعلى ذلك فإن بلوغ المناظرة لنهايتها يكون إما بتسليم المناظر للآخر وإظهار عجزه عن الاستمرار صراحةً، وإما بانقطاعه الذي يُعرَف بعددٍ من الأمور:

١- السُّكوت عن المعارضة: فإذا سألَه السَّائل عن مذهبه في محلِّ النزاع، أو الدَّلِيل، أو وجه الاستدلال، أو أورد على الدَّلِيل سؤالاً على وجه الاعتراض: فسكت المجيب بما يدلُّ على عجزه، فإنَّ ذلك يُعدُّ انقطاعاً منه<sup>(١)</sup>، قال ابن حزم رحمه الله في «رسائله» (٣٢٨/٤): «مَنْ سأل فأجابه خصمه فسكت عن المعارضة؛ فإمَّا أن يكون صدَّقَ الجواب، وإمَّا أن يكون عجز عن المعارضة؛ وهذا مكانٌ قد انقطعت فيه المناظرة».

٢- العجز عن التَّدليل على الدَّعوى أو المقدِّمة: فإنَّ «مَنْ أثبت شيئاً أو نفاه، وطُلِبَ منه الحجَّة، فلم يأت بها، كان مُنْقَطِعاً في المناظرة»<sup>(٢)</sup>.



نماذج من المناظرة

٣- الانتقال: ويُقصد به تحوُّل السَّائل أو المجيب عن فحوى السُّؤال أو الجواب الأوَّل إلى سؤالٍ أو جوابٍ آخر قبل تمام الكلام في الأوَّل منهما<sup>(٣)</sup>، مثاله: أن يبدأ السَّائل بالسُّؤال عن المذهب، فيقول: ما رأيك إن أتلف مسلمٌ حمرًا لذمِّيٍّ في دار الإسلام، هل يضمُّنه<sup>(٤)</sup>؟ فيجيب المجيب: نعم يضمُّنه، فيسأل السَّائل: فما رأيك إن قتل المسلم ذمِّيًّا<sup>(٥)</sup>؟ فهذا انتقالٌ من السَّائل من قضية هي محلُّ النزاع إلى قضية أخرى غير محلِّ النزاع قبل إتمام الكلام في القضية الأولى؛ وهذا إخلالٌ بأداب المناظرة، وخروجٌ عن سنَّتها<sup>(٦)</sup>.

٤- الخروج عن أصول المناظرة وآدابها: بالتَّشغيب، أو المغالطة، أو المكابرة، مثل: جَحْد ما يسلم به، أو إنكار البهديات، أو الإلغاز في الكلام، أو السُّخرية، أو الإساءة إلى المناظر نفسه، ونحو ذلك، فكلُّ هذا يُعدُّ خروجاً عن أصول المناظرة وآدابها، ودليلاً على عجز المناظر واستخفافه؛ يقول ابن عقيل رحمه الله في «الواضح» (٤٩٣/١) في الانقطاع بالمكابرة: «اعلم أنَّ الانقطاع بالمكابرة عجزٌ عن الاستتمام بالحجَّة إلى المكابرة، وهو شرٌّ وجوه الانقطاع وأقبحها، وأدلُّها



الادب عند الانقطاع

(١) «المنتخل» للغزالي (ص ٥٠٥)، «كشف الأسرار» للبخاري (١٣٣/٤).

(٢) «الجواب الصحيح» لابن تيمية (٤٥٩/٦).

(٣) ينظر: «الواضح» لابن عقيل (٣١٦/١)، «شرح التلويح على التوضيح» للفتناني (٢٠٠/٢).

(٤) ينظر هذه المسألة في: «المغني» لابن قدامة (٢٢٢/٥).

(٥) ينظر هذه المسألة في: «المغني» لابن قدامة (٢٧٣/٨).

(٦) ينظر: «الواضح» لابن عقيل (٣١٧/١).



على سخف صاحبه، وقلة مبالاته بما يظهر من فضيحته، وتخليطه في ديانته، وليس يُنتفع بكلام من كانت عادته أن يحمل نفسه على المكابرة<sup>(١)</sup>.

والانقطاع عن المناظرة إذا كان بأدب وتجميل فلا ينقص من قدر المناظر، قال ابن عقيل رحمه الله في «الواضح» (١/٥١٠): «ليس يسلم أحد من الانقطاع إلا من قرنه الله - جلَّت عظمته - بالعصمة من الزلل»، بل الانقطاع خير من المكابرة أو التَّمادي في الكذب، قال الطوفي رحمه الله في «عَلَم الجَدَل» (ص ١٥٥): «وليلزم كل من المتناظرين مقاته، ولا ينكرها خوف الانقطاع؛ فإنَّ الانقطاع خير من المكابرة والكذب»<sup>(١)</sup>.



(١) وينظر: «الشرية» للأجري (١/٤٦٤)، «المقدمة الأصولية من كتاب الأقسام والخصال» للخفاف (ص ٣٤٦).

## ثانيًا: ضوابط المناظرة

بعد بيان حقيقة المناظرة، وأركانها وشروطها، ومراحلها التي تمرُّ بها، يحسن الوقوف على ضوابطها التي لا يستغني عنها المتناظرون، يقول سبط ابن الجوزي رحمه الله في «الإيضاح» (ص ٩٩): «المراسم الجدلية تفصل بين الحق والباطل، وتميِّز المستقيم من السَّقيم؛ فمَنْ لم يُحِط بها علمًا، كان في مناظرته كحاطب ليل».

وإنَّما تُمدَّح المناظرة أو تُذمُّ -في الجملة- بحسب ما يلتزم به المتناظران من ضوابط المناظرة التي تمثل السَّياج العلميِّ والضَّوابط الحاكمة لعمل المتناظرين.

### ومن أبرز ضوابط المناظرة ما يلي:

#### ١- مبنى الإثبات والنفي على الأدلة دون الاحتمالات المجردة:

فلا يصحُّ لأحد المتناظرين أن يثبت مذهبه بمجرد الاحتمال، قال صفيُّ الدِّين الهندي رحمه الله في «نهاية الوصول» (٣٤٠٩/٨): «التَّأَظَر هو المجتهد، وهو لا يجوز له أن يبني اجتهاده على مجرد الاحتمال، فكذا للمناظر فيما يتَّخذه مذهبًا؛ ولا تصحُّ المعارضة أو النِّقْض بالاحتمالات المجردة عن الدَّلِيل أو ما يقوم مقامه من قرينة، قال الشَّاطِبيُّ رحمه الله في «الموافقات» (٤٠٢/٥): «مجرد الاحتمال إذا اعتُبر أدَّى إلى انخرام العادات والثَّقة بها، وفتح باب السَّفسطة وجحد العلوم».



#### ٢- لا يُصادر على المطلوب:

المصادرة على المطلوب في اصطلاح علماء هذا الفنِّ تعني: الاستدلال بعين الدَّعوى، أو: جعل نتيجة الدَّلِيل مقدَّمةً من مقدَّماته<sup>(١)</sup>، قال ابن تيمية رحمه الله في «تنبيه الرجل العاقل» (ص ٢٨٨): «كثيرٌ من الأغاليط إنَّما تروُّج بطريقة المصادرة على المطلوب؛ فإنَّ المناظر يغيِّر العبارة، ويكثر الأقسام، ويطيل المقدَّمات، ويجعل الشَّيْء مقدَّمةً في إثبات نفسه».

مثاله: أن يقول المجيب: أرى جواز تتبُّع الرُّخص، لأنَّ تتبُّع الرُّخص مأذونٌ فيه، وكلُّ مأذونٍ فيه جائزٌ، فقولُه هذا يُعدُّ عين الدَّعوى ومصادرةً على المطلوب؛ لأنَّه جعل نفس محلِّ النزاع مقدَّمةً من مقدَّمات دليله!

(١) ينظر: «الردود والقود» للبابرتي (٢٠١/١)، «مناورات الغلط في الأدلة» للتلمساني (ص ٧٨٤).

### ٣- يمتنع إلزام المناظر بدليل لا يقول به :

ذلك أنَّ المناظر لا يحقُّ له أن يلزم مقابله بما لا يعده دليلاً، قال القاضي أبو يعلى رحمته في «العدة» (١٤٥٩/٥): «لا يجوز لأحد أن يطالب خصمه بإثبات الحكم من طريق فاسد عند نفسه، فكما لا يجوز أن يثبت من طريق فاسد، لا يجوز أن يطالب خصمه بذلك؛ فمثلاً: لا يجوز لمناظر أن يلزم ظاهرياً بمسألة مبناها على القياس، والظاهريّة لا يرون القياس دليلاً، أو يحتجّ على شافعيّ بعمل أهل المدينة، والشافعيّة لا يحتجّون به، ويخرج من ذلك إلزام المناظر وإظهار تناقضه واضطرابه وإبطال دليله، جاء في «المسودة» (٨٠٦/٢): «لا يجوز للسائل أن يعارض المستدلّ بما ليس دليلاً عند السائل».

### ٤- لازم قول المناظر لا يلزمه :

وذلك لِمَا «جزم به المحققون من أن لازم المذهب ليس بمذهب؛ لأنّه لا يُقَطَّع بأنّه قصده»<sup>(١)</sup>؛ لذا يجب الاقتصار على كلام المناظر، وعدم تعديته إلى لوازمه، ما لم ينصّ على موافقته على هذا اللازم، قال ابن تيمية رحمته: «ما كان من اللّوازم يرضاه القائل بعد وضوحه له فهو قوله، وما لا يرضاه فليس قوله... وهذا متوجّه في اللّوازم التي لم يصرح هو بعدم لزومها»<sup>(٢)</sup>.

مثاله: أن يقول المجيب: أرى أن خبر الواحد حجّة، فيقول السائل: يلزم من قولك هذا: أنّك تقبل شهادة الواحد في دعاوى الأموال؛ لأنّك قبلت خبره في الشرائع؛ فهذا الإلزام غير مقبول من السائل؛ لأنّ المجيب يصرح باشتراط شهادة عدلين في الأموال. وإذا امتنع إلزام ما يمكن أن يكون لازماً للقول، فمن باب أولى يمتنع إلزام شيء لا يلزم من القول أصلاً.

مثاله: أن يقول المجيب: يجوز الاجتهاد من النّبي صلّى الله عليه وآله فيما لا نصّ فيه<sup>(٣)</sup>، فيقول السائل: يلزم من قولك هذا أنك قائل باختلاف اجتهاده وتبدّله، والاختلاف والتبدّل في قوله صلّى الله عليه وآله طريق للطعن في رسالته؛ فهذا اللازم باطل، ولا يلزم أصلاً حتّى يدّعي السائل لزومه؛ قال الطوفي رحمته في «عَلَمَ الْجَدَل» (ص ١٤): «ولا يورد أحدهما على الآخر شبهة يعلم أنّها لا ترد

(١) «إجابة السائل شرح بغية الآمل» للأمير الصنعاني (ص ٢٣٨).

(٢) «القواعد النورانية للفقيه» لابن تيمية (ص ١٨٦)، «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٩/٤٢).

(٣) تنظر هذه المسألة في: «شرح مختصر الروضة» للطوفي (٣/٥٩٣).

عليه أو لا تلزمه؛ لأنَّ الزَّمان أقصر من أن يضيع في الأغلوطات والتَّغليطات، وفي تحقيق الحقِّ ما يستغرق الوقت».

#### ٥- الأصل ذكر دليل الاعتراض،



فإذا اعترض السَّائل على دليل المستدلِّ، فاللَّزم عند جمهور علماء هذا الفنَّ أن يذكر دليل اعتراضه، أي ما يستلزم إبطال الدَّليل، ولا يكفي بالدَّعوى المجرَّدة، قال ابن تيمية رحمه الله في «الرَّدَّ على الشُّبكي» (٥٢٩/٢): «لا ينفعك مجرَّد المنع مع قيام حُجَّة المنازع من الكتاب والسُّنة والاعتبار»، وقال أيضًا في «الجواب الصحيح» (٤٥٩/٦): «مَنْ نفى ما أثبتته غيره، فقال له: قولك خطأ، والصَّواب في نقيض قولك، ولم يكن هذا كذا؛ فإنَّ هذا عليه الدَّليل على نفيه، كما على ذلك المثبت الدَّليل على إثباته، وإذا لم يأت واحدٌ منهما بدليلٍ كان كلاهما بلا حُجَّة».

مثاله: إذا استدلَّ المجيب على عدم تنجُّس المائعات إذا بلغت قُلَّتَيْن فأكثر <sup>(١)</sup> بقياس المائعات على الماء؛ فإنَّه لا يكفي المعترض السَّائل أن يقول: (هذا القياس باطلٌ)، بل يلزمه أن يذكر دليلَ الإبطال؛ لأنَّه نافٍ لصحَّة الدَّليل أو دلالته، والنَّافي للحكم يلزمه الدَّليل عند الجمهور، ويستثنى من ذلك أن يكون طالبًا لدليلٍ فيقول: (أمنع ذلك) أي: أطلب دليله.

#### ٦- لا يُطالب السَّائل المجيب بدليلٍ معيَّن أو دلالةٍ معيَّنة؛

سواء كانت المطالبة بجنس دليلٍ معيَّن، مثل أن يقول: لا أقبل منك إلَّا دليلًا من الكتاب؛ أو يطالبه بشاهدٍ نقلِيٍّ معيَّن، مثل أن يقول: لا أقبل منك إلَّا الاستدلال بقول الله تعالى في آية الدِّين: ﴿فَاكْتُبُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

كذلك لا يقبل من السَّائل أن يطالب المجيب بدلالةٍ معيَّنة، مثل أن يقول: لا أقبل منك إلَّا الاستدلال بمفهوم المخالفة؛ فذلك كلُّه ممنوعٌ، إلَّا إن جاءت المطالبة بصيغة التَّخيير والاسترشاد، فيقول: هل عندك دليلٌ من الكتاب أو من السُّنة؟ قال أبو المعالي الجويني رحمه الله في «الكافية» (ص ٨٣): «وليس للسَّائل مطالبة المسؤول بتعيين الدَّلالة ... فيقول: لا نستدلُّ إلَّا بالدَّليل الفلاني، أو في الموضع الفلاني، إلَّا أن يكون السَّائل مسترشدًا مستهديدًا، فيقول: ... هل في المسألة دليل العقل، أو السُّنة المتواترة؟...».

(١) تنظر هذه المسألة في: «المغني» لابن قدامة (٤٥/١).

## ٧- لا يعارض الخطأ بالخطأ،

وربما يتوهم المناظر أن من باب الإلزام أن يعارض مناظره إذا ذكر له خطأ من عنده بذكر خطأ آخر عند مناظره، فيقول: عندك خطأ مثل الخطأ الذي زعمت أنه عندي، قال ابن حزم رحمه الله في «التقريب لحد المنطق» (ص ١٧٦): «واعلم أن من الخطأ معارضة الخطأ بالخطأ في المناظرة، مثل أن يقول السائل للمسؤول: أنت تقول كذا، أو لم تقول كذا؟ فيقول المجيب: وأنت تقول أيضًا كذا، أو لأنك أنت أيضًا تقول كذا، فيأتيه بمثل ما أنكر هو عليه أو أشنع؛ فهذا كله خطأ فاحش...».

مثاله: أن يقول حنفيٌّ للشافعيّ: أنت استدلت على هذه المسألة بالاستصلاح المحض العاري عن الدليل! فيقول له الشافعيّ: أنت تستدل بالاستحسان المحض العاري عن الدليل!

## ٨- الأصل عدم المنازعة فيما اتفق عليه المتناظران من الأدلة:



فما اتفق عليه المتناظران من الأدلة الإجمالية أو القواعد والأصول، فلا يُنازع فيه من حيث كونه حجة معتبرة، وإنما يُنازع في تنزيل الدليل على القضية الخلافية أو وجه تعلق الدليل بالمدلول، قال أبو المعالي الجويني رحمه الله في «الكافية» (ص ٨٤): «ومتى نازعه السائل في دليل يتفقان عليه، ولا يكون نزاعه في الكشف عن وجه تعلقه بالمدلول، كان متعنتاً مخطئاً».

مثال: إذا اتفق متناظران أحدهما حنفيٌّ والآخر مالكيٌّ على الاعتداد بدليل الاستحسان، فلا يصحُّ لهما معارضة من جهة الاعتداد به، ولهما الاعتراض بعد ذلك على دلالته على القضية المطلوب التّقديم عليها<sup>(١)</sup>.

وهذا باب آخر غير ظهور فساد الحجة، فللمناظر إذا ظهر له فساد حجته أن يرجع عنها، وهو دالٌّ على فضله وعدم مكابرتة، قال ابن حزم رحمه الله في «التقريب لحد المنطق» (ص ١٨٦): «إن رأى حجته فاسدة، فأراد تركها وأخذ غيرها فذلك له، وهو محسنٌ في ذلك، وليس في ذلك انقطاع في القول المناظر عنه».



## ٩- الالتزام بالأمانة العلمية:

الأمانة العلمية في المناظرة لها صور كثيرة، من أهمها التزام الأمانة العلمية مع المناظر في النقل من الأدلة الشرعية والأقوال وحكاية

(١) ينظر مثلاً: «بداية المجتهد» لابن رشد (٤/٣٠) عند كلامه على مسألة مساقاة الأرض مع النخل بجزء من النخل، أو بجزء من النخل وبجزء مما يخرج من الأرض.

المذاهب؛ ومن هنا قال علماء أدب البحث والمناظرة: «إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل»<sup>(١)</sup>؛ «إذ العلم إمّا نقلٌ مُصدّق، وإمّا استدلالٌ محقّق»<sup>(٢)</sup>.

#### ١٠- الالتزام بأداب المناظرة وقواعدها:

المناظرة «معاونةٌ على النظر، ومصاولةٌ بأسلحة الخواطر والفكر»<sup>(٣)</sup>، ولا يتم ذلك إلا بالالتزام العام بأداب المناظرة وقواعدها، قوانينها وأصولها، وسيأتي في المعلم القادم ذكر آداب المناظرة.

(١) ينظر: «شرح الملاحني على الرسالة العضدية» (ص ٢٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٣ / ٣٤٤). وينظر: «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٩١).

(٣) «شفاء الغليل» للغزالي (ص ٣٨٣).

## الأنشطة

### النشاط الأول:

حدّد الأمر الذي عُرف به انقطاع المناظر في المناظرات التالية:

طريق انقطاع المناظر

المناظرة

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۖ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالَوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٨].

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَإِيمَيْتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

### النشاط الثاني:

ناقش الدّعى التالية بوظائف المناظرة الثلاثة:

قال المعلّل: الأفضل للمسافر الصّوم في رمضان؛ لأنّ من كان مخيراً بين الصّوم والفطر، كان الصّوم أفضل له.

الدّعى

المنع

النّقض

المعارضة



## النشاط الثالث:

بين الضابط الذي انخرم في الأمثلة التالية:

الضابط المنخرم	المثال
	احتجَّ مسلمٌ على بطلان عقيدة نصرانيٍّ بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].
	قال المعلَّل: خبر الواحد العدل لا يفيد إلَّا الظنَّ؛ لأنَّه لو أفاد العلم، لجاز نسخ القرآن والأخبار المتواترة به، لكونه بمنزلتها في إفادة العلم. فاعترض السائل بقوله: دليلك باطلٌ ولا يصحُّ.
	الاستصحاب ليس بحجَّة؛ لأنَّ الأحكام لا تثبت إلَّا بأدلةٍ شرعيَّةٍ نصبها الشارع، وهي منحصرةٌ في النصِّ والإجماع والقياس، والاستصحاب ليس منها.
	قال المعلَّل: الخلع طلاقٌ؛ لقوله ﷺ: «اقبل الحديقة، وطلقها تطليقةً». فقال السائل: يلزمك بذلك أن تقول: إن كان الخلع بعد طلقين لم يجز الزواج من المخالعة حتَّى تنكح زوجًا غيره.

## النشاط الرابع: بين في كلِّ مناظرة ممَّا يلي مراحلها الثلاثة:


المناظرة	المبادئ	الروايف	النتائج
<p>﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٦﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٧﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٢٨﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٩﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٣٠﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ٣١﴾ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٩].</p>			



النتائج	الوظائف	المبادئ	المناظرة
---------	---------	---------	----------

دخل [الشافعي] على محمد بن الحسن وهو يطعن على أهل المدينة في قضائهم بالشاهد الواحد مع اليمين ويقول: هذا زيادة على كتاب الله. فقال الشافعي: أثبت عندك أنه لا تجوز الزيادة على كتاب الله بخبر الواحد؟ قال: نعم. قال: فلم قلت إن الوصية للوارث لا تجوز لقوله ﷺ: «أَلَا لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» وقد قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] الآية. وأورد عليه أشياء من هذا القبيل، فانقطع كلام محمد بن الحسن. «الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف» للدهلوي (ص ٤١-٤٢).


قال مالك لأبي يوسف [صاحب أبي حنيفة] -لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الصَّاعِ وَالْمَدِّ، وَأَمْرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِإِحْضَارِ صِيعَانِهِمْ، وَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ إِسْنَادَهَا عَنْ أَسْلَافِهِمْ-: أَتَرَى هَؤُلَاءِ يَا أَبَا يُوسُفَ يَكْذِبُونَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُونَ. قَالَ مَالِكٌ: فَأَنَا حَرَّرْتُ هَذِهِ الصَّيْعَانِ فَوَجَدْتُهُمَا خَمْسَةَ أَرْطَالٍ وَثَلَاثَ بَارِطَالِكُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ. فَقَالَ: رَجَعْتُ إِلَى قَوْلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَلَوْ رَأَى صَاحِبِي مَا رَأَيْتَ لِرَجْعِ كَمَا رَجَعْتُ. «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٠٦ / ٢٠).



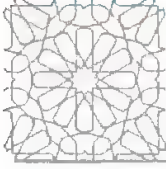
---

## المَعْلَمُ الخامس:

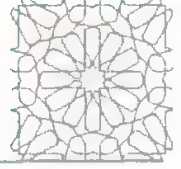
### آداب المناظرة ونماذجها

- آداب المناظرة.
    - آداب المناظر في نفسه.
    - آداب المناظر مع مناظره.
  - نماذج المناظرة.
- 
-





## أهداف المعلم



بعد الانتهاء من هذا المعلم يُتوقع من الطالب أن:

١. يعدّ آداب المناظر مع نفسه.
٢. يعدّ آداب المناظر مع مناظره.
٣. يميّز بين آداب المناظر مع نفسه ومع مناظره.
٤. يستدلّ على آداب المناظر ويمثّل لها بكلام أهل العلم.
٥. يقوم المناظرات التي تفتقر لأدب من آداب المناظر.
٦. يذكر نماذج للمناظرات.
٧. يستنبط الآداب التي اشتملت عليها مناظرات الأئمة.



## نشاط استهلاكي

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة، ثم قوِّم إجابتك بعد دراسة المَعْلَم.

ينبغي للمناظر أن يحرص على مناظرة أهل الهيبة والعظمة والاحترام العظيم.

من آداب المناظرة: بالبداية بحمد الله تعالى، والصلاة والسلام على نبيه ﷺ، ثم الدعاء.

البرُّ مندوبٌ إلى استعماله مع الموافقين والمخالفين ما لم يعتدوا.

تنتهي المناظرة وتحسم إذا شهد الحاضرون بالغلبة لأحد المتناظرين.

رجوع المناظر إلى قول مناظره علامةٌ على ضعفه ووهن حجته.

إذا لاح للمناظر أنه فهم مقصود مناظره من بعض كلامه، فينبغي أن يبادره بالجواب أو السؤال؛ حتَّى لا يطوّل على مناظره وعلى نفسه.

ينبغي للمناظر التواضع في الجلسة وترك الاختيال، وألّا يكون جائعًا ولا عطشًا.

## أولاً: آداب المناظرة

لَمَّا كَانَتِ الْمُنَازَرَةُ مِنْ مَوَاطِنِ التَّجَادُبِ وَالتَّعَارُضِ، فَكُلُّ مُنَازِرٍ يَحْرُسُ عَلَى بَيَانِ مَا يَرَاهُ الْحَقَّ بِأَدْلَتِهِ وَحُجَجِهِ إِنْ كَانَ مَدَّعِيًا مُسْتَدَلًّا، وَالنَّقْضُ وَالْإِعْزَازُ عَلَى أَدْلَةِ الْمُنَازِرِ الْآخَرِ إِنْ كَانَ سَائِلًا مُعْتَرِضًا، حَتَّى يَظْهَرَ الْحَقُّ وَيَسْتَبِينَ وَجْهُ الصَّوَابِ؛ وَمِثْلُ هَذِهِ الْحَالِ تَسْتَدْعِي آدَابًا يُلْتَزَمُ بِهَا الْمُنَازِرَانِ فِي الْبِنَاءِ وَالرَّدِّ حَتَّى لَا تَخْرُجَ الْمُنَازَرَةُ الْعِلْمِيَّةُ مِنْ مَسَارِهَا الَّذِي عَقِدَتْ مِنْ أَجْلِهِ إِلَى مَنَازَعَةٍ شَخْصِيَّةٍ وَخُصُومَةٍ عِنَادِيَّةٍ تَزِيدُ مِنْ هَوَاةِ الْخِلَافِ وَتَكُونُ سَبَبًا فِي الشَّقَاقِ، قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِيُّ رحمته الله فِي «عِيَارِ النَّظَرِ» (٢٢٠): «اعْلَمْ أَنَّ أَدَبَ الْجَدَلِ يَزِينُ صَاحِبَ الْجَدَلِ، وَتَرْكُهُ يَشِينُهُ... وَأَدَبُ كُلِّ صِنْعَةٍ: اسْتِعْمَالُ كُلِّ مَا يَخْتَصُّ بِهَا، وَاسْتِعْمَالُ مَا يَعْثُرُهَا وَغَيْرَهَا، فِيمَا هُوَ نَافِعٌ فِي تَقْوِيمِهَا، مَعَ تَرْكِ مَا لَيْسَ بِنَافِعٍ فِيهَا»؛ لِذَا حَرَصَ الْمُؤَلِّفُونَ فِي عِلْمِ الْمُنَازَرَةِ وَالْجَدَلِ عَلَى التَّنْبِيهِ إِلَى الْآدَابِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمُنَازَرَةِ.

وَتَرَاعَى فِي الْمُنَازَرَةِ آدَابُ الْخِلَافِ، وَلِلْمُنَازَرَةِ آدَابٌ أُخْرَى تَنْقَسِمُ إِلَى نَوْعَيْنِ رَئِيسَيْنِ: الْأَوَّلُ: آدَابُ الْمُنَازِرِ فِي نَفْسِهِ، وَالثَّانِي: آدَابُ الْمُنَازِرِ مَعَ مُنَازِرِهِ.

### ١- النوع الأول: آداب المناظر في نفسه؛

وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْآدَابِ:

#### ١- إخلاص النية لله تعالى وقصد طلب إظهار الحق؛

وَهَذَا الْأَدَبُ يُعَدُّ مِنْ أَكْثَرِ الْوَاجِبَاتِ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَهَمَّ شُرُوطِ قَبُولِ الْعَمَلِ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَحُسْنُ الْقَصْدِ يُعَيِّنُ عَلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمَرْضِيِّ فِي الْمُنَازَرَةِ، وَالتَّزَامُ التَّجَرُّدِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ وَعَدَمُ الْمَكَابِرَةِ؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ إِذَا كَانَ خَالِصًا لِلَّهِ، كَانَ أَعُونَ عَلَى الْإِنْقِيَادِ لِلْحَقِّ، وَأَقْرَبَ لِلتَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ وَالْإِعَانَةِ؛ لِذَا كَانَ «أَوَّلُ شَيْءٍ فِي الْجَدَلِ مِمَّا عَلَى النََّاظِرِ: أَنْ يَقْصِدَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ فِي امْتِثَالِ أَمْرِهِ»<sup>(١)</sup>، قَالَ الْعَزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ رحمته الله فِي «الْقَوَاعِدِ الصُّغْرَى» (ص ١٤٤): «لَا يَجُوزُ الْجَدَلُ وَالْمُنَازَرَةُ إِلَّا لِإِظْهَارِ الْحَقِّ وَنُصْرَتِهِ؛ لِيُعْرَفَ، وَيُعْمَلَ بِهِ؛ فَمَنْ جَادَلَ لِذَلِكَ فَقَدْ أَطَاعَ وَأَصَابَ، وَمَنْ جَادَلَ لَغَرَضٍ آخَرَ فَقَدْ عَصَى وَخَابَ»، فَلْيَكُنْ قَصْدُكَ مِنْ



(١) «الكافية» للجويني (ص ٥٢٩).

المناظرة المناصحة وظهور الحق لا قصد الغلبة والعلو، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما ناظرت أحداً إلا على النصيحة»<sup>(١)</sup>، فكان «تناظرهم رحمهم الله لظهور أمر الله ورسوله، لا لظهور نفوسهم والانتصار لها»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- البدء بذكر الله تعالى والدعاء بالتوفيق والإعانة:

فيبدأ المناظر كلامه بحمد الله تعالى، والصلاة والسلام على نبيه صلی الله علیه وسلم، ثم يدعو الله تعالى لنفسه ولمناظره بالتوفيق والسداد في مناظرتهم؛ قال الباجي رحمهم الله: «ويحمد الله تعالى، ويصلي على رسوله صلی الله علیه وسلم كثيراً؛ لتكثر بركاته، وتعظم فوائده، ثم يسأله المعونة والتوفيق»<sup>(٣)</sup>.

## ٣- القوة القلبية وصفاء الذهن:

فإن المناظر إذا لم يستجمع قوته القلبية زلّ لسانه، ولم تُسعفه حجته ومداركه؛ لذا نبّه بعض أهل العلم إلى ترك مناظرة من يخاف ويهاب جانبه؛ وعملوا ذلك بوجهين؛ أولهما: أن المناظر «عند ذلك في حراسة الروح على شغل من حراسة المذهب، ونصرة الدين»<sup>(٤)</sup>، وثانيهما: أن المناظرة مع أهل الهيئة العظيمة والاحترام العظيم، قد تُدهش المناظر وتذهله عن القيام بالحجة كما ينبغي<sup>(٥)</sup>.



ومن الأمور المعينة على صفاء الذهن واجتماعه: التواضع في الجلسة وترك الاختيال، وألا يكون جائعاً ولا عطشاً؛ لأنهما يوجبان سرعة الغضب المتنافية للمناظرة، ولا يكون ممتلئاً كل الامتلاء أيضاً؛ لأنه يوجب جمود الطبيعة، وخمود شعلة القريحة<sup>(٦)</sup>.

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم (ص ٦٩).

(٢) «الحكم الجديرة بالإذاعة» لابن رجب الحنبلي (ص ٣٤). وينظر: «عيار النظر» لأبي منصور البغدادي (٢٣٤-٢٣٥)، «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٨٨)، «المقدمة الأصولية من كتاب الأقسام والخصال» للخفاف (ص ٣٤٤)، «المنهاج» للباجي (ص ٩).

(٣) «المنهاج» للباجي (ص ٩). وينظر: «الكافية» للجويني (ص ٣١٨).

(٤) «الكافية» للجويني (ص ٥٣٠).

(٥) ينظر: «آداب البحث والمناظرة» للشنقيطي (ص ٢٧٤).

(٦) «الرشيدة» (ص ٨٤). وينظر: «المقدمة الأصولية من كتاب الأقسام والخصال» للخفاف (ص ٣٤٤)، «المنهاج» للباجي (ص ٩).

## النوع الثاني: آداب المناظر مع مناظره:



كُلُّ أدبٍ من هذه الآداب النَّافعة والخلال الحسنة ينبغي أن يمثِّلها كُلُّ مناظرٍ مع مناظره، وكلِّما كانت هذه الآداب مصونةً كان النَّفع بالمناظرة أعظم؛ ومن أبرز هذه الآداب:

### ١- رعاية قَدَر المناظر:

وهذا الأدب تشتدُّ الحاجة له حال المناظرة لِمَا فيها من معنى المجاذبة والمعارضة الذي يقتضي حفظ الأقدار وصيانة المروءات بين المتناظرين؛ حتَّى تنشرح الصُّدور للاستماع والمضي في المناظرة على وجه الاستقامة؛ ومن جانب آخر، فإنَّ كَلَّامَ المتناظرين الأصل أنَّه من أهل العلم ولا سيمًا بموضوع المناظرة؛ لذا وجب حفظ حقِّ كَلِّ مناظر للآخر، ورعاية جانبه رغم الاختلاف معه، وفي حديث عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه يرفعه: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»<sup>(١)</sup>، وعن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أمرنا رسولُ الله ﷺ أن ننزل النَّاسَ منازلهم»<sup>(٢)</sup>؛ قال أبو المعالي الجويني رحمه الله: «وعليك بالمحافظة على قَدْرِكَ وقَدْرِ خصمك، وإنزال كَلِّ أحدٍ في وجه كلامك معه درجته ومنزلته»<sup>(٣)</sup>؛ لذا فينبغي تقيُّد كَلِّ من المتناظرين بالقول المهذَّب، البعيد عن كَلِّ طعن أو تجريح، أو هزء أو سخرية، أو احتقار لوجهة النَّظر التي يدَّعيها أو يدافع عنها من يناظره، وقد أرشد الإسلام إلى التَّقْيُّد بهذا الأدب في نصوص كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِأَتْيٰ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، و«ليعلم أنَّ عواقب إطلاق اللِّسان، وجنابات البيان على كثير من النَّاس كبيرة غير محمودة»<sup>(٤)</sup>.



- (١) أخرجه أحمد (٢٢٧٥٥)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (١٤٧)، وحسن إسنادَه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٧).
- (٢) أخرجه أبو داود (٤٨٤٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٨٢٦) واللفظ له. وصححه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص ٤٨)، وابن الصلاح في «معرفة أنواع علم الحديث» (ص ٣٠٧)، وحسنه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ١٦٤).
- وأعله بالانقطاع: أبو داود في «السنن» (٤٨٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣/ ٣٦٧)..- (٣) «الكافية» للجويني (ص ٥٣١). وينظر: «عيار النظر» لأبي منصور البغدادي (ص ٢٢٨).
- (٤) «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٨٩). وينظر: «الواضح» لابن عقيل (١/ ٥٢٣)، «المقدمة الأصولية» من كتاب الأقسام والخصال» للخفاف (ص ٣٤٤)، «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٩٢)، «الرشيدة» (ص ٨٤).



## ٢- الإقبال على المناظر وترك التشاغل عنه واستعمال السمت الحسن معه :

وذلك بتوقر المناظر في جلوسه، وإصغائه لمناظره، وألا يكلمه وهو مقبل على غيره، وعدم الضحك أو الصياح في وجهه، ولا يتشاغل عنه بأي وجه كأن يعبت بيده ولحيته، بل يكون على حالٍ من البشر والوقار والتيقظ لكلامه<sup>(١)</sup>؛ لأنه بذلك أحرى أن يفهم دعوى مناظره ويتبين حجته؛ فإمّا أن يلتزمها، أو يدفعها بالمنع أو المعارضة أو النقص؛ قال الباجي رحمته في «المنهاج» (ص ٩): «ويقبل على خصمه؛ فإنه أحسن في الأدب، ويحسن الاستماع إلى كلامه؛ فإنه ربما بان له في كلامه ما رآه له على فساد، فيكون له عوناً على نظره»<sup>(٢)</sup>.

ومن حُسن الإصغاء: الإعراض عن التشغيب على المناظر بمقاطعة ونحوها؛ ولو لاح للمناظر أنه فهم مقصود مناظره من بعض كلامه، فلا يتسرع إلى مقاطعته، ولا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، ولا يبادره بالجواب قبل تدبره واستعمال الروية فيه، فربما كان في تمة الكلام ما يغير المقصود أو يذهب بالحجة إلى معنى آخر؛ لذا كان عليهما الانتظار حتى يتم كل منهما حجته ودليله دون مقاطعة أو تشغيب ونحوهما، مع الالتزام بعدم التطويل والحشو، قال الطوفي رحمته: «ولا يقطع أحدٌ منهما على الآخر كلامه في إثباته وإن فهم مقصوده من بعضه... وليس ذلك بفضيلة؛ إذ المعاني بعضها مرتبطٌ ببعض، وبعضها دليل على بعض»<sup>(٣)</sup>.

## ٣- الرفق والتلطف والحلم :

وهي آداب مهمة يحتاج إليها عامة، وتشتد الحاجة إليها في موضع المناظرة والمجادبة خاصة؛ أمّا الرفق «فإن الله يحبُّ في الأمر كله»<sup>(٤)</sup> ولا سيما في مواضع المحاجة والمشاحة والمناظرة؛ فإن الرفق يزينها، وتركه يشينها<sup>(٥)</sup>؛ وكذلك الحلم الذي هو «الطمأنينة عند سورة الغضب»<sup>(٦)</sup>



الكتب منة للعلم

(١) ينظر: «الواضح» لابن عقيل (١/ ٥٢٣)، «المنهاج» للباجي (ص ٩). وينظر: «عيار النظر» لأبي منصور البغدادي (ص ٢٣٠)، «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٩٣)، «الرشيدة» (ص ٨٤).

(٢) وينظر: «الكافية» للجويني (ص ٥٣٥).

(٣) «علم الجدال» للطوفي (ص ١٣). وينظر: «عيار النظر» لأبي منصور البغدادي (ص ٢٢٤، ٢٣٦)، «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٥٦) ومسلم (٢١٦٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَأَاهُ، وَلَا يُنَزَّعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَأْنُهُ».

(٦) «التعريفات» للجرجاني (ص ٩٢).

مِمَّا تَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ؛ وَالرَّفَقُ وَالْحِلْمُ أَدْبَانِ كَرِيمَانِ يَقْتَضِيَانِ التَّلَطُّفَ بِالْمَنَاظِرِ، وَإِقَالَتَهُ إِذَا أَرَادَ الْإِقَالََةَ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رحمته الله فِي «التَّقْرِيبِ لِحَدِّ الْمُنْطَقِ» (ص ١٨٦): «فَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدُهُمَا وَأَرَادَ الْإِقَالََةَ فَذَلِكَ لَهُ، وَوَجِبَ عَلَى الْآخَرِ أَنْ يَقِيلَهُ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ قَوْلُهُ جُزْءًا مِنْهُ، لَكِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ تَرْكُ الْخَطَا إِذَا عَرَفَ أَنَّهُ خَطَا، فَالْمَانِعُ مِنَ الْإِقَالََةِ ظَالِمٌ مَشْغَبٌ جَاهِلٌ».

وَمِنَ الرَّفَقِ بِالْمَنَاظِرِ: الْمَسَامَحَةُ فِي هَفْوَتِهِ، وَالتَّلَطُّفُ فِي الْإِعْرَاضِ عَلَيْهِ أَوْ نَقْضِ كَلَامِهِ وَبَيَانِ زَلَّتِهِ، «فَإِنْ أَصْرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الزَّلَلُ مِمَّا يَحَاطَرُ اسْتِقْرَارَهُ عِنْدَ السَّامِعِينَ، فَيَنْبَغُ عَلَى الصَّوَابِ فِيهِ بِالْطَّفِ الْوُجُوهَ جَمْعًا بَيْنَ الْمَصْلُوحَتَيْنِ» <sup>(١)</sup>، قَالَ الطُّوفِيُّ رحمته الله فِي «عَلَمِ الْجَدَلِ» (ص ١٣): «وَلْيُكَلِّنْ كُلُّ مِنْهُمَا لَخَصْمِهِ الْكَلَامَ وَلَا يُغْلِظْ عَلَيْهِ، وَلِيَتَلَقَّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ بِقَبُولٍ وَلَطْفٍ وَتَحْسِينٍ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: مَا ذَكَرْتَهُ حَسَنٌ مُتَّجِهٌ، لَكِنْ يَرِدُ عَلَيْهِ كَذَا، أَوْ يِعَارِضُهُ كَذَا»، وَمِثْلُ هَذِهِ الْمَنَاظِرَةِ أَدْعَى إِلَى الْقَبُولِ، وَتَرْكِ الْعِنَادِ، وَإِقَامَةِ الْحِجَّةِ، وَإِزَالَةِ الْوَحْشَةِ، وَإِطْفَاءِ نَارِ الْعَصِيَّةِ <sup>(٢)</sup>.



المناظرة من المنطق | الطوفاني

وَمِنْ مَوْجِبَاتِ أَدَبِ الْحِلْمِ إِعْرَاضُ الْمَنَاظِرِ «عَمَّا يَسْمَعُ مِنَ الْأَذَى وَالنِّبْزِ، وَأَلَّا يَشْغَبَ إِذَا شَاغَبَهُ خَصْمُهُ، وَلَا يَرُدَّ عَلَيْهِ إِذَا أَرَبَى فِي كَلَامِهِ، بَلْ يَسْتَعْمِلُ الْهَدُوءَ وَالْوَقَارَ، وَيَقْصِدُ مَعَ ذَلِكَ لَوْضِعَ الْحِجَّةِ فِي مَوْضِعِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَغْلَظَ عَلَى خَصْمِهِ مِنَ السَّبِّ، وَرَبَّمَا أَرَادَ الْخَصْمُ بِاسْتِعْمَالِ الشَّغْبِ قَطَعَ خَصْمَهُ، وَأَنْ يَشْغَلَ خَاطِرُهُ عَنْ إِقَامَةِ حِجَّتِهِ» <sup>(٣)</sup>.

#### ٤- الإنصاف،

وَيُرَادُ بِهِ: رِعَايَةُ كُلِّ مَنَاظِرٍ لِمَعْنَى الْعَدَالَةِ فِي نَظَرِ الْحُجَجِ وَالْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينِ الصَّحِيحَةِ؛ فَلَا يَقَابِلُهَا بِالتَّسْفِيهِ، وَلَا يَدْفَعُهَا بِالتَّشْغِيبِ أَوْ الْمَغَالِطَةِ، بَلْ يَتَلَقَّاها بِمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ النَّظَرِ؛ فِيمَا أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهَا اعْتِرَاضًا عِلْمِيًّا سَلِيمًا، أَوْ يَنْقُضَهَا نَقْضًا صَحِيحًا، وَإِمَّا أَنْ يَقَرَّ بِهَا وَيَذَعْنَ لَهَا، وَيُشِيرَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، «وَهَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْصَفِ الَّذِي كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ مُوَالٍ أَوْ مُنَافٍ قَالَ لِمَنْ خُوِطِبَ بِهِ: قَدْ أَنْصَفَكَ صَاحِبُكَ؛ وَهُوَ أَدْعَى



شروط المناظرة وبما يحسنه  
لا تحقد ومالك | ابن حزم

(١) «الإيضاح لقروانين الاصطلاح» لسبط ابن الجوزي (ص ١٣٤). وينظر: «الكافية» للجويني (ص ٥٣٥).

(٢) ينظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ١٩٣)، «الموافقات» للشاطبي (٢/ ١٦٧).

(٣) «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٩٢).

لقلة شغب الخصم، وفلّ شوكتة بالهويناء<sup>(١)</sup>، وقد قرّر أهل العلم أنّ «المناظرة والمحاكمة لا تنفع إلّا مع العدل والإنصاف»<sup>(٢)</sup>.

والإنصاف أمانة على تواضع المناظر وسهولة انقياده للحقّ عند ظهوره، ولا سيّما أنّ المناظرة «أشبه بمشاورة في مشكّلة علميّة، وتقليب وجهات النظر للوصول إلى حلّ سديد في شأنها»<sup>(٣)</sup>، ف«إذا بان له الحقّ أذعن له وانقاد إليه؛ فإنّ الغرض بالنظر إصاغة الحقّ»<sup>(٤)</sup>.

قال الغزاليّ رحمه الله في «إحياء علوم الدين» (١/٤٤): «ويرى رفيقه مُعيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحقّ، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالّته فنّبّه صاحبه على ضالّته في طريق آخر، فإنّه كان يشكره ولا يذمّه، ويكرّمه ويفرح به، فهكذا كانت مشاورات الصّحابة رضي الله عنهم».

والإنصاف خلاف المكابرة؛ فإنّها «وظيفة مردودة، لا تُسمع ولا تُقبل»<sup>(٥)</sup>، وهي مستلزمة لبطر الحقّ وجحد، و«من بطر الحقّ فجحد، فإنّه يضطرّ إلى أن يقرّ بالباطل»<sup>(٦)</sup>.

ومن إنصاف المتناظرين عدم الاعتراض بشهادة الحاضرين أو مدحهم لأحدهما دون الآخر إلّا أن يكونوا علماء في مقام التّحكيم؛ لأنّ ذلك قد يكون نابعاً من مجرد الموافقة في المشرب أو الطّريقة أو المذهب أو المعتقد، قال ابن حزم رحمه الله في «التّقريب لحدّ المنطق» (ص ١٨٦): «وليست شهادة الحاضرين بالغلبة لأحدهما شيئاً؛ إذ قد يكونون موافقين في رأيهم لرأيه الذي شهدوا له فسيلهم وسيله واحد، والإنصاف في النّاس قليل، وقد يكونون غير محصّلين ما يقولون ولا فهماء بما يسمعون وهذا كثير جدّاً»<sup>(٧)</sup>.

## ٥- ترك التّعقّب في الواضحات:

فإذا كان المناظر عالماً بقصد المناظرة، واستبانة ما التبس منها، فلا ينبغي لمناظره التّعقّب في العبارة بدعوى الإيضاح؛ لأنّه بذلك يطوّل على



(١) ينظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/٥٨١).

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ١٠٩). وينظر: «عار النظر» لأبي منصور البغدادي (ص ٢٣٠)، «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٩٢).

(٣) ينظر: «شفاء الغليل» للغزالي (ص ٣٨٣-٣٨٤).

(٤) «المنهاج» للباقي (ص ١٠). وينظر: «عار النظر» لأبي منصور البغدادي (ص ٢٣٥).

(٥) «آداب البحث والمناظرة» للشنقيطي (ص ٢٧٤).

(٦) «جامع المسائل» لابن تيمية - المجموعة السادسة (١/٢٢٨).

(٧) وينظر: «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين الكاتب (ص ١٨٩، ١٩٢).

مناظره وعلى نفسه، بل يقصد بأسهل العبارات إلى لبّ الحكم، وما هو المعتمد؛ ليكون أبعد عن الاشتغال بما يُعْيِي ويُضْجِر<sup>(١)</sup>.

#### ٦- حفظ المودة وعدم إفسادها بالخلاف:



وهذا الأدب ممّا تجدر صيانتُه ولا سيّما بعد المناظرة، وسواء اتَّفَق المتناظران في الحكم أو اختلفا؛ فإنَّ العلم رَحِمَ بين أهله، والبرُّ مندوبٌ إلى استعماله مع الموافقين والمخالفين ما لم يعتدوا؛ قال يونس الصّدفي: «ما رأيت أعقل من الشّافعيّ، ناظرته يوماً في مسألة، ثمّ افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثمّ قال: «يا أبا موسى! ألاّ يستقيم أن نكون إخواناً وإنّ لم نَتَّفَق في مسألة؟»<sup>(٢)</sup>، ويحكي ابن القيم رحمه الله في «الصّواعق المرسلة» (٢/ ٥١٨) حال الصّحابة في المناظرة وبعدها، فيقول: «كانوا كلّ منهم يجتهد في نصر قوله بأقصى ما يقدر عليه، ثمّ يرجعون بعد المناظرة إلى الألفة والمحبة والمصافاة والموالاتة، من غير أن يضمّر بعضهم لبعض ضغناً، ولا ينطوي له على معبئة ولا ذمّ، بل يدلّ المستفتي عليه مع مخالفته له، ويشهد له بأنّه خيرٌ منه وأعلم منه».

(١) ينظر: «الكافية» للجويني (ص ٥٣٣).

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عسّاك (٥١/ ٣٠٢)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ١٦).

## ثانيًا: نماذج المناظرة

بعد دراسة أساسيات علم المناظرة فإنه يحسن الاطلاع على عدد من المناظرات التطبيقية، وهي على نوعين باعتبار الوقوع:

■ **حقيقية:** كالتى دُونها الرَّازِيّ في كتابه عن المناظرات التى وقعت له مع أهل العلم فى البلاد التى زارها، ومن ذلك أيضًا ما نقله أئمة التّراجم كما فى «طبقات الشّافعية» لابن السّكبيّ، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب.



■ **وافتراضية:** تهدف إلى تقريب العلم لطلّبه، ويذكر العلماء هذا الأسلوب فى كتبهم، بإيراد اعتراضات على لسان معترضٍ بقولهم: (فإن قلت) ثمّ يجيبون عنه، ومن ذلك المناظرات الافتراضية التى

جمعها الشّيخ عبد الرحمن السّعديّ رحمته الله فى كتابه «المناظرات الفقهية»، وعقدّها بين شخصين افتراضيين دعا أحدهما بالمتوكّل على الله، والآخر المستعين بالله.

وفى ما يلى نماذج من هذه المناظرات الحقيقية والافتراضية، سواء أكانت قديمة أم حديثة، مع مراعاة اختصارها، فالمقصود الإشارة دون تطويل العبارة:

■ **النّمودج الأوّل: مناظرة بين الإمام الشّافعيّ وإسحاق بن راهويّه رحمته الله فى بيوت أهل مكّة، هل تملك وتكرى أو لا؟**

وكان الشّافعيّ يقول بأنّها تملك وتؤجّر، بخلاف إسحاق، وكان الشّافعيّ تساهل فى المناظرة مع إسحاق حتّى قال بعض أصحاب إسحاق قولاً يظهر منه أنّه استخفّ بالشّافعيّ، فلمّا ظهر ذلك للشّافعيّ عاد فناظر على الجادة؛ والمقصود من هذه المناظرة وما دار فيها القدر التّالى:

قال الشّافعيّ: قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، فنسب الدّيار إلى مالكها أو إلى غير مالكها؟ وقال النّبىّ صلّى الله عليه وآله يوم فتح مكّة: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ.. وَمَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»<sup>(١)</sup>، فنسب الدّيار إلى أربابها أم إلى غير أربابها؟

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠).

واشترى عمر بن الخطاب دارًا للسَّجن مِن مالكٍ أو من غير مالكٍ؟! وقال النبي ﷺ: «وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ؟»<sup>(١)</sup>.

قال إسحاق: فقلت: الدَّلِيل على صِحَّة قولِي أن بعض التَّابعين قال به.

فقال الشَّافعيُّ لبعض الحاضرين: مَنْ هذا؟ فقليل: إسحاق بن إبراهيم الحنظلي!

فقال الشَّافعيُّ: أنت الذي يزعم أهل خُرَاسَانَ أنك فقيهم؟!

قال إسحاق: هكذا يزعمون!

فقال الشَّافعيُّ: ما أحوَجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت أمر بعرك أذنيه، أقول:

قال رسول الله ﷺ، وأنت تقول: قال عطاء وطاوس والحسن وإبراهيم؛ وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حُجَّة؟!

فقال إسحاق: اقرأ ﴿سَوَاءٌ أَلْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥].

فقال الشَّافعيُّ: هذا في المسجد خاصَّة!

قال إسحاق: لما عرفت أنني أفحمت، قُمتُ!<sup>(٢)</sup>

#### ■ وفي هذه المناظرة من الآداب والفوائد:

١- عدم الاستخفاف بالمناظر لعدم سابق معرفته، بل ينبغي إعطاء المناظر قدره، وامتنال الأدب معه، سواء من المناظر نفسه، أو من الحاضرين.

٢- أن المتناظرين إذا كانا يتفقان على أصلٍ من الأصول، فلأخِر إذا خالفه أن يلزمه به، لا سيَّما إذا خفي عليه.

٣- أن من علامات الإفحام في المناظرة العجز عن الرَّدِّ مع القيام عنها.



#### ■ النموذج الثاني: مناظرة افتراضية: هل التَّيَمُّمُ حكمه حكم الماء إذا تعذَّر استعماله أو لا؟

قال المتوكِّل على الله: التَّيَمُّمُ إذا عُدِمَ الماء أو تعذَّر استعماله حكمه

حكمُ الماء في إباحة الصَّلَاة ونحوها من العبادات المتوقِّفة على الطَّهارة،

إلا أن طهارته طهارةٌ ضرورةٌ تقدَّر بقدرها، فتبطل بخروج الوقت ودخوله، ومن تيمَّم لشيءٍ لم يستبح ما هو أعلى منه، وإنَّما هو يستبيح ما هو مثله ودونه.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١).

(٢) نقلها ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٨٩).



والسبب في ذلك: أن الشارع لم يجعله طهارة إلا في حال الضرورة، وإذا كان كذلك تقدّر بقدرها، وقصر عن وصوله إلى طهارة الماء من كل وجه.

ويدل على ذلك: أن الشارع لم يجعله رافعا للأحداث، بل إذا وجد الماء - وكان قد تيمّم لحدث أصغر أو أكبر - عاد إليه حدثه، ولزمه رفعه بالماء إلا في قول شاذ لا ينظر إليه، فدل ذلك على ما ذكرنا، وأنه لا يقوم مقام الماء من كل وجه.

فقال المستعين بالله: بل التيمّم حكمه حكم الماء من كل وجه؛ فإن الله تعالى جعله نائبا منابه عند عدمه أو تعذر استعماله، ومقتضى ذلك: أنه نائب منابه في كل شيء، وأنه إذا تيمّم لم تنتقض طهارته إلا بأحد نواقض الطهارة، فلا تنتقض بدخول الوقت ولا خروجه، ومن تيمّم لشيء استباحه واستباح ما هو فوقه وما هو دونه.

والدليل على ذلك: أن الله جعله قائما مقام الماء عند جواز العدول إليه، وذلك دليل على ما قلنا.

وأیضا: إذا تطهر العبد بالتراب، فالأصل بقاء طهارته حتى يأتي ما يدل على فسادها وانتقاضها، فأی نص دل على أنها تبطل بدخول الوقت وخروجه وأي سبب يدعو إلى ذلك؟ ويؤيد هذا: أن التيمّم بدل طهارة الماء، فالإجماع على أن البدل له حكم المبدل في كل أحكامه.

وما استدللتم به من كونه طهارة ضرورة فنحن أول قائل به، ولكن فيما دل عليه الشرع وهو أنه ضرورة - يعني عند عدم الماء أو تعذر استعماله بمرض أو نحوه -، وأما كونه يضيق فيه هذا التضييق الذي قلتم، فلم يدل عليه الشرع بوجه.

ثم أنتم ناقضون لما قلتم؛ فإنكم تقولون: إذا تيمّم للفرض صلى كل وقته فروضا ونوافل، فلو كانت طهارته اضطرارا من كل وجه، لوجب عليه أن يقتصر فقط على الفرض، ولا يزيد في صلاته على ما يحصل به المقصود الواجب، ولا قائل بهذا ولله الحمد؛ فعلم أنه طهارة اضطرار في جوازه وابتدائه، لا بعد ذلك، بل هو طهارة كاملة تامة، ويدل على هذا: أن الشارع سمّاه طهارة في عدة أحاديث، فكونه طهارة يثبت له ما يثبت للطهارة التامة، فقوله تعالى بعد ذكر طهارة الماء والتراب: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله ﷺ: «وَجُعِلَتْ تُرْبُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»<sup>(١)</sup>، وما أشبه ذلك، وذلك كله صريح أن التيمّم طهارة تامة عند وجود شرطه.

(١) أخرجه مسلم (٥٢٢).

وأما كون المتيمّم إذا وجد الماء عاد إليه حدثه، فالأمر كذلك، فإننا لم نقل: حكمه حكم طهارة الماء إلا عند عدم الماء ونحوه، فأما الماء المقدور على استعماله؛ فإن وجود طهارة التيمّم في هذا الحال كعدمها فلا يبتديها، وإن كانت موجودة بطلت، وهذا كما ذكرتم قول جميع علماء الأئمة، إلا قولاً شاذاً قد دلّ الدليل على بطلانه.

وإذا اتّضح أنّه طهارة تامّة بوجود شرطه، فمتى تيمّم لنفل استحباب الفرض، وما دامت طهارته باقية ولم يحصل له ناقض شرعيّ، فإنّه يستبيح به كلّ العبادات.

فقال المتوكّل على الله: الآن تبين لي رجحان هذا القول، وأنّ القول الذي قلته أنا في غاية الضعف، وقد تعجّبت من عدم اتّضاحه لي سابقاً، مع أنّه بأدنى نظير وتأمل يظهر الصواب في هذه المسألة، ثمّ نظرت إلى السبب الذي أوجب عدم اتّضاحه فوجدته التسليم المجرد لقول نشأت عليه، وأخذته على علّاته، واقتديت فيه بأئمة أعلام لم أبلغ في العلم عشر معشار ما بلغوا، وكلّهم مجتهدون نرجو الله ألاّ يعدمهم أجراً أو أجرين، وهذا السبب من أعظم الموانع والحجاب للعلم، وإنّما البصيرة وانطلاق الفكر وارتقاء النظر إنّما هو بالتفكير والتأمّل بما أخذ الأقوال وبراهينها، ومقابلة بعضها ببعض والتصميم الثام على الانقياد لما ترجّح عندك، ولله الحمد والمنة<sup>(١)</sup>.

#### ■ وفي هذه المناظرة من الآداب والفوائد:

- ١- أهميّة الاستدلال، وأنّه سبب قويّ في ظهور الحقّ.
- ٢- أهميّة الإنصاف بين المتناظرين الذي يبدو بأمور، منها حُسن الإصغاء لحجج المناظر والتأمّل فيها.
- ٣- الرجوع للحقّ إذا ظهر والتسليم به مع تقدير أصحاب القول المخالف واحترامهم.

#### ■ النموذج الثالث: مناظرة محمّد بن الحسن الشيباني والشافعي رحمهما الله في الغصب



قال محمّد بن الحسن: بلغني أنّك تخالفنا في الغصب!  
فقال الشافعي: أصلحك الله! إنّما هو شيء أتكلّم به على المناظرة.  
قال محمّد بن الحسن: لقد بلغني غير هذا، فناظرني، أو كلّمني فيها.  
فقال الشافعي: إنّني أجلك عن المناظرة!

(١) «المناظرات الفقهية» لعبد الرحمن السعدي - ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي - (ص ٣٧٢ - ٣٧٤).



قال محمد بن الحسن: لا بدّ من ذلك: ما تقول في رجلٍ اغتصب من رجلٍ ساجّة<sup>(١)</sup>، فبنى عليها جدارًا، وأنفق عليه ألف دينارٍ، فجاء صاحب الساجّة، فأثبت بشاهدين عدلين أنّ هذه الساجّة ساجّته، وأنّ هذا اغتصبه عليها، وبنى عليها هذا البناء.

قال الشافعي: أقول لصاحب الساجّة: ترضى أن تأخذ قيمتها؟ فإنّ رضى، وإلاّ قلعت البناء، ودفعت إليه ساجّته.

قال محمد بن الحسن: أليس قال النبي ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي الْإِسْلَامِ»<sup>(٢)</sup>؟

قال الشافعي: ومن ضرّه؟ وهو ضرّ نفسه؟!

قال محمد بن الحسن: ما تقول في رجلٍ اغتصب من رجلٍ خيطًا من إبريسم<sup>(٣)</sup>، فخاط به بطنه، فأثبت صاحب الخيط شاهدين عدلين: أنّ هذا اغتصب هذا الخيط، أكنت تنزع الخيط من بطنه؟!

قال الشافعي: لا.

قال محمد بن الحسن: قد تركت قولك! فقال أصحابه: قد تركت قولك!

فقلت: لا تعجلوا.

قال محمد بن الحسن: فما تقول في رجلٍ اغتصب من رجلٍ لَوْحًا، فأدخله في سفينة في لُجّ البحر، فأثبت صاحب اللّوح شاهدين عدلين، أكنت تنزع اللّوح من السفينة؟ قال الشافعي: لا.

قال محمد بن الحسن: الله أكبر! قد تركت قولك.

قال الشافعي: أرايت لو كان الخيط خيط نفسه أراد أن ينزعه من بطنه ويقتل نفسه، أمباح له ذلك أم محرّم عليه؟ قال: بل محرّم عليه.

قال الشافعي: أرايت لو كان اللّوح لوح نفسه أراد أن ينزعه في البحر، أمباح له ذلك أم محرّم عليه؟

(١) قطعة خشبة مربعة مصنوعة من شجر الساج، يُجلب من الهند. «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠) واللفظ له، وأحمد (٢٢٧٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١١٩٩٩)، وأعله ابن عساكر، واليوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤٨/٣)، وابن حجر في «الدراية» (٢٨٢/٢) بالانقطاع، وحسنه ابن الصلاح بمجموع طرقه. ينظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢١١).

(٣) أي الحرير. «المحكم» لابن سيده (٨/ ٦٥٦).

قال محمد بن الحسن: بل محرّم عليه.

قال الشافعي: أفرأيت السّاجة لو كانت ساجة نفسه أراد أن ينزعها فيهدم البناء عليها، أمحرّم عليه أو مباح له؟

قال محمد بن الحسن: بل مباح له.

قال الشافعي: يرحمك الله! تقيس مباحًا بمحرّم؟

قال محمد بن الحسن: وكيف تصنع بصاحب السفينة؟

قال الشافعي: أمره أن يقرب إلى أقرب المراسي التي لا يهلك هو فيها وأصحابه، وأقول له: انزع اللّوح فادفعه إلى هذا، وأصلح أنت سفينتك واذهب.

ثم قال الشافعي: ما تقول في رجل من بني فلان - ذكر أقوامًا أشرافًا - اغتصب رجلًا من الزّنج على جارية، فأولدها عشرة، كلّهم قد قرؤوا القرآن، وقضوا بين المسلمين أشرافًا، وخطبوا على المنابر، وأثبت صاحب الجارية شاهدين عدلين أن هذه الجارية له، غلبه عليها وأولدها الأولاد، بم كنت تحكّم؟

قال: أردّ الجارية عليه، وأحكم بأولادها رقيقًا له؟

قال الشافعي: ما لك لم تقل هذا في الخشبة؟! أنشدك الله! أيّتهما أعظم ضررًا أن قلعت السّاجة؟ أو حكمت بولدها رقيقًا؟

فترك محمد بن الحسن قوله، ورجع إلى قول الشافعي عليه السلام <sup>(١)</sup>.

#### ■ وفي هذه المناظرة من الآداب والقوائد:

١- تحرير القضية المختلف فيها بين المتناظرين.

٢- تقدير المتناظرين لبعضهما البعض.

٣- السّماحة في المناظرة مع قوّة الحجّة والإلزام.

٤- جودة التّمثيل والتّصوير.

٥- الرّجوع للحقّ عند ظهوره.

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/١٠٧-١١١).

النموذج الرابع: مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه الواردة في سورة الأنبياء (الآيات: ٥٢ - ٧٠) مع عرض الإمام الطوفي لها<sup>(١)</sup>

○ إذ قال لهم: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ - أي: الأجسام - ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي: مجتمعون على عبادتها؟!

وهو استفهام نفى وإنكار، أي: ليست هذه أهلاً أن تُعبد، فدعوها، وابدعوا الله خالقكم وخالقها!

○ فأجابوا بشبهة التقليد، فقالوا: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ يعني: ولو لم تكن أهلاً للعبادة لما عبدوها؛ إذ اتَّفَقَ الجَمُّ الغفير من العقلاء على تعاقب الأزمنة على الباطل ممتنع عادةً.

○ فأجابهم بالقدح في دلالة التقليد وفيمن قلَّده بقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أي التقليد لا يصادم البراهين القواطع على التوحيد، واتَّفَقَ الجَمُّ الغفير على الباطل ليس ممتنعاً في العادة، بل هو بعيد بشرط استناده إلى حجة، أمّا بمجردة، فلا يمتنع ولا يبعد، وإلا فقد لزم آباءكم ترك الشُّرك اقتداءً بآدم والجم الغفير بعده من الموحِّدين.

○ فلما صدَّقهم في مقام النظر، تردَّدوا: إمَّا في صحَّة ما يدعوا إليه، أو في كونه جاداً، فقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾، أي: أحقُّ ما تقول أم تمازحنا وتلعب معنا؟!

○ فأجاب بقوله: ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾، أي لست بلاعب، بل جادٌ فيما أقول، شاهدٌ على صحَّته؛ وكان هؤلاء معطلَّة، لا يعرفون إلهاً إلَّا أوثانهم، فدلَّهم على وجود الإله الحق بوجود السماوات والأرض استدلالاً بالأثر على المؤثر، وانقطعت المناظرة في هذا المجلس.

○ ثم قال في نفسه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾، وكان لهم عيدٌ يجتمعون إليه، فتخلف عن عيدهم ليكسر أصنامهم ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ أي قطعاً ﴿إِلَّا صَنَمًا﴾ كغيرها لهم فلم يكسره، وعلَّق القدوم في عنق ذلك الصنم.

(١) «علم الجدل» للطوفي (ص ١٦١-١٦٣).

فلما رجعوا ورأوا ما حلَّ بأصنامهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أي وضع الإهانة والأذى غير موضعها -على زعمهم-؛ لأنَّ الآلهة تستحقُّ الإكرام لا الإهانة ﴿قَالُوا﴾ يعني بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَقَيِّدْهُمْ﴾ يعني الأصنام ﴿يُقَالُ لَهُوَ إِبْرَاهِيمُ﴾، أي يذمُّها ويعيبها وينهى النَّاسَ عنها، فخليقَ أنَّه الذي فعل بها هذا، وليس المراد من ذلك أنَّهم سمعوه يقول: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾؛ لأنَّهم لو سمعوا ذلك منه لاحترزوا عليها منه، ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾، أي ظاهرًا بينهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾، أي ما يجري منَّا ومنه، أو لعلَّ عند أحدٍ منهم علمًا من أمره، فيشهد به عليه، فأتوا به ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

﴿قَالَ بَلَى﴾، أي ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ يعني الصَّنم الكبير، وهذا القدوم معلقًا في عنقه أمانة على أنَّه فعله، وإنَّما كسر الأصنام الصَّغار غيرًا منه أن يعبد معه غيره، وإن كنتم لا تصدقون ﴿فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾!! وكان له في ذلك عليهم إلزامان؛ أحدهما: أنَّ هذا الصَّنم كما يغار من عبادة غيره معه، كذلك الله ﷻ لا يرضى أن يعبد معه غيره. الثاني: ما صرَّح به بعد من توبيخهم على عبادة ما لا ينطق ولا يبصر ولا ينفع ولا عن نفسه يدفع.

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، أي تدبَّروا ما نبَّههم عليه إبراهيم ﴿فَقَالُوا﴾، أي بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾؛ حيث تعبدون ما هذه صفته من العيِّ والعجز، ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ رجعوا إلى عنادهم وألزموه تكليف ما لا يطاق، أي أنت أحلتنا بالجواب والسؤال على جمادٍ لا ينطق وذلك محال؛ لأنَّ النطق شرطه الحياة والعقل، فقد كلَّفنا ما لا يطاق؛ فتمَّت لإبراهيم الحُجَّة عليهم.

وقال ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿أَيَّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أي أنا لم أكلِّفكم محالًا، بل ألزمتكم المحال، وهو عبادتكم عاجزًا عيًّا؛ فلما انقطعوا عن الجدال، رجعوا إلى الظلم والعناد، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾، فردَّ الله ﷻ كيدهم بما ذُكر.

## ■ وفي هذه المناظرة من الآداب والفوائد:

- ١- مراعاة التدرُّج في عرض الحُجَج.
- ٢- استدراج المناظر باستعمال الحجج والبراهين حتَّى يسَلِّم أو يعجز.
- ٣- عدم المداهنة في عرض الحقائق وعدم المسامحة فيها خاصَّةً مع عناد المناظر وإصراره على إخفائها.
- ٤- التَّيقُّظ لشبهات المناظر مع عدم التَّسليم بها، بل نقضها وبيان فسادها.
- ٥- استعمال الأدلَّة الواضحة والأقيسة القريبة لفهم المناظر وثقافته وعرفه.
- ٦- الصَّبْر على المناظر واستعمال الحلم معه رغم إيذائه ومعاندته واستعلائه وجهله.
- ٧- صاحب الحجَّة يكتفي بها أمَّا العاجز فلا تكفيه حتَّى يضمَّ إليها القوَّة والإيذاء.



## الأنشطة

### التشاط الأول:

بعد دراستك لأداب المناظرة: استنبط الآداب التي تدلُّ عليها النصوص التالية:

الآداب	النص
	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].
	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦].
	قول النبي ﷺ: «لا يحكم أحدٌ بين اثنين وهو غضبان». [أخرجه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧)].
	قول النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». [أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩)].
	قال الإمام أحمد: «لم يعبرُ الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإنَّ النَّاسَ لم يزل يخالف بعضهم بعضاً». [تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٦٢ / ٧)].

## النشاط الثاني:

استنبط الفوائد والآداب من النماذج التالية:

## الآداب والضوابط

## التمهيد

ذُكر أَنَّ الشَّافِعِيَّ وأبا عبيد تناظرا في القراء، فكان الشَّافِعِيُّ يقول: إِنَّه الحيض، وأبو عبيد يقول: إِنَّه الطُّهر؛ فلم يزل كُلُّ منهما يقرِّر قوله حتَّى تفرَّقا وقد انتحل كُلُّ واحدٍ منهما مذهب صاحبه، وتأثَّر بما أورده من الحجج والشواهد. [طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى للسُّبْكِيِّ (١٥٩/٢)].

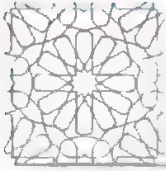
قال العباس العنبريُّ: كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه عليُّ بن المدينيُّ راكباً على دابةٍ، فتناظرا في الشهادة وارتفعت أصواتهما حتَّى خفت أن يقع بينهما جفاءٌ، وكان أحمد يرى الشهادة بالجنة لمن شهد بدراً أو الحديبية أو لمن جاء فيه أثرٌ مرفوعٌ، وعليُّ يأبى ولا يصحِّح في ذلك أثراً، فلمَّا أراد عليُّ الانصراف، قام أحمد فأخذ بركابه. [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٩٦٨/٢)].

اجتمع متكلمان، فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ فقال: على شرائط: ألا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيري وأنا أكلِّمك، ولا تجعل الدَّعوى دليلاً، ولا تجوِّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلاَّ جوِّزت إلى تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تؤثر التَّصادق، وتنقاد للتَّعارف، وعلى أن كلاً منَّا يني مناظرته على أن الحقَّ ضالَّته والرُّشد غايته. [محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للرَّاغب الأصفهاني (١٠٤/١)].

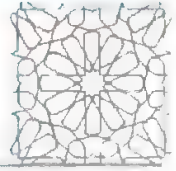








## فهرس الموضوعات



أ..... مقدمة إثراء المتون

### القسم الأول: الخلاف

المُعلِّم الأول: حقيقة الخلاف وأنواعه..... ٣

أهداف المُعلِّم..... ٥

نشاط استهلاكي..... ٦

أولاً: حقيقة الخلاف وعلاقته بالمصطلحات المشابهة..... ٧

❖ تعريف الخلاف لغةً واصطلاحاً..... ٧

❖ المصطلحات والألفاظ ذات العلاقة بالخلاف..... ٩

ثانياً: أنواع الخلاف..... ١٣

❖ أنواع الخلاف باعتبار مادته وموضوعه..... ١٣

❖ أنواع الخلاف باعتبار حقيقته وعلاقة الأقوال ببعضها..... ١٤

❖ أنواع الخلاف باعتبار أثره..... ١٥

❖ أنواع الخلاف باعتبار بقاءه ودوامه..... ١٧

❖ أنواع الخلاف باعتبار مرتبته..... ١٧

❖ أنواع الخلاف باعتبار درجته..... ١٨

❖ أنواع الخلاف باعتبار حكمه..... ١٩

الأنشطة..... ٢٠

المُعلِّم الثاني: الحكمة من الخلاف وحُكمه..... ٢٣

أهداف المُعلِّم..... ٢٥

نشاط استهلاكي..... ٢٦

أولاً: الحكمة من الخلاف..... ٢٧

الحكمة من الخلاف وفائدة معرفته.....	٢٧
أ- فوائد وجود الخلاف.....	٢٧
ب- فوائد دراسة الخلاف.....	٢٨
ثانيا: حكم الخلاف.....	٢٩
الخلاف السائغ.....	٢٩
الخلاف غير السائغ.....	٣٠
ثالثا: الإنكار في مسائل الخلاف.....	٣٤
تحرير قاعدة (لا إنكار في مسائل الخلاف).....	٣٤
حكم الإنكار في مسائل الخلاف.....	٣٥
شروط الإنكار في مسائل الخلاف.....	٣٧
الأنشطة.....	٣٩
المعلم الثالث: أسباب الخلاف بين العلماء.....	٤١
أهداف المعلم.....	٤٣
نشاط استهلاكي.....	٤٤
أسباب الخلاف بين العلماء.....	٤٥
أهم المصنّفات الأصلية في أسباب الخلاف وما يتعلّق به.....	٤٥
أبرز أسباب الخلاف الفقهيّ السائغ.....	٤٧
الأنشطة.....	٥٩
المعلم الرابع: مراعاة الخلاف والخروج منه.....	٦١
أهداف المعلم.....	٦٣
نشاط استهلاكي.....	٦٤
مراعاة الخلاف والخروج منه.....	٦٥
الخروج من الخلاف.....	٦٥
مراعاة الخلاف.....	٦٨
الأنشطة.....	٧٢

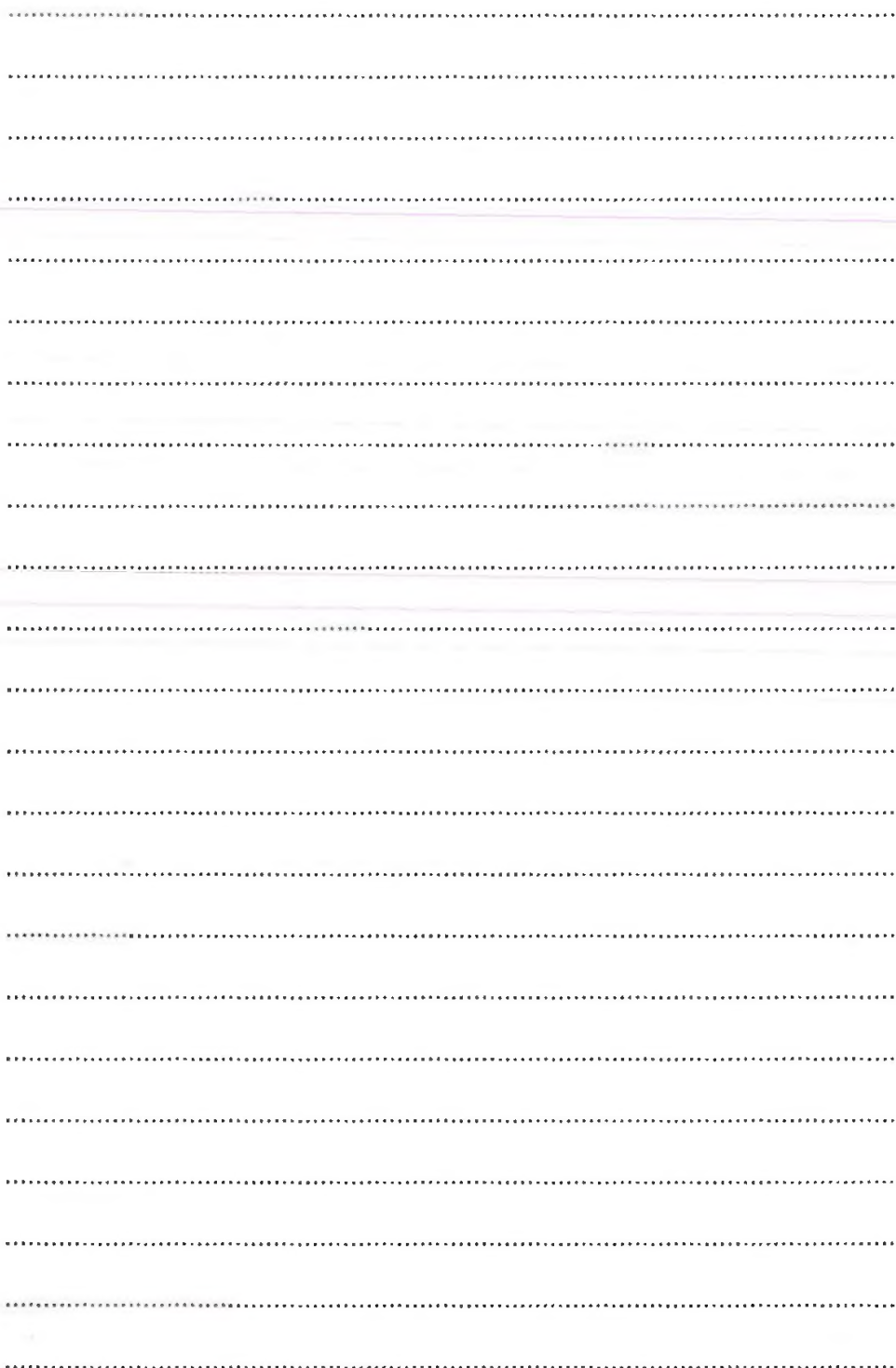
٧٥	المَعْلَم الخامس: مراحل بحث المسألة الخلافية
٧٧	أهداف المَعْلَم
٧٨	نشاط استهلاكي
٧٩	مراحل بحث المسألة الخلافية
٧٩	المرحلة الأولى: تصوير المسألة
٨٠	المرحلة الثانية: تحرير محل النزاع
٨٢	المرحلة الثالثة: ذكر الأقوال في المسألة
٨٣	المرحلة الرابعة: عرض أدلة الأقوال
٨٤	المرحلة الخامسة: مناقشة أدلة الأقوال والجواب عنها
٨٤	المرحلة السادسة: الترجيح
٨٥	المرحلة السابعة: ذكر سبب الخلاف
٨٥	المرحلة الثامنة: بيان نوع الخلاف من حيث ثمرته
٨٦	إجمال مراحل بحث المسألة الخلافية
٨٧	الأنشطة
٨٩	المَعْلَم السادس: آداب الخلاف ونماذجها
٩١	أهداف المَعْلَم
٩٢	نشاط استهلاكي
٩٣	آداب الخلاف ونماذجها
٩٣	تعريف آداب الخلاف وبيان أهميتها
٩٤	آداب الخلاف
١٠١	الأنشطة

### القسم الثاني: المناظرة

١٠٥	المَعْلَم الأول: حقيقة المناظرة ونشأتها
١٠٧	أهداف المَعْلَم
١٠٨	نشاط استهلاكي

أولاً: حقيقة المناظرة .....	١٠٩
تعريف المناظرة .....	١٠٩
مبادئ علم المناظرة .....	١١٠
المصطلحات المشابهة وعلاقة المناظرة بها .....	١١١
ثانياً: نشأة المناظرة .....	١١٥
موجزٌ عن تاريخ المناظرة عند المسلمين .....	١١٥
المؤلفات في المناظرة والجدل .....	١١٧
أسباب نشأة فنِّ المناظرة عند المسلمين .....	١١٨
الأنشطة .....	١٢٠
المعلم الثاني: حكم المناظرة وفوائدها .....	١٢٣
أهداف المعلم .....	١٢٥
نشاط استهلاكي .....	١٢٦
أولاً: حكم المناظرة .....	١٢٧
المناظرة المحموده .....	١٢٧
المناظرة المذمومة .....	١٣٠
ثانياً: فوائد علم المناظرة .....	١٣٣
من فوائد علم المناظرة .....	١٣٣
الأنشطة .....	١٣٦
المعلم الثالث: أركان المناظرة وشروطها .....	١٣٩
أهداف المعلم .....	١٤١
نشاط استهلاكي .....	١٤٢
أركان المناظرة وشروطها .....	١٤٣
أولاً: أركان المناظرة .....	١٤٣
ثانياً: شروط المناظرة .....	١٤٤
الأنشطة .....	١٥٠

المعلّم الرَّابِع: مراحل المناظرة وضوابطها	١٥٣
أهداف المعلّم	١٥٥
نشاط استهلاكي	١٥٦
أولاً: مراحل المناظرة	١٥٧
المرحلة الأولى: التأسيس والمبادئ	١٥٧
المرحلة الثانية: الدلائل والوظائف	١٥٧
المرحلة الثالثة: النتائج	١٦٠
ثانياً: ضوابط المناظرة	١٦٣
أبرز ضوابط المناظرة	١٦٣
الأنشطة	١٦٨
المعلّم الخامس: آداب المناظرة ونماذجها	١٧١
أهداف المعلّم	١٧٣
نشاط استهلاكي	١٧٤
أولاً: آداب المناظرة	١٧٥
النوع الأول: آداب المناظر في نفسه	١٧٥
النوع الثاني: آداب المناظر مع مناظره	١٧٧
ثانياً: نماذج المناظرة	١٨٢
النموذج الأول: مناظرة بين الإمام الشافعي وإسحاق بن راهويته	١٨٢
النموذج الثاني: مناظرة افتراضية	١٨٣
النموذج الثالث: مناظرة محمد بن الحسن الشيباني والشافعي	١٨٥
النموذج الرابع: مناظرة إبراهيم لقومه	١٨٨
الأنشطة	١٩١
فهرس المصادر والمراجع	١٩٣









- استيعاب مفردات مقرر (الخلافا والمناظرة) في كليات الشريعة، وفق معايير هيئة الاعتماد الأكاديمي.
- الكتابة بأسلوب يجمع بين تيسير المعلومة وعمقها ودقتها؛ ليناسب مرحلة الطلاب في الجامعة.
- العناية بالأمثلة، والتقسيمات، وحسن العرض.
- إعداد وتحكيم الكتاب من نخبة من المتخصصين الأكاديميين.
- إثراء الكتاب بعدد من القراءات الإثرائية، التي تزيد تحصيل الطالب.
- وضع أنشطة استهلاكية تشويقية، وأنشطة ختامية تنمي المهارات العليا وتحفز جانب التعليم الذاتي.



9 786038 348499 >